



العُقُبَةُ الْمُتَّصِّلَةُ (١)

IAQD2043



العقيدة خاص [١]

المحتويات

- الدرس الأول** : تعريف توحيد الربوبية وأدلة بالفطرة
والخلق والعقل وبيان أنه برهان على
استحقاق ربّ وحده للربوبية كلها
٣٦ - ٧
- الدرس الثاني** : امداد بالشرك في الربوبية وندرة القائلين
بتعدد الآلهة
٥٧ - ٣٧
- الدرس الثالث** : بيان أن اعتقاد أهل الخلوّ والاتحاد من
الشرك في الربوبية وبيان بطلانه ونقضه
٧١ - ٥٩
- الدرس الرابع** : بيان ما هو الإلحاد قديماً وحديثاً وإبطاله
على ضوء الكتاب والسنة
٨٦ - ٧٣
- الدرس الخامس** : معنى التوحيد وأنواعه وبيان أهمية توحيد
الألوهية وأدنته
١٠٩ - ٨٧
- الدرس السادس** : العبادة وشرط قبوها وذكر جملة من أفرادها
١٢٤ - ١١١
- الدرس السابع** : من نواقص التوحيد: الشرك: تعريفه
وأقسامه وأفراده
١٤٥ - ١٢٥
- الدرس الثامن** : الشرك أسبابه وحكمه وخطورته
١٧٥ - ١٥١
- الدرس التاسع** : الرد على الشبهتين الأولى والثانية في تعلق
الغلاة بالشرك
٢٠١ - ١٧٧
- الدرس العاشر** : الرد على الشبهتين الثالثة والرابعة في تعلق
الغلاة بالشرك
٢٣٢ - ٢٠٣
- الدرس الحادي عشر** : الرد على الشبهتين الخامسة والسادسة في
تعلق الغلاة بالشرك
٢٥٦ - ٢٣٣

العقيدة خاص[١]

- الدرس الثاني عشر** : الرد على الشبهة السابعة في تعلق الغلة بالشرك ٢٦٨ - ٢٥٧
- الدرس الثالث عشر** : من نواقص الإسلام : السحر ٢٨١ - ٢٦٩
- الدرس الرابع عشر** : من نواقص الإسلام عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم ٣٠٥ - ٢٨٣
- الدرس الخامس عشر** : من نواقص الإسلام بغض شيء مما جاء به الرسول أو أن هدي غيره أفضل منه هديه ٣٢٩ - ٣٠٧
- الدرس السادس عشر** : من نواقص التوحيد الاستهزاء بشيء من دين الرسول أو الاعتقاد بأن بعض الناس يسعه الخروج على شريعته ٣٥٦ - ٣٣١
- الدرس السابع عشر** : الإعراض الكلي عن دين الله تعالى أو عما لا يصح الإسلام إلا به ٣٧٠ - ٣٥٧
- الدرس الثامن عشر** : إمكان وقوع نواقص التوحيد من المعينين وتکفیرهم بذلك ٣٨١ - ٣٧١
- قائمة المراجع العامة :

العقيدة خاص [١]

المدرس آنجل

تعريف توحيد الربوبية - وأدلة بالفطرة والخلق والعقل -
وبيان أنه برهان على استحقاق ربّ وحده للربوبية كلها

عناصر الدرس

- | | |
|----|--|
| ٩ | العنصر الأول : معنى الرب، واحتصاص الله تعالى بأنه رب العالمين |
| ١٣ | العنصر الثاني : امداد بتوحيد الربوبية |
| ١٨ | العنصر الثالث : الأدلة النقلية السمعية |
| ٢٣ | العنصر الرابع : الأدلة العقلية العيانية |
| ٢٦ | العنصر الخامس : امداد بالفطرة |
| ٢٨ | العنصر السادس : توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية |
| ٣٣ | العنصر السابع : هل يكفي توحيد الربوبية للدخول في الإسلام؟ |
| ٣٥ | العنصر الثامن : هل ينقذ توحيد الربوبية من الشرك؟ |

العقيدة خاص [١]

معنى الرب، وختصاص الله تعالى بأنه رب العالمين

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله، وصحبه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: فقد ذكرنا ما يتعلق بالنوع الأول من أنواع التوحيد هو: توحيد الألوهية، الذي هو أعظم أنواع التوحيد.

أما النوع الثاني من أنواع التوحيد هو: توحيد الربوبية الذي كان مشركون العرب في الجاهلية مقررين به، وهو الاعتقاد بأن الله هو رب هذا الكون وخالقه، ومدبره، ورازق المخلوقات التي تعيش فيه، فسيكون حديثنا حول هذا النوع من التوحيد من خلال تعريف توحيد الربوبية، وبيان معنى الرب، وختصاص الله تعالى بأنه رب العالمين.

ففي (مختار الصحاح): يقال: "رَبٌّ ولدَهْ مِنْ بَابِ رَدَّ، وَرَبِّهِ، وَتَرَبِّهِ بَعْنَى؛ أَيْ رَبِّاهُ، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ مَالِكُهُ، وَالرَّبُّ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يُقَالُ فِي غَيْرِهِ إِلَّا بِالإِضَافَةِ، وَقَدْ قَالُوا هُوَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِلْمَلْكِ، وَالرَّبِّانِيُّ: الْمَتَّالِهُ الْعَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى". انتهى.

وقال الزمخشري في (أساس البلاغة): "الله -عز وعلا- رب الأرباب، وله الربوبية، وهو رب الدار والعبد، وغير ذلك، ويقال: رب بين الربابة. قال:

يا جمل أُسقيت بلا حسابه ❖ سقيا ملِكٌ حسن الرِّبَابة
وفلان مربوب، والعباد مربوبون، وقد ربّ فلان: ملِكٌ، ورأيت فلان يتربّ
أرضكم يقول: أنا رب، ورجل ربّي ورباني متّاله، وفيه ربانية، وربّ ولده وربه
وتربيّه وربّاه وربّيته، قال النابغة:

العقيدة خاص [١]

فبدت ترائب شادن متربّ ♦ أحوى أم المقطنين مقدّد
 فالمعاني اللغوية التي ترجع إليها كلمة (رب) هي : السيد والمالك والمتصرف
 والمربي ، ورب كذا : صاحبه ، يقول الفيومي ~ : "الرب : يطلق على الله -
 تبارك وتعالى - معرفاً بالألف واللام ، ومضافاً ، ويطلق على مالك الشيء الذي
 لا يعقل مضافاً إليه فيقال : "رب الدين ورب المال" ، ومنه قوله ﷺ في ضالة
 الإبل : ((حتى يلقاها ربها)) وقد استعمل بمعنى السيد مضافاً إلى العاقل أيضاً ،
 ومنه قوله # : ((حتى تلد الأمة ربتها)) ، وفي رواية : ((ربها)) ، وفي التنزيل
 حكاية عن يوسف # : ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤] قالوا :
 ولا يجوز استعماله بالألف واللام للمخلوق بمعنى المالك ؛ لأن اللام للعموم ،
 والمخلوق لا يملك جميع المخلوقات ، وربما جاء باللام عوضاً عن الإضافة إذا
 كان بمعنى السيد ؛ قال الحارث :

فهو رب والشهيد على يوم ♦ الحيarians والبلاد بلاء
 وملعون أن الربوبية خاصة بالله تعالى ، ولا يستحقها مخلوق كائناً من كان ، فليس
 للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال .

يقول ابن أبي العز الحنفي # : "وأما الثاني : وهو توحيد الربوبية، كالإقرار
 بأنه خالق كل شيء ، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال ،
 وهذا التوحيد حق لا ريب فيه ، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام
 وطائفه من الصوفية ، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفه معروفة من بنى
 آدم ، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار
 بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ
 أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطْرِفُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [إبراهيم: ١٠].

العقيدة خاص [١]

وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقناً به في الباطن كما قال موسى : ﴿ قَالَ لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارِرَ ﴾ [الإسراء : ١٠٢].

والقرآن ملوء من تقرير هذا التوحيد وبيانه، وضرب الأمثال له، ومن ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلاً على الثاني؛ إذ كانوا يسلّمون في الأول وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه: أنكم إذا كنتم تعلمون أنه لا خالق إلا الله وحده، وأنه هو الذي يأتي العباد بما ينفعهم، ويدفع عنهم ما يضرهم لا شريك له في ذلك فلم تعبدون غيره؟! وتجعلون معه آلهة أخرى؟! كقوله تعالى: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَّمُ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَنَّهُمْ خَيْرًا مَا يُشَرِّكُونَ ﴾ [٥] أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَا مَأْتَيْنَاكُمْ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٥٩، ٦٠] الآيات.

يقول الله تعالى في آخر كل آية: ﴿ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ ﴾ أي: إله مع الله فعل هذا؟! وهذا استفهام إنكار يتضمن نفي ذلك، وهم كانوا مقربين بأنه لم يفعل ذلك غير الله، فاحتاج عليهم بذلك، وليس المعنى أنه استفهام: هل مع الله إله، كما ظنه بعضهم؛ لأن هذا المعنى لا يناسب سياق الكلام، والقوم كانوا يجعلون مع الله آلة أخرى كما قال تعالى: ﴿ أَيْنُكُمْ لَتَشَهَّدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهُدُ ﴾ [الأنعام: ١٩]، وكانوا يقولون: ﴿ أَجَعَلَ اللَّهُ إِلَهًا وَجَهَدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ [ص: ٥] لكنهم ما كانوا يقولون: إنه معه إله: ﴿ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَلَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوْسِيَّ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِرًا ﴾ [النمل: ٦١]، بل هم مقرون بأن الله وحده فعل هذا، وهكذا سائر الآيات، وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُ وَأَرْبُكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

العقيدة خاص [١]

[[البقرة: ٢١]]، وكذلك قوله في سورة الأنعام ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمَعَكُمْ وَأَبَصَرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ ﴾ [[آلية: ٤٦]] وأمثال ذلك.

وإذا كان توحيد الربوبية - الذي يجعله هؤلاء النظار ومن وافقهم من الصوفية هو الغاية في التوحيد - داخلاً في التوحيد الذي جاءت به الرسل ، ونزلت به الكتب ؛ فليعلم أن دلائله متعددة ، كدلائل إثبات الصانع ، ودلائل صدق الرسول ، فإن العلم كلما كان الناس إليه أحوج كانت أدلة أظهر ؛ رحمة من الله بخلقه ، والقرآن قد ضرب الله للناس فيه من كل مثل ، وهي المقاييس العقلية المفيدة للمطالب الدينية ، لكن القرآن يبين الحق في الحكم والدليل ، فماذا بعد الحق إلا الضلال !

وما كان من المقدمات معلومة ضرورية متفقاً عليها - استدل بها ولم يُحتاج إلى الاستدلال عليها". انتهى كلامه.

وقد بين الشيخ حافظ الحكمي # اختصاص الله تعالى بأنه رب العالمين بقوله :

والكلام في هذا الفصل على النوع الأول وهو التوحيد العملي الخبري الاعتقادي ، وهو إثبات ذات الرب جل وعلا ، فإن هذه العوالم - العلويات والسفليات - لا بد من موجد لها أو جدها ، ويتصرف فيها ، ويديرها ، ومحال أن توجد بدون موجد ، ومحال أن توجد أنفسها ؛ قال الله تبارك وتعالى في مقام الربوبية ، وتوحيد الألوهية : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلَقُونَ ﴾ [٥٥] ﴿ أَمْ خَلَقُوا
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كُلَّ لَآيُوقْنُونَ ﴾ [الطور: ٣٦ ، ٣٥]

قال ابن عباس { :

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ أي : من غير رب ، ومعناه : أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق ، وذلك مما لا يجوز أن يكون ؛ لأن تعلق الخلق بالخالق

العقيدة خاص [١]

من ضرورة الاسم فلا بد له من خالق ، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق.

﴿أَمْ هُمُ الْخَلِقُونَ﴾ لأنفسهم وذلك في البطلان أشد ؛ لأن ما لا وجود له كيف يخلق ، فإذا أبطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً ، فليؤمنوا به.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وهذا في البطلان أشر وأشد فإن المسبوق بالعدم يستحيل أن يوجد نفسه فضلاً عن أن يكون موجداً لغيره ، وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله ﷺ ، وهم يعلمون أنه الخالق لا شريك له.

﴿كُلَّ لَآيُّوْقُنٍ﴾ أي : ولكن عدم إيقانهم هو الذي يحملهم على ذلك.

وعن جبير بن مطعم < قال : "سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية : ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ عَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَلِقُونَ﴾ ٢٥ ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كُلَّ لَآيُّوْقُنٍ﴾ ٢٦ ﴿أَمْ عَنَّهُمْ حَزَّابٌ رِّيكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيَّطُونَ﴾ ٢٧ [الطور: ٣٧] كاد قلبي أن يطير". أخر جاه في (الصحيحين). انتهى كلام الحكيم #.

المراد بتوحيد الربوبية

اعلم أن التوحيد الذي يميز المسلمين عن غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ثلاثة أقسام ؛ هي :

أ- توحيد الربوبية.

ب- توحيد الأسماء والصفات.

ج- توحيد الألوهية.

العقيدة خاص [١]

وهذه الأقسام الثلاثة متراقبة ترابطاً وثيقاً، بحيث لا يتصور أن مسلماً يقر بواحد منها، وينكر باقيها، كما نجد عند بعض أهل الأهواء والبدع.

توحيد الربوبية:

هو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيءٍ ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي للميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على كل شيءٍ، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر.

يقول عبد العزيز بن محمد السلمان **#**: " المراد بتوحيد الربوبية هو اعتقاد أن الله هو رب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، الذي ربّى جميع الخلق بالنعم، وربى خواص خلقه، وهم الأنبياء وأتباعهم بالعقائد الصحيحة والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة" انتهى كلامه.

وفي (تيسير العزيز الحميد): " توحيد الربوبية والملك وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيءٍ ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي للميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء، وعند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر" انتهى كلامه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية **#**: " وهذه المعاني تدل على توحيد الربوبية وعلى توحيد الإلهية، وهو التوحيد الواجب الكامل الذي جاء به القرآن لوجوهه: وقد ذكرنا منها ما ذكرنا في غير هذا الموضع؛ مثل أن المتحرّكات لا بد لها من حركة إرادية، ولا بد للإرادة من مراد لنفسه، وذلك هو الإله، والمخلوق يتمنع أن يكون مراداً لنفسه، كما يتمنع فاعلاً لنفسه، فإذا امتنع أن يكون فاعلاً بأنفسهما

العقيدة خاص [١]

امتنع أن يكون مراداً بأنفسهما، وأيضاً فالإله الذي هو المراد لنفسه - إن لم يكن ربّا - امتنع أن يكون معبوداً لنفسه، ومن لا يكون ربّا حالقاً لا يكون مدعواً مطلوباً منه مراداً لغيره، فلأن لا يكون معبوداً مراداً لنفسه من باب الأولى، فإثبات الإلهية يوجب الربوبية، ونفي الربوبية يوجب نفي الإلهية؛ إذ الإلهية هي الغاية وهي مستلزمة للبداية كاستلزم الغائية للفاعلية، وكل واحد من وحدانية الربوبية والإلهية، وإن كان معلوماً بالفطرة الضرورية البديهية، وبالشرعية النبوية الإلهية فهو أيضاً معلوم بالأمثال الضرورية التي هي المقاييس العقلية، لكن المتكلمين إنما انتصبوا لإقامة المقاييس العقلية على توحيد الربوبية، وهذا مما لم ينزع في أصله أحد منبني آدم، وإنما نازعوا في بعض تفاصيله كنزاع المحسوس والثنوية والطبيعة، والقدرة وأمثالهم من ضلال المفلسفة والمعزلة، ومن يدخل فيهم، وأما توحيد الألوهية فهو الشرك العام الغالب الذي دخله من أقر أنه لا خالق إلا الله، ولا رب غيره، من أصناف المشركين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكَثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦] كما قد بسطنا هذا في غير هذا الموضوع "انتهى كلامه.

فتوحيد الربوبية واعتقاد أن الله تعالى رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومربيهم بالنعم، ومحبيهم وميتهم - أمر مستقر في العقول والفطر.

ويقول الشيخ المقرizi # : "اعلم أن الله سبحانه هو رب كل شيء ومالكه وإلهه، فالرب مصدر رب يربّ ربّا فهو ربُّ، فمعنى قوله تعالى ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ راب العالمين، فالرب بِهِكُلِّ هو الخالق الموجد لعباده القائم بتريستهم وإصلاحهم المتکفل بصلاحهم من خلق ورزق وعافية وإصلاح دين ودنيا" انتهى كلامه.

العقيدة خاصة [١]

فالمراد بتوحيد الربوبية هو الاعتقاد الجازم بأن لهذا الكون ربًا خلقه ودبّره ورتبه بهذا الترتيب العجيب، وأن هذا رب هو الله جل جلاله، إله الآلهة كما كان يعبر المشركون.

علاقة توحيد الربوبية بنوعي التوحيد الآخرين وهمما توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية :

لا شك أن العلاقة وطيدة بين أنواع التوحيد الثلاثة :

فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الأسماء والصفات؛ لأنك إذا علمت أن لك ربًا خالقاً مدبراً هو الذي أحياك وبيتك ويرزقك، ويصرف شئونك فهذا يستلزم منك أن تتقرب إليه بمعرفة أسمائه وصفاته التي تعبدك بها في كتابه العزيز، أو على لسان رسوله الكريم ﷺ.

كما أن توحيد الربوبية والأسماء والصفات مستلزمان لتوحيد الألوهية، ودليلان عليه؛ لأنك إذا عرفت أن لك ربًا خلقك ورزقك، ورباك بشتي صنوف النعم، وعرفت أسماءه وصفاته العليا التي أمرك بالتقرب إليه بمعرفته بها ودعائه عن طريق تلك الأسماء والصفات، إذا عرفت ذلك فيستلزم ذلك أن تتوجه بتوحيد الألوهية إلى هذا رب الذي سبق بيان ربوبيته وأسمائه وصفاته، وأن تقصده بجميع أنواع العبادات.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ # مبيناً أنواع التوحيد الثلاثة وقلائلها :

"**النوع الأول** : توحيد الربوبية والملك، وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحبي، الميت، النافع الضار، المفرد بإجابة

العقيدة خاص [١]

الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الإلهية؛ لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مقررون بهذا التوحيد لله وحده؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَيُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نَنَقُولُ ﴾ [يونس: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُوهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّ يُوقَنُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧].

النوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات، وهو الإقرار بأن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، له المشيئة النافذة، والحكمة البالغة، وأنه سميع بصير، رءوف رحيم، على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنه الملك القدوس... إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلي، وهذا أيضاً لا يكفي في حصول الإسلام، بل لا بد مع ذلك من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية والإلهية، والكافر يقررون بجنس هذا النوع، وإن كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك إما جهلاً، وإما عناداً كما قالوا: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، ولم يعرف عنهم إنكار شيء من هذا التوحيد إلا في اسم الرحمن خاصة، ولو كانوا ينكرونه لردوا على النبي ﷺ ذلك كما ردوا عليه توحيد الإلهية فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ اللَّهَ إِلَهًا وَحْدَهُ إِنَّ هَذَا أَشَفُّ عَجَابٍ ﴾ [ص: ٥] لا سيما السور المكية مملوءة بهذا التوحيد.

النوع الثالث: توحيد الإلهية المبني على إخلاص التأله وبنائه على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يجعل فيها شيئاً لغيره، لا ملك مقرب، ولانبي مرسلاً، فضلاً عن غيرهما، وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

العقيدة خاص [١]

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو أول واجب على المكلف، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، فهو أول واجب وآخر واجب، وأول ما يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا" انتهى كلامه.

ويقول الشيخ المقرizi # : "فلا ولِي ولا حُكْمَ ولا ربٌ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي مِنْ عَدْلٍ بِهِ غَيْرُهُ فَقَدْ أَشْرَكَ فِي الْوَهْيَتِي وَلَوْ وَحْدَ رَبِّيَتِهِ، فَتَوْحِيدُ الرَّبُوبِيَّةِ هُوَ الَّذِي اجْتَمَعَتْ فِيهِ الْخَلَائِقُ مُؤْمِنَاهَا وَكَافِرَاهَا، وَتَوْحِيدُ الْأَلْوَهِيَّةِ مُفْرَقُ الْطَّرَقِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَلَهُذَا كَانَتْ كَلْمَةُ الْإِسْلَامِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" وَلَوْ قَالَ: لَا ربٌ إِلَّا اللَّهُ لَا تَجِزُّهُ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ، فَتَوْحِيدُ الْأَلْوَهِيَّةِ هُوَ الْمُطْلُوبُ مِنَ الْعِبَادِ، وَهُوَ الَّذِي يَنْكِرُهُ الْمُشْرِكُونَ، وَيَحْتَاجُ الرَّبُّ عَلَيْهِمْ بِتَوْحِيدِهِمْ رَبِّيَتِهِ عَلَى تَوْحِيدِ الْأَلْوَهِيَّةِ". انتهى كلامه # .

الأدلة النقلية السمعية

لا ريب أن الأدلة النقلية السمعية على توحيد الربوبية أكثر وأشهر وحصرها أمر متعرّض؛ لأن القرآن الكريم وضاحها وضوحاً كافياً شافياً، وكذلك فعل الرسول ﷺ في السنة المطهرة، لكننا سننتقل بعضاً من تلك الآيات والأحاديث التي ذكرها أهل العلم - رحمهم الله - وشرحوها، وبينوا وجه دلالتها على ربوبية الله تعالى لخلقه، وخلقه وحده لهذه الكون، وتدبيره لشئون مخلوقاته، وحفظه لنظام هذا الكون العجيب من الاختلال طرفة عين، فمن ذلك :

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتَلَفَ أَثْئَلُ وَالنَّهَارُ لَذَيْنَتِ لَأُولَئِي الْأَلْبَابِ ﴾١٩٠﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَيْنَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلًا سُبْحَنَنَا فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

العقيدة خاص [١]

المصادر المطلوب

يقول الإمام ابن منده # : "فأخبر الله تعالى أن في السموات والأرض آية لذوي العقول والألباب، ثم أمرهم بالتفكير في خلقهما فقال: ﴿ وَيَنْفَعُكُمْ رُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ، وأخبر بارتفاعهما فقال: ﴿ أَمْ أَسْأَلُ بَنَاهَا ﴾ ٢٧ رَبَّ سَمَكَهَا فَسَوَّنَهَا ﴾ [التازعات: ٧]."

ثم يقول: ومن الآيات الواضحة التي جعلها الله دليلاً لعباده عن خلقه على معرفة وحدانيته من انتظام صنعه، ويدائع حكمته خلق السموات والأرض، وما أحکم فيها، قال الله تعالى منبهاً على قدرته: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْوِيتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هُلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣] "انتهى كلامه.

٢ - قوله تعالى: ﴿ أَلَرْبَعِينَ الْأَرْضَ كَفَانَا ﴾ ٤٥ ﴿ أَحْيَاهُ وَأَمْوَاتًا ﴾ ٤٦ ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسَى شَمِخَتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾ [المرسلات: ٢٥ - ٢٧] ففي هذه الآيات يوجه الله تعالى نظر الإنسان وعقله إلى دليلي الخلق والعناية، وكيف يشترك في فهمهما وحق الاستدلال بهما جميع الناس رغم اختلاف مستوياتهم وعقولهم؛ لوسمعها أعرابي جالس تحت خيمته لفهم منها مباشرةً أن هذه الأرض التي تحمله على ظهرها حيًّا وستضمه في بطنها ميتاً، وأن هذه الجبال الراسيات التي تحفظ الأرض من التصدع، وأن هذا الماء العذب الذي ينفع به هو ودوابه وغيرها من الآيات في الآفاق - من أعظم الأدلة الدالة على ربوبية الله تعالى ووحدانيته.

يقول ابن أبي العز الحنفي # : "وأما الثاني وهو توحيد الربوبية كالإقرار بأنه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام، وطائفة

العقيدة خاص [١]

من الصوفية، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقشه طائفة معرفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وأشهر من عرف تجاهله وظاهرة إإنكار الصانع فرعون وقد كان مستيقناً به في الباطن، كما قال موسى ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَارَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارِبِ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، ولهذا لما قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ على وجه الإنكار له -تجاهل العارف- قال له موسى: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوَلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ أَلَا وَلَئِنْ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا يَنْهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٤ - ٢٨] وقد زعم طائفة أن فرعون سأله موسى مستفهمًا عن الماهية، وأن المسؤول عنه لما لم يكن له ماهية عجز موسى عن الجواب ، وهذا غلط ، وإنما هذا استفهام إنكار وجد كلاما دلت سائر آيات القرآن على أن فرعون كان جاحداً لله نافياً له ، لم يكن مثبتاً له طالباً للعلم بما هي ، فلهذا بين لهم موسى أنه معروف وأن آياته ودلائل ربوبيته أظهر وأشهر من أن يسأل عنه بما هو ، بل إنه أعرف وأظهر وأبين من أن يجهل ، بل معرفته مستقرة في الفطر أعظم من معرفة كل معروف ، ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال : إن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال" انتهى كلامه.

ويقول المقرizi # مبينا ظهور الأدلة على توحيد الربوبية واللوهية: " وهو الذي ينكره المشركون ويحتاج الرب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد الوهية كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلِّمْ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَهُ اللَّهُ خَيْرُ

العقيدة خاص [١]

أَمَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنِ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَنَا
بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْتُوا شَجَرَهَا إِلَّا لَهُ بِلَهُ هُمْ قَوْمٌ
يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ [النمل: ٥٩، ٦٠] وكلما ذكر تعالى من آياته جملة من الجمل قال عقبها:
﴿إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾.

فأبان بِهِ اللَّهِ بذلك أن المشركين يتوقفون في إثبات توحيد الإلهية لا الربوبية، على أن منهم من أشرك في الربوبية كما يأتي بعد ذلك إن شاء الله تعالى، وبالجملة: فهو تعالى يحتاج على منكري الإلهية بإثباتهم الربوبية، والملك: هو الأمر الناهي الذي لا يخلق خلقاً بمقتضى ربوبيته ويتركهم سدى معطلين، لا يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون ولا يعاقبون، فإن الملك هو الأمر الناهي المعطي المانع الضار النافع المثيب "المعاقب" انتهى كلامه.

ويقول الشيخ محمد الأمين الحكني الشنقيطي # وهو يتحدث عن أنواع التوحيد وأدلتها: "وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول: توحيده في ربوبيته، وهذا النوع من التوحيد جبلت عليه فطر العقلاء قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُوكُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] الآية، وقال ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرَ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَنَقُّونَ﴾ [يوسوس: ٢٣]، وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٢] تجاهل من عارف أنه عبد مريوب بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢] الآية، وقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنْتُهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًا﴾ [النمل: ١٤] وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله، كما قال تعالى:

العقيدة خاص [١]

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، والآيات الدالة على ذلك كثيرة جداً، ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيده في عبادته، ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير.

إذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبدوه وحده، ووجنهم منكراً عليهم شكرهم به غير، مع اعترافهم أنه هو رب وحده؛ لأن من اعترف بأنه هو رب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [يونس: ٣١] إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ فلما أقروا بربوبيته وجنهم منكراً عليهم شركهم به غيره بقوله ﴿فَقُلْ أَفَلَا يَنْتَهُونَ﴾ [يونس: ٢٥]، ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٨٤ ﴿ سَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [المؤمنون: ٨٤] فلما اعترفوا وجنهم منكراً عليهم شركهم بقوله: ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [التحل: ١٧].

والآيات بنحو هذا كثيرة جداً، ولأجل ذلك ذكرنا في غير هذا الموضع أن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقريرية يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأن المقر بالربوبية يلزم منه الإقرار بالألوهية ضرورة نحو قوله تعالى: ﴿أَفَإِلَهٌ شَكُورٌ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرُ اللَّهِ أَغْيِرُ رَبِّا﴾ [الأنعام: ٦٤]، وإن زعم بعض العلماء أن هذا استفهام إنكارى؛ لأن استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير، وليس استفهام إنكار؛ لأنهم لا ينكرون الربوبية كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه" انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

الأدلة العقلية العيانية

يعتبر الاستدلال بآيات الله في الآفاق على ربوبية الله تعالى هي طريقة القرآن الكريم، التي ترشد العباد إلى ربهم بأقرب الطرق وأيسرها، وأشفها وأنفعها، فالعلم بها يستلزم العلم بالله كما يستلزم العلم بوجود النهار عند رؤية شعاع الشمس.

ولو تأمل العاقل في آيات الله الكونية وما انطوت عليه من الإحكام والإتقان لاستطاع أن يصل بعقله إلى أن له مدبراً دبره، وحالقاً خلقه، يدل على ذلك قول أحد الأعراب : "البُرْة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أفالك ، أفلا تدل على الصانع؟" ، فآيات الله في الآفاق يشترك في فيها والاستدلال بها كل الناس ، على مختلف عقولهم ومداركهم ومستوياتهم؛ لأنها من الأمور المشاهدة المعاينة، ولذلك كثر ورودها في القرآن الكريم لأخذ العبرة والعظة منها ، والاستدلال بها على ربوبيته ووحدانيته.

يقول ابن أبي العز الحنفي [#] : "أما آياته العيانية الخلقية فالنظر فيها والاستدلال بها على ما تدل عليه آياته القولية والعقل يجمع بين هذه وهذه فيجزم بصحة ما جاءت به الرسل ، فتتفق شهادة السمع والبصر والعقل والفطرة ، فهو سبحانه لكمال عدله ورحمته وإحسانه وحكمته ومحبته للعذر وإقامة الحجة - لم يبعث نبياً إلا ومعه آية تدل على صدقه فيما أخبر به ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِّي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٤٣] بِالْبَيِّنَاتِ وَالرُّئْيَرِ ﴾ [النحل: ٤٣، ٤٤]. وقال تعالى : ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ [آل عمران: ١٨٣]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ كَذَّابَكُمْ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ

العقيدة خاص [١]

مَنْ قَبِيلَكَ جَاءَهُ وَإِلَيْنَاهُ أَتَرْبُرُ وَالْكِتَابُ الْمُنَبِّرُ ﴿٤﴾ [آل عمران: ٤]. وقال تعالى: **اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴿١٧﴾** [الشورى: ١٧].

حتى إن من أخفى آيات الرسل آيات هود حتى قال له قومه: **يَهُودُ مَا حَجَّنَا بِيَسِنَةٍ** [هود: ٥٣] ومع هذا فيبنته من أوضح البينات لمن وفقه الله لتدبّرها، وقد أشار إليه بقوله: **إِنَّمَا أَشْهِدُ اللَّهَ وَآتَشْهِدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشَرَّكُونَ** [٥٤] **فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ** [٥٥] **إِنِّي تَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذَدُ بِنَاصِيَّهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** [هود: ٥٤ - ٥٦].

فهذا من أعظم الآيات أن رجلاً واحداً يخاطب أمّة عظيمة بهذا الخطاب من غير جزع ولا فزع، ولا خوار". انتهى كلامه.

هذا، وقد قسم العلامة ابن القيم # التدبر والتفكير في آيات الله الكونية إلى قسمين:

أ- تدبر في آيات الله التنزيلية: كما قال تعالى: **أَفَلَمْ يَدَبِّرُوا الْقَوْلَ** [المؤمنون: ٦٨].
وقال تعالى: **كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ مُّبَرَّكْ لِيَدَبِّرُوا مَا يَتَّهِي وَلَيَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** [٢٩].
[ص: ٢٩]. وقال تعالى: **إِنَّا جَعَلْنَاهُ فِرْءَانًا عَارِبًا لَّعَلَّكُمْ تَعَقَّلُونَ** [الزخرف: ٣].

ب- وتدبر في آيات الله الكونية في الآفاق: كما قال تعالى: **قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تَعْنِي الْأَيَّامُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ** [يوس: ١٠١].
وقال تعالى: **إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ الْأَيَّلِ وَالثَّمَارِ لَدَيْتِ لَا ذِلِّي الْأَلْبَابِ** [آل عمران: ١٩٠].

فمتى نظر الإنسان إلى هذه الآيات الكونية وتفكر فيها دله فكره ونظره على ربوبية الله تعالى، وأن الله هو الحق المبين الذي أقرت الفطر بربوبيته وألوهيته وحكمته ورحمته.

العقيدة خاص [١]

ثم بين العلاقة ابن القيم أيضًا: أن النظر والتدبر في آيات الله في الآفاق بالعقل نوعان، فقال: "والنظر في هذه الآيات نوعان:

الأول: نظر إليها بالبصر الظاهر: مثلاً زرقة السماء ونجومها وعلوها وسعتها، وهذا نظر يشارك الإنسان فيه غيره من الحيوانات، وليس هذا المقصود بالخطاب فقط.

والثاني: النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء فيجول في أقطارها وملكتها، وبين ملائكتها، ثم يفتح لها باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن، فينظر سعته وعظمته وجلاله ومجده، ورفعته، ويرى السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقة بأرض فلاة، فهذا سفر القلب وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعة خياله من سفر ما أدركه وأروحه، وأعظم ثرته وربحه، وأجل منفعته وأحسن عاقبته، هو حياة الأرواح ومفتاح السعادة وغنية العقول والأباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب".

ثم يقول # موجهاً العاقل إلى التأمل في ملوكوت السموات: "تأمل إلى صنع الله في ملوكوت السموات وعلوها، وسعتها واستدارتها، وعظم خلقها، وحسن بنائها، وعجائب شمسها وقمرها وكواكبها، ومقاديرها وأشكالها، وتفاوت مشارقها ومغاربها، فلا ذرة فيها تنفك عن حكمه، بل هي أحكم خلقاً وأتقن صنعاً، وأعجب في العجائب من بدن الإنسان، بل لا نسبة جمیع ما في الأرض إلى عجائب السموات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشَدُ خَلْقَهُ أَمْ أَلْتَهَهُ بَنَنَهَا﴾ [٢٧] رفع سمعكها فسونها ﴿النازعات: ٢٧، ٢٨﴾، وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] ﴿وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَنَهَا﴾ ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الرُّبْعِ﴾ [الطارق: ١١].

العقيدة خاص [١]

والملصود: أنه سبحانه إنما يقسم مخلوقاته بما هو من آياته الدالة على ربوبيته ووحدانيته، وقد أثني الله على المتفكرين بعقولهم في خلق السموات والأرض، وذم المعرضين عن ذلك فقال: ﴿وَجَعَلْنَا الْسَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُظًا وَهُمْ عَنْ أَيْمَانِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

فانظر إلى هذا البناء العظيم الشديد الواسع الذي رفع سمكه أعظم ارتفاع، وزينه بأحسن زينة وأودعه العجائب والآيات.

فسبحان من لا يقدر الطلاق قدره ❖ ومن هو فوق العرش فرد موحد

المراد بالفطرة

تعتبر معرفة الله، والإقرار بربوبيته من الأمور الفطرية التي غرسها الله تعالى في قلوب الناس، وشهدت بها عقولهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية # : "لما كان الإقرار بالصانع فطرياً كما قال ﷺ: ((كل مولود يولد على الفطرة)) الحديث.. فإن الفطرة تتضمن الإقرار بالله، والإنابة إليه، وهو معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي يُعرف ويُعبد". انتهى كلامه.

فالمراد بالفطرة: قيل: الإسلام، وقيل: دين الله، وقيل: ملة إبراهيم، وكلها يعني؛ لأن ملة إبراهيم موافقة للإسلام، والإسلام هو دين الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعَ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَعْدَ اللَّهَ أَإِسْلَامَ﴾ [آل عمران: ١٩].

العقيدة خاص [١]

ونستدل على الفطرة بآية وحديث ، أما الآية فهي قول الله تبارك وتعالى : ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَيِّنُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم : ٣٠].

وأما الحديث فهو ما رواه أبو هريرة < أن النبي ﷺ قال : ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويجلسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جماعه هل تحسون فيها من جدعاء)) يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ رواه البخاري ومسلم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية # في رسالة الفطرة : " وأما رب تعالى فهو معروف بالفطرة ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌ﴾ [إبراهيم : ١٠] ، فالمشركون من عباد الأصنام وغيرهم من أهل الكتاب معترفون بالله مقررون به ؛ أنه ربهم وحالقهم ورازقهم وأنه رب السموات والأرض والشمس والقمر وأنه المقصود الأعظم ، فالله تعالى فطر الخلق كلهم على معرفته فطرة توحيد ، حتى من خلق مجنوًّا مطبقاً مصطليماً ، لا يفهم شيئاً ما يخلق إلا به ، ولا يلهم بلسان بأكثر من اسمه المقدس فطرة بالغة ، وقد حدثنا شيخنا ابن قاضي الجيل عن بعض العلماء لا أستحضره قال : " لو ترك طفل رضيع في بيته لا يكلم وله من يقوم بأمره لعرف ربه ونطق بالسريانية ". انتهى كلامه .

فالمراد بالفطرة أن كل إنسان يجد في نفسه ذلك التوجه والتعلق بالخالق ﷺ وأن هذه المعرفة التي نسميها الفطرة هي معرفة التوحيد التي جاء بها الإسلام ، وأنها موجودة عند كل مولود ما لم يغيرها الأبوان إلى الديانات الأخرى ، والاعتقادات الباطلة .

تَوْحِيدُ الرَّبُوبِيَّةِ دَلِيلٌ عَلَى تَوْحِيدِ الْأَلْوَهِيَّةِ

أولاً: التلازم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية:

لا شك أن التلازم حاصل بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فمن أقر بأن الله تعالى رب خالق، مالك، متصرف، مدبّر، محبي، محيي، ميت، وبيده الأمر، وأنه ﴿يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرْزُلَا وَلَيْنَ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١] وأنه أبدع هذا الكون، وخلق سماواته وجعلها طباقاً، وخلق الأرضين وجعلها قراراً لملحوقاته، وأرسى فيها هذه الجبال الشامخة؛ كي لا تميد بالملحوقات التي جعل حياتها على كوكب الأرض، وأنزل من السماء ماءً فأخيى به هذه الأرض بعد موتها، وجعل الأنهر تجري، والعيون نابعة لكي تشرب الملحوقات، ويحيي النبات أمر بذلك فيلزم الإقرار بتوحيد هذا الخلق وأحقيته بالعبادة، فترى الأرض مخضرة، والمياه عذبة، والثمار يانعة، فتغفل الحيوانات، وتشبهها من ختم الله على بصيرته وبصره من بنى الإنسان، فلا يقدر هذه النعمة حق قدرها، وتراه يسيح في الأرض، ويطير في السماء، والله يغدوه من نعمه صباحاً ومساءً، ثم إذا سئل عن إلهية الله تعالى وتوحيده في عبادته كابر وعائد، وقاتل دون فكرته وجالد، فمنهم من ينكر هذه الربوبية تجاهلاً وعناداً كما حصل للطاغية فرعون، ومنهم من يزعم أنه مقر بتوحيد الربوبية، ويقول: ربى الله، خلقني ورزقني، ثم إذا طلب منه تحقيق توحيد الربوبية أشرك بالله تعالى، وقال: إنه متوجه في عبادته لآلة أخرى تقربه من الله تعالى زلفى، كما فعل الكفار في الجاهلية الأولى، وكما يقوله غلاة أهل البدع المنتسبون للإسلام من هذه الأمة؛ لأن من أقر بتوحيد الربوبية يلزمـه أن يقر بتوحيد الألوهية؛ لأن الأول دليل على الثاني،

العقيدة خاص [١]

المصادر المطلوبة

ويلزم من أقر بتوحيد الربوبية أن يقر بتوحيد الألوهية، يقول الشيخ حافظ الحكمي # : " وهو أي : التوحيد نوعان :

الأول : التوحيد العلمي الخبري الاعتقاد، المتضمن إثبات صفات الكمال لله عَزَّلَجَلَ وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

والثاني : التوحيد الطلبـي القصـدي الإرادـي، والتوكـل عـلـيـه والرضا بـه رـبـاً، وإلـهـاً، ووـلـيـاً، وـأـنـ لاـ يـجـعـلـ عـدـلـاـ فيـ شـيـءـ مـنـ الـأـشـيـاءـ، وـهـوـ توـحـيـدـ الـإـلـهـيـةـ، وـالـقـرـآنـ كـلـهـ مـنـ أـوـلـهـ إـلـىـ آـخـرـهـ فـيـ تـقـرـيرـ هـذـيـنـ التـوـحـيـدـ؛ إـمـاـ خـبـرـ عـنـ اللهـ عـزـلـجـلـ وـمـاـ يـجـبـ أـنـ يـوـصـفـ بـهـ، وـمـاـ يـجـبـ أـنـ يـنـزـهـ عـنـهـ وـهـوـ توـحـيـدـ الـعـلـمـيـ الـخـبـرـيـ الـاعـتـقـادـيـ، إـمـاـ دـعـوـةـ إـلـىـ عـبـادـتـهـ وـحـدـهـ لـاـ شـرـيكـ لـهـ، وـخـلـعـ مـاـ يـعـبـدـ مـنـ دـوـنـهـ، فـهـوـ توـحـيـدـ الـطـلـبـيـ الـإـرـادـيـ، وـإـمـاـ أـمـرـ وـنـهـيـ، وـإـلـزـامـ بـطـاعـتـهـ فـذـلـكـ مـنـ حـقـوقـ التـوـحـيـدـ وـمـكـمـلـاتـهـ، وـإـمـاـ خـبـرـ عـنـ إـكـرـامـهـ لـأـهـلـ التـوـحـيـدـ، وـمـاـ فـعـلـ بـهـمـ فـيـ الدـنـيـاـ مـنـ النـصـرـ وـالـتـأـيـدـ، وـمـاـ يـكـرـمـهـ بـهـ فـيـ الـآـخـرـةـ، وـهـوـ جـزـاءـ توـحـيـدـهـ، وـإـمـاـ خـبـرـ عـنـ أـهـلـ الشـرـكـ وـمـاـ فـعـلـ بـهـمـ فـيـ الدـنـيـاـ مـنـ النـكـالـ وـمـاـ يـفـعـلـ بـهـمـ فـيـ الـعـقـبـىـ مـنـ الـعـذـابـ، فـهـوـ جـزـاءـ مـنـ خـرـجـ عـنـ حـكـمـ التـوـحـيـدـ، فـالـقـرـآنـ كـلـهـ فـيـ التـوـحـيـدـ وـحـقـوقـهـ وـجـزـائـهـ، وـفـيـ شـأنـ الشـرـكـ وـأـهـلـهـ وـجـزـائـهـمـ، اـقـرـأـ فـيـ الـجـمـعـ بـيـنـ التـوـحـيـدـيـنـ : ﴿ طـهـ ١ ﴾ مـاـ أـنـزـلـنـاـ عـلـيـكـ الـقـرـآنـ لـتـشـقـقـ ٢ ﴾ إـلـاـ نـذـكـرـةـ لـمـنـ يـخـشـىـ ٣ ﴾ تـنـزـيلـاـ مـمـنـ خـلـقـ الـأـرـضـ وـالـسـمـوـاتـ الـعـلـىـ ٤ ﴾ الرـحـمـنـ عـلـىـ الـعـرـشـ آـسـتـوـىـ ٥ ﴾ لـهـ، مـاـ فـيـ السـمـوـاتـ وـمـاـ فـيـ الـأـرـضـ وـمـاـ يـبـيـنـهـمـاـ وـمـاـ نـحـنـ أـنـتـ ٦ ﴾ وـإـنـ تـجـهـزـ بـالـقـوـلـ فـإـنـهـ، يـعـلـمـ السـرـ ٧ ﴾ وـأـخـفـيـ ٨ ﴾ اللـهـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ هـوـ لـهـ الـأـسـمـاءـ الـحـسـنـىـ ﴾ [طـهـ: ١ - ٨] ، وـآـيـةـ الـكـرـسيـ، وـقـلـ هـوـ اللـهـ أـحـدـ، وـغـيـرـهـاـ مـنـ الـقـرـآنـ" اـنـتـهـىـ كـلـامـهـ .

العقيدة خاص [١]

ويقول الشيخ صالح العبود في بيانه لعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب #:

"يعتقد الشيخ في هذا الباب أن توحيد الله تعالى هو المبني على اعتقاد أنه الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وهذا هو توحيد الربوبية، وواحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات كلاهما من باب واحد هو توحيد المعرفة والإثبات، وهو التوحيد العلمي الخبري، وهذا التوحيد هو الأصل، ولا يغلط في الإلهية إلا من لم يعطه حقه، وهو الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يحيي ولا يدبر الأمور إلا هو، وهذا حق وهو الذي أقر به الكفار، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُنْجِحُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ أَفْعُلُ أَفَلَا يَرَوْنَ ﴾ [يونس: ٣١].

ولكنهم كفروا حيث لم يعبدوا الله وحده كما هو مقتضى شهادتهم بالربوبية كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ أَخْذَوْا مِنْ دُونِهِ أَوْلَاهُآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذَّابٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣].

وتوحيد الربوبية ثابت مشهود لا يحتاج إلى دليل، بل هو الدليل على توحيد الطلب كما أنزل الله في محكم كتابه يحتاج به على من كفر من خلقه، وقد تقدم ذكر قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ ﴾ الآية، ذلك أن الكفار يزعمون أن الله هو الإله الأكبر، ولكن معه آلهة أخرى تشفع عنده، فهم أثبتوا أن الله يتصف بأنه معبد، لكن نازعوا في توحيد العبادة فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ اللَّهَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ [ص: ٥]، ولم يرضوا أن يقولوا هذه الكلمة؛ لأنهم عرفوا أنه تعني توحيد العبادة". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

ويقول الشيخ حافظ الحكمي # بعد أن ذكر الآيات في تقرير توحيد الربوبية: ومن تدبر هذه الآيات التي ذكرنا، وما في معناها حق التدبر علم يقيناً أن عباد الأوثان مقررون بتوحيد الربوبية، وشاهدون بتفرد الله بذلك، وأنهم إنما أشركوا بالله تعالى في الإلهية حيث عبدوا معه غيره، هذا في الظاهر، وإنما فأنواع التوحيد متلازمة؛ من أشرك غير الله معه في شيء فيها فقد أشرك فيما عداه - كما سيأتي إن شاء الله تعالى بيانه في بيان أن الشرك وما يقدر ذلك غاية التقدير حديث عمران بن حصين { أن النبي ﷺ قال لأبيه حصين قبل إسلامه: ((كم تعبد اليوم من إله؟)) قال سبعة آلة؛ ستة في الأرض وواحد في السماء، قال ﷺ: ((فمن تعد لرغبتك ورهبتك؟)) قال الذي في السماء، وقد أيضاً هذه الآية أنهم إنما كان شركهم بالله في إلهيته في حالة الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون الدين لعلمهم أنه لا يقدر على كشف ما هم فيه غيره، وأن آلهتهم لا تضر ولا تنفع ولا تستطيع شيئاً كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلُكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا نَجَّنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾١٥﴾ **فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴿[العنكبوت: ٦٥] وما في معانيها من الآيات مما ذكرنا.

والملصود أن الربوبية والإلهية متلازمان لا ينفك نوع منها، وأن توحيد الربوبية لا ينكره أحد إلا مكابرة كفرعون ونحوه والثنوية الذين اعتقدوا للوجود خالقين اثنين - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا". انتهى كلامه.

ثانياً: توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية:

لا يشك أحد في أن توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية إلا مكابر، أو معاند، فإن من يشهد أن الله تعالى هو الخالق البارئ الرزاق المدبر الحي الميت

العقيدة خاص [١]

بيده الخير كله، فإن هذا دليل واضح على أن الرب الذي هذه صفاته وقدرته هو المستحق للعبادة، الذي ينبغي أن تخلص له العبادات، وأن يتوجه إليه المرء بأعماله ودعائه، ورجائه، وهكذا كان القرآن الكريم يستدل بتوحيد المشركين لله في ربوبيته على أنه يجب عليهم أن يوحّدوه في العبادة؛ لأن العقل الصحيح لا يقر أن تتوجه القلوب بالأعمال والدعوات والرجاء، لتحقيق الرغبات والأمنيات إلى من لا يسمع ولا يُصر ولا ينفع ولا يضر ولا يعني عن المرء شيئاً، فلذلك كانت الاستفهامات التي ترد في القرآن في معرض اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية ترد على سبيل التقرير، ليرب لهم على ذلك التقرير التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار.

يقول الشيخ محمد الأمين الجكنى الشنقيطي # : "ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته - جل وعلا - على وجوب توحيده في عبادته، ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقرروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يُعبد وحده، ووبحهم منكراً عليهم شركهم به غيره مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده؛ لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يُعبد وحده، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ [يونس: ٣١].

فلما قروا بربوبيته وبحهم منكراً عليهم شركهم به غيره بقوله: ﴿ قُلْ أَفَلَا تَنْقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مَا يُشَرِّكُونَ ﴾ ٥٩ ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَآءَ فَأَنْبَتَنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لِكُوَنَ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠].

العقيدة خاص [١]

ولا شك أن الجواب الذي لا جواب لهم بتة غيره هو أن القادر على خلق السموات والأرض ، وما ذكر معها خير من جماد لا يقدر على شيء ، فلما تعين اعترافهم وبخיהם منكراً عليهم بقوله : ﴿أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدُلُونَ﴾ [النمل: ٦٦] ، قوله : ﴿أَللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُمْ ثُمَّ يُحِيطُكُمْ هَلْ مِنْ شَرَكَ لَكُمْ مَنْ يَفْعُلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الروم: ٤٠] .

ولا شك أن الجواب الذي لا جواب لهم غيره هو : لا ؛ أي : ليس من شركائنا من يقدر على أن يفعل شيئاً من ذلك المذكور من الخلق والرزق والإماتة والإحياء ، فلما تعين اعترافهم وبخיהם منكراً عليهم بقوله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [الروم: ٤٠] ، والآيات بنحو هذا كثيرة جداً ، ولأجل ذلك ذكرنا ذلك في غير هذا الموضع أن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهمات تقرير ، يراد منها أنهم إذا أقرروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار ؛ لأن المقر بالربوبية يلزم الإقرار بالألوهية ضرورة ، وإن زعم بعض العلماء أن هذا استفهام إنكار ؛ لأن استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار ؛ لأنهم لا ينكرون الربوبية ؛ كمارأيت كثرة الآيات الدالة عليه" انتهى كلامه .

هل يكفي توحيد الربوبية للدخول في الإسلام؟

لقد ذكرنا مراراً أن توحيد الربوبية لا ينكره من العقلاه أحدٌ ؛ لأنه مستقر في الفطر السليمة ، ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال : إن للعالم صانعين متماثلين في الصفات والأفعال .

يقول ابن أبي العز الحنفي # : " وأما الثاني : وهو توحيد الربوبية كالإقرار بأنه خالق كل شيء ، وأنه ليس للعالم صانعين متكافئان في الصفات والأفعال ، وهذا

العقيدة خاص [١]

التوحيد حق لا ريب فيه ، وهو الغاية عند كثير من أهل الفطر والكلام وطائفة من الصوفية ، وهذا التوحيد يذهب إلى نقضه طائفة معروفة من بني آدم ، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم : ﴿قَاتَ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال : إن العالم له صانعون متماثلان في الصفات والأفعال "انتهى كلامه .

وعليه : فإن توحيد الربوبية وحده لا يدخل في الإسلام ما لم ينضم إليه توحيد الإلهية ، ثم إنه لو كان توحيد الربوبية وحده يكفي للدخول في الإسلام لكان مشركو العرب في الجاهلية مسلمين ، ولما قاتلهم رسول الله ﷺ ، ولكن فرعون وقومه مؤمنين ؛ لأنهم كانوا مستيقنون وجود الله تعالى ؛ بل كان إنكار فرعون الله تعالى في قوله : ﴿وَمَارَبُّ الْعَنَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] إنكار عارف ؛ لكنه تجاهل تلك المعرفة ؛ ولأجل هذا وجد من الفرق المنتسبة إلى الإسلام من يزعم أن معرفة الله بالقلب تكفي للدخول في الإسلام كما هو رأي أصحاب الحلول والاتحاد ، ووحدة الوجود، بل ألف بعضهم في إثبات إيمان فرعون.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ # : " وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام ؛ بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الإلهية ؛ لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مُقْرُون بهذا التوحيد له وحده ، قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله : ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَنْقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

العقيدة خاص [١]

فهم كانوا يعلمون أن جميع ذلك لله وحده، ولم يكونوا بذلك مسلمين؛ بل قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُون﴾ [يوسف: ١٠٧] فوجب على كل من عقل عن الله تعالى أن ينظر ويبحث عن السبب الذي أوجب سفك دمائهم ونبي نسائهم، وإباحة أموالهم مع هذا الإقرار والمعرفة، وما ذلك إلا لإشراكهم في توحيد العبادة الذي معنى لا إله إلا الله". انتهى كلامه.

هل ينقذ توحيد الربوبية من الشرك؟

ما دمنا قررنا في الفقرة الماضية أن توحيد الربوبية لا يكفي للدخول في الإسلام فنقرر هنا أن هذا النوع من التوحيد لا ينقذ - كذلك - من الشرك؛ لأن التوحيد الذي يعد صاحبه مسلماً، والذي يُنقذ من الشرك هو توحيد الألوهية الذي هو أساس الإسلام وروح العقيدة، ولب الإسلام، ولهذا لما ردَّ كفار قريش هذا النوع من التوحيد لم يقبل منهم اعترافهم بتوحيد الربوبية؛ لأن الله تعالى لا يقبل إلا هذا التوحيد الذي هو الإسلام قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَبَعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُفْلِيَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا إِسْلَامُهُ﴾ [آل عمران: ١٩].

فالشركون كانوا يقررون بتوحيد الربوبية وهو أن الله تعالى هو رب الخالق المالك والمتصف الذي بيده ملکوت كل شيء وهو الذي يحيي ولا يحيي عليه، وهذا يستلزم منهم أن يوحدوه بالألوهية، كما وحدوه بالربوبية قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُ وَأَرْبِكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنَّدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

العقيدة خاص [١]

يقول الشيخ المقرizi # : "ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون؛ بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم وخالق السموات والأرض والقائم بصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الإلهية والمحبة كما قد حكى الله تعالى عنهم في قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَخَذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجْهُوْهُمْ كَهْبَ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَسْكَنَهُمْ حُبَّالَلَهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فلما سووا غيره به في هذا التوحيد كانوا مشركين، فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين، وتوحيد الإلهية هو المطلوب من العباد، وهو الذي ينكره المشركون، ويحتاج رب بِعَنْهُ عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد ألوهيته كما قال تعالى : ﴿قُلْ لَّمَدَّلَهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَنَّهُ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا مَا يُشَرِّكُونَ﴾ [النمل: ٥٩] إلى قوله : ﴿أَعَلَهُمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠] انتهى كلامه.

فإذن، لا ينقذ توحيد الربوبية من الشرك، ولا يخرج صاحبه من دائرة الإشراك؛ بل لا بد معه من توحيد الألوهية الذي ينقذه، ويدخله في دائرة الإسلام، ويعصمه ويحفظ له دمه، وماليه، وعرضه، فلا يسفك دمه، ولا يستحل ماليه، ولا ينتهك عرضه.

العقيدة خاص [١]

المقرر الممتاز

امداد بالشرك في الربوبية، وندرة القائلين بتعدد الآلهة

عناصر الدرس

٣٩

العنصر الأول : أنواع الشرك في الربوبية

٤٣

العنصر الثاني : هل أعطى الله الربوبية أو جزءاً منها لغيره من الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء؟

٤٧

العنصر الثالث : من أعطاه الله القدرة، أو أذن له ببعض الكشوفات والتأثيرات الخارقة للعادة لا يجعله مستحقاً لشيء من أنواع العبادة

٤٩

العنصر الرابع : أيهما أسبق: التوحيد أم الشرك؟

٥٣

العنصر الخامس : من أنكر وجود الله تعالى

٥٦

العنصر السادس : القائلون بتعدد الآلهة

العقيدة خاص [١]

أنواع الشرك في الربوبية

أولاً: المراد بالشرك في الربوبية :

مثل اعتقاد وجود أرباب أخرى لها تدبير ونفع وضر من دون الله ، أو اعتقاد أن الله تعالى أعطى الربوبية أو جزءاً منها لغيره من الأنبياء أو الملائكة أو الأولياء أو غيرهم من أعطاه الله القدرة أو أدن له كوناً ببعض التأثيرات أو الكشوفات.

ثانياً: أقسام الشرك عامة :

أ- الشرك الأكبر.

ب- والشرك الأصغر.

ومن العلماء من يقسمه تقسيماً آخر ، فيقول : الشرك أنواع :

شرك في الربوبية ، وشرك في الأسماء والصفات ، وشرك في الألوهية.

يقول الدكتور حسن العواجي : "إذا نظرنا إلى تقسيم أهل العلم للشرك ؛ فإننا سوف نلاحظ أن تقسيمهم لا يخرج عن تلك الإطلاقات الثلاثة ، وإن كانوا يختلفون في العبارة والتنوع . فهم يقسمون الشرك عدة تقسيمات ، وأكثرهم ينضر في تقسيمه إلى الشرك في الألوهية ؛ فنجد أن منهم من يقسمه إلى أكبر وأصغر ، ومنهم من يقسمه إلى ثلاثة أقسام : أكبر ، وأصغر ، وخفيف . ومنهم من يقسمه على حسب أنواع التوحيد الثلاثة ، ومنهم من يقسم الأكبر إلى أربعة أقسام ، ومنهم من قسمه إلى قسمين : قسم يتعلق بذات الله ، وقسم يتعلق بعبادته ، ثم

العقيدة خاص [١]

نوع كل واحد منهمما. والتقطيم الذي يجمع هذه التقطيمات، ويؤلف بينها: أن
نقول: الشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر".

ثم عرف الشرك الأكبر وفصل القول في الشرك في الربوبية فقال: "الأول: الشرك
الأكبر، وهو نوعان: شرك يتعلق بذات الله، وشرك يتعلق بعبادته. فأما ما يتعلق
بذات الله فهو الشرك في الربوبية، وهو نوعان:

ثالثاً: نوعا الشرك في الربوبية :

١ - **شرك في التعطيل**: كشرك فرعون، وشك الملاحدة، والتعطيل ثلاثة أقسام:
تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس،
وهذا هو الشرك في الأسماء والصفات، وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من
حقيقة التوحيد.

٢ - **وشرك من جعل مع الله إلها آخر ولم يعطلي أسماءه وصفاته، وربوبيته**:
كرشرك النصارى الذين جعلوا ثلاثة؛ حيث جعلوا المسيح إلها، وأمه إلها،
وأمثالهم كثير". انتهى كلامه.

يقول الشيخ تقي الدين المقرizi # : " والنوع الثاني من الشرك: الشرك به
تعالى في الربوبية؛ كشرك من جعل معه خالقا آخر: كالمحوس وغيرهم الذين
يقولون بأن للعالم ربين: أحدهما خالق الخير، يقولون له بلسان الفارسية:
"يزدان" -ومعنه: الله - والآخر خالق الشر، ويقولون له بلسانهم: "أهرمن" -
أي الشيطان.

وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط ، وإن
مصدر المخلوقات كلها عن العقول والتفوس ، وإن مصدر هذا العالم عن العقل

العقيدة خاص [١]

الفعال ؟ فهو رب كل ما تحته ومدبره، وهذا شر من شرك عباد الأصنام، والمجوس والنصارى، وهو أثبت شرك في العالم ؛ إذ يتضمن من التعطيل، وجحد الإلهية والربوبية، واستناد الخلق إلى غيره يُعَذَّبُ ما لم يتضمنه شرك أمة من الأمم، وشرك القدرة مختصر من هذا وباب يدخل منه إليه... وكثيراً ما يجتمع الشركان في العبد، وينفرد أحدهما عن الآخر والقرآن الكريم ؛ بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على أهل هذا الإشراك ؛ كقوله تعالى :

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] فإنه ينفي شرك المحبة والإلهية، وقوله : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإنه ينفي شرك الخلق والربوبية ؛ فتضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة، وأنه لا يجوز إشراك غيره معه لا في الأفعال ولا في الألفاظ، ولا في الإرادات... وبالجملة فهذا باب واسع، والمقصود : أن كل من عبد مع الله غيره فإنما عبد شيطاناً، قال تعالى : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَتَبَّعُنِي إِذَا دَأَدَمْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠] فما عبد أحد أحداً من بنى آدم - كائناً من كان - إلا وقد وقعت عبادته للشيطان، فيستمتع العابد بالمعبد في حصول غرضه، ويستمتع المعبد بالعبد في تعظيمه له، وإشراكه مع الله تعالى وذلك غاية رضا الشيطان ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَنْعَشِرُ الْجِنُّ قَدْ أَسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسَنِ﴾ [الأنعام: ١٢٨] أي : من إغواهم وإضلاليهم، ﴿وَقَالَ أَوْلَيَّاهُمْ مِنَ الْإِنْسِنِ رَبَّنَا أَسْتَمْتَعْ بَعْضَنَا بِعَيْنِ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلَنَا قَالَ النَّارُ مَثَوِّكُمْ خَلِيلُنَّ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ .

فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله ، وأنه لا يغفر بغير التوبة منه ، وأنه موجب للخلود في العذاب العظيم ، وأنه ليس تحريمه قبحه بمجرد النهي عنه فقط ؛ بل يستحيل على الله يُعَذَّبُ أن يشرع لعباده عبادة إليه غيره كما يستحيل عليه ما ينافي أوصاف كماله ، ونوعوت جلاله". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

وتحدث الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ # عن أنواع الشرك في الربوبية
فقال: "الشرك في الربوبية، وهو نوعان:

أحدهما: شرك التعطيل:

وهو أقبح أنواع الشرك؛ كشرك فرعون، إذا قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾
[الشعراء: ٢٣] ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأنه لم يكن
معدوماً أصلًا؛ بل لم يزل، ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى
أسباب ووسائل اقتضت إيجادها يسمونها: العقول، والآنفوس، ومن هذا شرك
طائفة أهل وحدة الوجود: كابن عربي وابن سبعين، والعفيف التلمساني، وابن
الفارض، ونحوهم من الملاحدة الذين كسوا الإلحاد حلية الإسلام، ومزجوه
 بشيء من الحق، حتى راج أمرهم على خفافيش البصائر، ومن هذا شرك من
 عطل أسماء الله وأوصافه من غلة الجهمية والقرامطة.

النوع الثاني: شرك من جعل معه إلهًا آخر ولم يعط أسماءه وصفاته،
وربوبيته:

كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، وشرك المحسوس القائلين بإسناد
حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة، ومن هذا شرك كثير من يشرك
بالكواكب العلويات، ويجعلها مدببة لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي
الصائبة وغيرهم.

قلت - الكلام لا يزال للشيخ سليمان -: ويلتحق به من وجده شرك غلاة عباد
القبور الذين يزعمون أن أرواح الأولياء تصرف بعد الموت، فيقضون الحاجات،

العقيدة خاص [١]

ويفرجون الكربات وينصرون من دعاهم، ويحفظون من التجأ إليهم، ولاذ بحـماهم؛ فإن هذه من خصائص الربوبية، كما ذكره بعضـهم في هذا النوع". انتهى كلامـه.

إذن: فالشرك في الربوبية متعدد كشرك التعطيل، وهو تعطيل الصانع عن المصنوعات، وأشهر من أظهر هذه المقالة هو فرعون وهامان؛ كما قال الله تعالى عنـهمـا: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَا مَنْ لِي صَرْحًا لَعَلَّيْ أَتَلْعَلُ أَسْبَبَ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظْنُهُ كَذِبًا ﴾ [غافر: ٣٦]، ومنـهـ شـركـ من جـعلـ معـ اللهـ إـلـهـاـ آخرـ كـشـركـ النـصـارـىـ وـالـمـجـوسـ بـالـثـنـوـيـةـ، وـشـركـ الـذـينـ يـجـعـلـونـ الـكـواـكـبـ مـدـبـرـةـ لـلـعـالـمـ.

هل أعطى الله الربوبية أو جزءاً منها لغيره من الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء؟

لا شك أن الربوبية أمر خاص بالله تعالى لم يعطـهـ لـغـيرـهـ، لا مـلـكـ مـقـرـبـ، ولا نـبـيـ مـرـسلـ، فـضـلـاـ عـنـ غـيرـهــاـ، فـالـخـالـقـ مـتـصـفـ بـالـرـبـوـبـيـةـ أـصـلـاـ وـالـخـلـقـ مـتـصـفـونـ بـالـعـبـودـيـةـ لـهـ أـبـداـ؛ وـلـذـلـكـ فـقـدـ رـدـ القـرـآنـ الـكـرـيمـ وـالـسـنـةـ الصـحـيـحةـ عـلـىـ مـنـ اـدـعـىـ أـنـ جـزـءـاـ إـلـهـاـ حلـاـ فيـ مـخـلـوقـ كـمـاـ تـدـعـيـهـ غـلـةـ الشـيـعـةـ وـالـصـوـفـيـةـ، وـهـيـ عـقـيـدةـ مـورـوثـةـ مـنـ دـيـنـ النـصـارـىـ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية # : " وكان رسول الله ﷺ يحقق عبوديته لئلا تقع الأمة فيما وقعت فيه النصارى في المسيح، من دعوى الألوهية، حتى قال له رجل: "ما شاء الله وشئت" فقال: ((أجعلتني الله نـدـاـ؟ بل ما شاء الله وحـدـهـ)). وقال أيضاً لأصحابـهـ: ((لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، بل قولـوا: ما شاء الله ثم شاء محمد)). وقال: ((لا تتخذوا قـبـريـ عـيـداـ؛ وـصـلـواـ عـلـيـ حـيـثـ مـاـ كـنـتـ)).

العقيدة خاص [١]

فإن صلاتكم تبلغني)) وقال: ((اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اخنعوا قبور أنبيائهم مساجد)). وقال: ((إِنَّمَا الْمُنَصَّوْفَةُ عَلَىٰ قَوْمٍ مَنْ كَانُوا يَتَخَذُونَ الْقَبُورَ مَسَاجِدًا، أَلَا فَلَا تَتَخَذُوا الْقَبُورَ مَسَاجِدًا؛ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنِ الدِّرْكِ)).

والغلو في الأمة وقع في طائفتين: طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهية، وطائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين، فمن توهם في نبينا أو غيره من الأنبياء شيئاً من الألوهية والربوبية فهو من جنس النصارى، وإنما حقوق الأنبياء ما جاء به الكتاب والسنة عنهم. قال تعالى في خطابه لبني إسرائيل: ﴿وَأَمَّا مِنْ أُمَّةٍ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَأَنْهَاهُمُ الْمُجْرِمُونَ وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسْنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجَرَّى مِنْ تَحْتِهَا أَلَانِهَرٌ﴾ [المائدة: ١٢] فقد بين الله في كفاية حقوق الرسول ﷺ: من الطاعة له، ومحبته، وتعزيره، وتوقيره، ونصره، وتحكيمه، والرضا بحكمه، والتسليم له، واتباعه، والصلاحة والتسليم عليه، وتقديمه على النفس والأهل والمال، ورد ما يتنازع فيه إليه، وغير ذلك من الحقوق... فاما العبادة والاستعانة فللله وحده لا شريك له كما قال: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] ﴿إِنَّمَا تَنْهَىٰكُمْ نَهْيًا وَإِنَّمَا تَنْهَاكُمْ نَهَايَةً﴾ [الفاطحة: ٥].. والدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة والمسألة والاستعانة... .

فالعبادة والاستعانة وما يدخل في ذلك من الدعاء والاستعانة، والخشية والرجاء والإئابة والتوكل، والتوبة، والاستغفار، كل هذا لله وحده لا شريك له؛ فال العبادة المتعلقة بألوهيته والاستعانة المتعلقة بربوبيته، والله رب العالمين لا إله إلا هو، ولا رب لنا غيره، لا ملك ولانبي ولا غيره، بل أكبر الكبائر الإشراك بالله

العقيدة خاص [١]

وأن تجعل له ندأً وهو خلقك ، والشرك أن تجعل لغيره شركاً، أي : نصيباً في عبادتك وتكلك واستعانتك". انتهى كلامه.

ويقول العلامة ابن القيم # : " ومن أسباب عبادة الأصنام : الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته ، حتى جعل فيه حظ من الإلهية ، وشبهوه بالله سبحانه ، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم ، الذي أبطله الله سبحانه ، وبعث رسلاه ، وأنزل كتبه وإنكاره والرد على أهله ، فهو سبحانه ينفي وينهي أن يجعل غيره مثلاً له ، وندأً له وشبهاً له ، لا أن يشبه هو بغيره ؛ إذ ليس في الأمم المعروفة أمة جعلت سلطانها مثلاً لشيء من مخلوقاته ، فجعلت المخلوق أصلًا ، وشبهت به الخالق ، فهذا لا يعرف في طائفة م طوائفبني آدم ، وإنما الأول هو المعروف في طواف أهل الشرك غلوًّا فيمن يعظمونه ، ويحبونه ، حتى شبهوه بالخالق ، وأعطوه خصائص الإلهية ؛ بل صرحو أنه إله ، وأنكروا جعل الآلة إلهة واحداً ، وقالوا : ﴿وَاصْدِرُوا عَلَىٰ إِلَهَتُكُمْ﴾ [ص: ٦] وصرحو بأنه إله معبد يرجى ويخاف ، ويعظم ويسجد له ، ويختلف باسمه وتقرب له القرابين .. إلى غير ذلك من خصائص العبادة التي لا تنبغي إلا لله تعالى ، فكل مشرك فهو مشبه لإلهه ومعبوده بالله ﷺ وإن لم يشبهه به من كل وجه ؛ حتى إن الذين كفروا وصفوه سبحانه بالنقائص والعيوب ، قال الله تعالى : ﴿قَاتُلُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١] ، وقال سبحانه : ﴿وَقَاتَلَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] وأنه استراح لما فرغ من خلق العالم ، والذين جعلوا له ولداً وصاحبة ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً - لم يكن قصدهم أن يجعلوا المخلوق أصلًا ، ثم يشبهون به الخالق ؛ وصفوه ثم يشبهون به الخالق ؛ بل وصفوه بهذه الأشياء استقلالاً ، لا قصدًا ، أن يكون غيره أصلًا فيها وهو مشبه به .. والمقصود أنه لم يكن في الأمم من مثله بخلق ، وجعل

العقيدة خاص [١]

المخلوق أصلًا ثم شبهه به، وإنما كان التمثيل والتشبيه في الأمم حيث شبهوا أو ثانهم ومعبوديهم به في الإلهية، وهذا التشبيه هو أصل عبادة الأصنام، فأعرض عنه وعن بيان بطلانه أهل الكلام، وصرفوا العناية إلى إنكار تشبيهه بالخلق الذي لم تعرف أمة من الأمم عليه، وبالغوا فيه حتى نفوا به عنده صفات الكمال... والقرآن مملوء من إبطال أن يكون في المخلوقات ما يشبه الله تعالى أو يماثله، فهذا هو الذي قصد بالقرآن إبطالاً لما عليه المشركون والمشبهون العادلون بالله تعالى غيره قال تعالى: ﴿فَلَا يَجْعَلُوا اللَّهَ أَنَدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَدَادًا يُحِبُّهُمْ كَحْبِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فهو لاء جعلوا المخلوق مثلاً للخلق...

فالذي أنكره الله سبحانه عليهم هو تشبيه المخلوق به حتى جعلوه ندًا لله تعالى يعبدونه كما يعبدون الله، وكذلك قوله في الآية الأخرى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَدَادًا يُحِبُّهُمْ كَحْبِ اللَّهِ﴾ فأنكر هذا التشبيه عليهم، وهو أصل عبادة الأصنام، ونظير هذا قوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ أَلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [آل عمران: ١٤] أي: يعدلون به غيره فيجعلون له من خلقه عدلاً شبيهاً.. وقال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَا فَاعْبُدُهُ وَاصْطَرِبْ لِعِنْدَهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَاً﴾ [آل عمران: ٦٥]. قال ابن عباس: "شبيهاً ومثلاً وهو من يساميه". وذلك نفي عن المخلوق أن يكون مشابهاً للخلق، ومائلاً له، بحيث يستحق العبادة والتعظيم، ولم يقل سبحانه: هل تعلم سميماً، أو مشبيهاً لغيره، فإن هذا لم يقله أحد؛ بل المشركون المشبهون جعلوا بعض المخلوقات مشابهاً له مساوياً وندأً وعدلاً، وأنكر عليهم هذا التشبيه والتمثيل". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

المبروك للثانوية

من أعطاه الله القدرة، أو أذن له ببعض الكشوفات، والتآثيرات الخارقة للعادة، لا يجعله مستحقياً لشيء من أنواع العبادة

لا ريب أن المستحق للعبادة هو الله - جل جلاله؛ لأنه خالق الكون ومدبر شؤونه، ومن أجل هذه العبادة خلق الثقلين الجن والإنس، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأرسل رسله وأنزل كتبه لكي يخرج الناس من عبادة غير الله إلى عبادة الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الظَّلْمَوْتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وهذه العبادة المطلوبة من الخلق هي الواسطة بينهم وبين الله تعالى كما أن النبوة أو الرسالة هي الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه، وهذه العبادة التي يتحقق بها توحيد العبودية هي الركبة التي يقوم عليها التوحيد، فإذا لاصق العبادة لله تعالى هو الأمر الذي طلبه القرآن من مشركي العرب في الجاهلية ليحفظوا أموالهم وأعراضهم ودماءهم، وقد حاربهم الرسول ﷺ من أجل عدم إخلاصهم في العبادة لله تعالى.

فإذا وجدنا من يظهر الله على يديه بعض الأمور الخارقة للعادة، فذلك إما أن يكون أحوالاً شيطانية، أو استدراجاً، وقد يكون من قبيل الكرامة؛ إلا أن هذا كله لا يخرج عن قدرة الله تعالى وأنه هو الذي أظهره على يد صاحب الخارج.

فإذن لا يجوز أن نعتقد في صاحب الكشوفات أو التآثيرات أو أن نصرف له شيئاً من العبادة، أو نعتقد فيه شيئاً من الربوبية كما هو معتقد أهل الأهواء والبدع. يقول الشيخ صنع الله الحلبي # في الرد على أصحاب هذا الاعتقاد: "هذا؛ وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أو للأولياء تصرفات في

العقيدة خاص [١]

حياتهم وبعد الممات ، ويستغاث بهم في الشدائـد والبليـات وبهمـهمـهم تـنكـشـفـ المـهـماـتـ ، فـيـأـتـونـ قـبـورـهـمـ وـيـنـادـونـهـمـ فيـ قـضـاءـ الـحـاجـاتـ مـسـتـدـلـينـ عـلـىـ أـنـ ذـلـكـ مـنـهـمـ كـرـامـاتـ ، وـقـالـواـ : مـنـهـمـ أـبـدـالـ وـنقـبـاءـ ، وـأـوتـادـ وـنـجـباءـ ، وـسـبـعـونـ وـسـبـعـةـ ، وـأـرـبـاعـونـ وـأـرـبـعـةـ وـالـقـطـبـ هوـ الغـوـثـ لـلـنـاسـ ، وـعـلـىـهـ الدـارـ بـلـاـ التـبـاسـ ، وـهـذـاـ كـلـامـ فـيـهـ تـفـريـطـ وـإـفـراـطـ ؛ بـلـ فـيـهـ الـهـلاـكـ الـأـبـدـيـ وـالـعـذـابـ السـرـمـدـيـ لـمـاـ فـيـهـ مـنـ رـوـائـحـ الـشـرـكـ الـمـحـقـقـةـ وـمـصـادـمـةـ الـكـتـابـ الـعـزـيزـ الـمـصـدـقـ وـمـخـالـفةـ لـعـقـائـدـ الـأـئـمـةـ وـمـاـ اـجـتـمـعـتـ عـلـىـهـ الـأـمـةـ". اـنـتـهـىـ كـلـامـهـ .

إجماع كثير على الإقرار بوحدانية الصانع وندرة القائلين بتعدد الآلهة :

إن التلازم التام قائم بين أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية؛ لأننا لا نتصور أن شخصاً ما يدعى أنه يؤمن بأحد أنواع التوحيد، ويرد الباقى ثم نسميه مسلماً، أو مؤمناً كامل الإيمان، ولأن كفار قريش لم ينفعهم إيمانهم بتوحيد الربوبية وذلك بسبب ردهم لتوحيد الألوهية، ويلزم من يؤمن بتوحيد الربوبية وبقربه، أن يؤمن بتوحيد الألوهية ويقر به؛ لأنه يلزم من إثبات الربوبية لله تعالى إثبات ألوهيته ضرورة.

وقد تناولنا قبل قضية مهمة وهي: هل يكفي توحيد الربوبية للدخول في الإسلام؟ وبيننا أن هذا النوع من التوحيد لا يكفي للدخول في الإسلام، ولو كان ذلك صحيحاً لاعتبر النبي ﷺ كفار قريش مؤمنين، ولما قاتلهم ولا سفك دماءهم ولا سبى ذراريـهمـ ؛ لأنـهـمـ معـصـومـونـ بـتـوـحـيدـ الـرـبـوـبـيـةـ وـإـقـرـارـهـمـ بـوـجـودـ الـخـالـقـ لـوـ كـانـ ذـلـكـ النـوـعـ مـنـ التـوـحـيدـ يـعـصـمـ ، لـمـاـ نـزـلـتـ آـيـاتـ الـوـحـيـ تـنـدـدـ بـفـعـلـهـمـ وـتـبـيـّنـ سـوـءـ اـعـقـادـهـمـ ، وـتـنـادـيـ عـلـيـهـمـ بـالـكـفـرـ وـالـشـرـكـ ، عـلـمـنـاـ يـقـيـنـاـ أـنـ إـثـبـاتـهـمـ

العقيدة خاص [١]

لربوبية الله تعالى وحدها لا يكفي لدخولهم في الإسلام، بل لا بد لهم مع ذلك وهو لازم له، من اعتقادهم وإثباتهم لألوهية الله تعالى، واستحقاقه وحده؛ لأن تصرف جميع أنواع العبادات خالصة لوجهه الكريم، وقد أوضحتنا بأن توحيد الربوبية وحده لا يكفي للدخول في الإسلام، فكذلك توحيد الربوبية وحده لا ينقذ من الشرك، ولا يعد من يقر به مؤمناً داخلًا في دائرة الإسلام، وخارجًا من دائرة الشريعة.

أما التوحيد الذي يعد صاحبه داخلًا في الإسلام وخارجًا من الشرك، ويكتفي للدخول في دائرة أهل الإيمان: فهو توحيد الألوهية الذي يعصم صاحبه، ويفوز دمه وماله وعرضه، فدل ذلك على أن التوحيد الذي هو أساس الإسلام وروح العقيدة ولب التوحيد هو توحيد الألوهية.

أيهما أسبق التوحيد أم الشرك؟

لقد ناقش العلماء هذه المسألة؛ فانقسموا على رأيين:

الرأي الأول - وهو مرجوح - : الشرك أسبق من التوحيد:

حيث ذهب بعض العلماء المشغلين بالتاريخ والآثار إلى أن الشرك كان أولًا ثم طرأ التوحيد.

واستدلوا على ما ذهبوا إليه بآثار ونقوش وجدوها، وكتابات منحوتة تدل على أن الشرك سابق لعقيدة التوحيد، واستدلوا بشيء آخر أيضًا: وهو أنهم وجدوا أن القبائل البدائية التي تعيش في أواسط إفريقيا، بعيدة عن حضارة العلم والتمدن، وهي على عقيدة الوثنية، وقالوا: إن عقيدة التوحيد مرحلة علمية

العقيدة خاص [١]

وحضارية لا تكون إلا بعد تقلبات عديدة تمر إثرها على كثير من التصورات الميتافيزيقية، أي: الغيبية، وكثير من الممارسات الوثنية: كالاعتقاد في الإنسان، أو الحيوان، أو مظاهر الكون الأخرى، كعبادة الشمس، والقمر، والنار، والمطر، والرعد، والبرق، وأخيراً ما وجد عند مشركي العرب من عبادة الأصنام، وهي:

تماثيل من الحجارة وضعوها على صور أشخاص مثل: هبل، وغيره من الأصنام التي يقال: إن عمر وبن لحي أتى بها إلى مكة قادماً من الشام.
وهذا الرأي مرجوح.

الرأي الثاني - وهو رأي الجمهور وهو الراجح - : التوحيد أسبق من الشرك :

ويؤيد هذا الرأي الدليل الواقع؛ فإن الله تعالى لما أهبط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض وتناسلا، وكثرت ذريةبني آدم كان الله تعالى يبعث في كل أمة رسولاً، وكان أول ظهور للشرك في قوم نوح # يقول الشيخ حافظ الحكمي # "أول ما ظهر في قوم نوح على المشهور، وقد كان بنو آدم على ملة أبيهم # نحو عشرة قرون - كما قدمنا - وبه قال ابن عباس وغيره في تفسيره قوله ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَجَدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيًّا مُّبَشِّرًا وَمُنذِرًا وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُواهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أُبَيَّنَتْ بَعْيَانًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَأَلَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣] وذلك لأن الشيطان لعن الله لم يزل دائباً جاداً مستمراً في عداوةبني آدم # منذ كان أبوهم طيناً، فلما نفح الله فيه الروح، وعلمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم إلا

العقيدة خاص [١]

إبليس أبي واستكبر وكان من الكافرين: ﴿ قَالَ إِنَّمَا سَجَدْتُ لِمَنْ خَلَقَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١] وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَمَّا كُنْتُ لَا سَجَدْتُ لِشَرِّ خَلْقَتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَّا مَسْتَوْنِ ﴾ [الحجر: ٣٣] فلما سأله الله تعالى عن سبب امتناعه من السجود واستكباره عن أمر ربه - والله تعالى أعلم به - فقال سبحانه له: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمْرَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢] فأجاب الخبيث مفتخرًا بأصله طاغيًا على ربه تعالى في حكمته وعلمه: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [ص: ٧٦] فعامله الجبار بنقيض ما قصده وأذاقه وبالحسد، وأثر له استكباره الذل الأبدي الذي لا عز بعده: ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَنْكِبَرَ فِيهَا فَأَخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الْمُصْغَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣].... ثم كان من كيد الشيطان ما قص الله تعالى من إلقائه الفتنة بينبني آدم، وقتل أحدهما الآخر كما في سورة المائدة، ولما مات آدم # وكان وصيه شيئا # ومضت تلك المدة التي ذكرنا، والناس كلهم على شريعة من الحق، كما قال ابن جرير #: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا أبو داود أخبرنا همام، عن قتادة، عن عكرمة عن ابن عباس { قال: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلقوها، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين" ... وقد قص الله تعالى في كتابه كل ذلك مفصلاً عن الأمم ورسلهم". انتهى كلامه.

ولما نقل ابن كثير # هذه الرواية عن ابن جرير الطبرى # وهي رواية ابن عباس { كما ترون، ونقل معها روایات آخر عقب ابن كثير بقوله: "والقول الأول عن ابن عباس أصح سنداً ومعنى؛ لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحًا # فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

وبهذا يتضح لنا أن معرفة الله تعالى والإقرار به أمر سابق لحدوث الشرك وعبادة غير الله تعالى؛ ولهذا لما سئل شيخ الإسلام ابن تيمية # عن دليل الفطرة وأن معرفة الله تعالى هل هي فطرية أم تناول بالنظر؛ قال # : "يختلف باختلاف الناس، ولكن الصحيح أنها فطرية؛ لأنه قد ثبت أن النبي ﷺ قال: ((كل مولود يولد على الفطرة)) ولكن قد يعرض للفطرة ما يفسدها فتحتاج حينئذ إلى النظر فهي في الأصل ضرورية، وقد تكون نظرية ثم المعرفة الواجبة لا تتعلق بنظر خاص، بل قد تحصل ضرورية، فتصفية النفس ورياضتها من أعظم الأسباب في حصول المعرفة الضرورية؛ ولكن قد يحتاج إلى أمور يجب الإيمان بها فيتوقف على النظر، فيجب النظر لما طرأ على الفطرة من الفساد، فإن كون هذا العالم لا يدل له من صانع و خالق، ومدبر فهذا ضروري، فكون لا يعرف هذا إلا بطريق النظر، فيه نظر وأي نظر؟ بل هو معلوم عقلاً وواجب عقلاً، وقد أركزه الله تعالى في فطرة مخلوقاته ، متحركها وساكنها ، ناطقها وصامتها ، حيوانها ، وجمادها ، كما تقدم أنها مسبحة بمحمه عارفة به ، ففي كل شيء له آية : تدل على أنه واحد . انتهى كلامه .

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية # أيضاً في رسالة الفطرة : "ولقد حدثنا شيخنا ابن قاضي الجبل عن بعض العلماء لا أستحضره قال : لو ترك طفل رضيع في بيته لا يكلم ، وله من يقوم بأمره لعرف ربه ، ونطق بالسريانية ، وكون نطق بفطرته التي فطر عليها لم يستعبد". انتهى كلامه .

ولما ذكر ابن أبي العز الحنفي # حديث الفطرة وهو قوله ﷺ : ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)) قال : "ولا يقال : إن معناه يولد ساذجاً لا يعرف توحيداً ولا شركاً - كما قال بعضهم - لما تلونا ،

العقيدة خاص [١]

ولقوله ﷺ فيما يروي عن ربه عَزَّوجلَّ : ((خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين)) الحديث ، وفي الحديث المقدم ما يدل على ذلك ؛ حيث قال : ((يهودانه أو ينصرانه أو يجسانه)) ولم يقل : ويسلمانه ، وفي رواية : ((يولد على الملة)) وفي أخرى : ((على هذه الملة)). انتهى كلامه.

من أنكر وجود الله تعالى

لقد قدمنا أن الإقرار بالصانع ، وأن للكون موجوداً ، خلقه ، ودبر شؤونه ، وقدر أمره ، أمر فطري مستقر في الفطر السليمة التي لم تتأثر بالمغيرات الطارئة ، وأن المشركين المعاندين المعادين للرسل في جميع الأمم لم يكن جدالهم وخصومتهم مع الرسل الواسطة بينهم وبين الله تعالى في ربوبية الله تعالى ، لأن هذا أمر مجمع عليه ، وإنما كانت الخصومة بين الرسل وأئمهم في أمر آخر ، هو توحيد الألوهية ، وأن الله تعالى الذي تقر جميع الأمم بربوبيته وحالقيته أنه تصرف له جميع أنواع العبادات خالصة لوجهه الكريم من غير أن يصرف شيء منها لغيره من الوسطاء والشركاء والمقربين المزعومين ، إلا أنه ظهر في بعض الأمم من يدعى إنكار وجوده هذا الخالق داعياً أمته إلى عبادته هو والعياذ بالله تعالى.

وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون ، وكان مستيقناً بالخالق في الباطن ، يقول الشيخ ابن أبي العز الحنفي # : " وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقشه طائفة معروفة من بني آدم ، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات ، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم : ﴿أَفِ الَّهُ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠] وأشهر

العقيدة خاص [١]

من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقناً به في الباطن، كما قال موسى : ﴿ قَالَ لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَارِبَرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقال تعالى عنه وعن قومه : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقَنْتَهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤] ولهذا لما قال : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣] على وجه الإنكار وتتجاهل العارف ، قال له موسى : ﴿ قَالَ رَبُّ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَمَا إِن كُنْتُ مُوقِنِي ﴾ ٢٤ ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ أَلَا تَسْتَعِنُونَ ﴾ ٢٥ ﴿ قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبُّ إَبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ٢٦ ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لِجَنَّوْنَ ﴾ ٢٧ ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا يَنْهَمَا إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٤ - ٢٨] وقد زعم طائفة أن فرعون سأل موسى مستفهمًا عن الماهية ، وأن المسؤول عنه لما لم يكن له ماهية عجز موسى عن الجواب ! وهذا غلط ، وإنما هذا استفهام إنكار وجحد ، كما دل سائر آيات القرآن على أن فرعون كان جاحداً لله نافياً له لم يكن مثبتاً له طالباً للعلم ب Maherite ، فلهذا بين لهم موسى أنه معروف ، وأن آياته ودلائل ربوبيته أظهر وأشهر من أن يسأل عنه بـ : "ما هو؟" بل إنه أعرف وأظهر وأبين من أن يجعل ؛ بل معرفته مستقرة في الفطر أعظم من كل معروف". انتهى كلامه.

والمقصود أن الشرك ، وإن كان وجوده في العالم كثيراً ؛ إلا أن إنكار الصانع بالكلية وجحده قليل - كما قدمنا - حتى إن مشركي العرب في الجاهلية - مع فشو إشراكهم بالله تعالى ، وعبادتهم الأصنام مع الله تعالى - لم يكونوا ينكرون وجود الصانع ، وإنما كانوا يعبدون الأصنام مثل "هبل" و"اللات" و"العزى" و"مناة" ويزعمون أنها آلة تقربهم من الله تعالى زلفى ، وأن هذه الأصنام وإن كانت في

العقيدة خاص [١]

اعتقادهم آلهة إلا أن الله تعالى هو الإله الأكبر، أو إله الآلهة، قال تعالى - حكاية عَنْهُمْ - ﴿وَالَّذِينَ أَخْنَدُوا مِنْ دُونِهِ أَوْ لِيَاءَ مَا نَعْبُدُ هُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الرُّمَرُ: ٣] وقال تعالى أيضاً عنهم: ﴿أَجَعَلَ الْأَكْلَهُ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ بُحَاجَّ﴾ [ص: ٥] ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم:

لبيك لا شريك لك ❁ إلا شريك لك
تملكه وما ملك

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية # : "وأما الربوبية فكانوا مقررين بها؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُوا اللَّهُ﴾ [الرُّمَرُ: ٣٨] و قال: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعَامِلُونَ ﴾٨٤ سَيَقُولُونَ
لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّمَبِيعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوتُونَ ٨٦ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ
يُحِيدُ وَلَا يُجَاهِرُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعَامِلُونَ ٨٧ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَإِنَّ شُّرَحَوْنَ ﴾٨٨

[المؤمنون: ٨٩ - ٨٤].

وما اعتقد أحد منهم قط أن الأصنام هي التي تنزل الغيث ، وترزق العالم وتتدبره ، وإنما كان شركهم - كما ذكرنا - اتخاذهم من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، وهذا المعنى يدل على أن من أحب شيئاً من دون الله كما يحب الله تعالى ؛ فقد أشرك ، وهذا قوله: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ٩٦ تَأَلَّهُ إِنْ كُنَّا لَهُ فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٩٧ إِذَا سُوِّيَّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٦ - ٩٨] وكذا من خاف أحداً كما يخاف الله ، أو رجاه كما يرجو الله... وما أشبه ذلك". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

القائلون بتعدد الآلهة

إن للقائلين بتعدد الآلهة أقوالاً شادة بين الطوائف والملل، مع الإجماع على أنهم لم يدعوا أن للعالم صانعين متماثلين في الصفات والأفعال؛ بل لا بد أن يكون لأحد الآلهة صفة فارقة عن الآخر، وبذلك تبطل إلهيته الآخر، يقول ابن أبي العز الحنفي # : "ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال: إن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال؛ فإن الثنوية من الجوس، والمانوية القائلين بالأصلين: النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما متفقون على أن النور خير من الظلمة، هل هي قدية أو محدثة؟ فلم يثبتوا ربيبين متماثلين، وأما النصارى القائلون بالتشييث؛ فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أبواب ينفصل بعضهم عن بعض، بل متفقون على أن صانع العالم واحد، ويقول: باسم ابن، والأب، وروح القدس إله واحد. وقولهم في التشييث متناقض في نفسه، والمقصود هنا: أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين، مع أن كثيراً من أهل الكلام والنظر والفلسفة تعبوا في إثبات هذا المطلوب وتقريره، ومنهم من اعترف بالعجز عن تقرير هذا بالعقل، وزعم أنه يتلقى من السمع ... ولما كان الشكر في الربوبية معلوم الامتناع عند الناس كلهم باعتبار إثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال، وإنما ذهب بعض المشركين إلى أن ثم خالقاً خلق بعض العالم، كما ي قوله الثنوية في الظلمة، وكما ي قوله القدرة في أفعال الحيوان، وكما يقوله الفلاسفة الدهرية في حركة الأفلاك، أو حركات النفوس، أو الأجسام

العقيدة خاص [١]

الطبيعية ؛ فإن هؤلاء يثبتون أموراً محدثة بدون إحداث الله إياها ، فهم مشركون في بعض الربوبية ، وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في آلهته شيئاً من نفع أو ضر ، بدون أن يخلق الله ذلك ، فلما كان هذا الشرك موجوداً في الناس بين القرآن بطلانه ، كما في قوله تعالى : ﴿مَا أَنْخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّابَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون : ٩١] فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر ، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً ، يوصل إلى عابده النفع ، ويدفع عنه الضر ، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة ... فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته مستقر في الفطر معلوم بتصريح العقل بطلانه ، فكذا تبطل إلهية اثنين ". انتهى كلامه #.

وبهذا يتضح تخبط القائلين بتعدد الآلهة ، ويبيطل تصور إلهين متصرفين في الوجود ، فلم يبق إلا الرجوع إلى الحق ، وموافقة الفطرة السليمة والإيمان بربوبية الله تعالى وحده وتحقيق إلهيته وكل والله تعالى أعلم.

العقيدة خاص [١]

المقرر المنشئ

بيان أن اعتقاد أهل الحلول والاخاد من الشرك
في الربوبية، وبيان بطلانه ونقضه

عناصر الدرس

- ٦١ العنصر الأول : امداد بالحلول والاخاد
- ٦٦ العنصر الثاني : من هم أصحاب هذا المعتقد الفاسد؟
- ٦٩ العنصر الثالث : بطلان هذا المعتقد بالعقل والنقل

العقيدة خاص [١]

المراد بالحلول والاتحاد

نحن أمام موضوع جديد، ومع أصحاب اعتقاد فريد، ألا وهو اعتقاد أهل الحلول والاتحاد من غلاة الصوفية والملحدة والزنادقة، وهو نوع من الشرك في الربوبية.

من هم أهل الحلول والاتحاد؟

هناك من غلا في إثبات الربوبية، مع أن أدلةها في مظاهر الكون كثيرة، حيث ذهب إلى هذا الاعتقاد الفاسد غلاة الصوفية الذين يرون أن الحق - جل وعلا - حل في كل مخلوق، واتحد بكل شيء، فإذا نظر أحدهم إلى أي مظهر من مظاهر الكون اعتقد أنه ينظر إلى الله - جل جلاله - حتى إذا سئلوا عن هذا الكون، قالوا: ما ثم إلا الله.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية # حقيقة هذا الاعتقاد الباطل بقوله: "حقيقة قول هؤلاء: أن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره، ولا شيء سواه البتة، ولهذا من سماهم حلولية، أو قال هم قائلون بالحلول رأوه محجوباً عن معرفة قولهم، خارجاً عن الدخول إلى باطن أمرهم؛ لأن من قال: إن الله يحل في المخلوقات فقد قال بأن المخل غير الحال، وهذا ثنية عندهم وإثبات لوجودين: أحدهما: وجود الحق الحال.

الثاني: وجود المخلوق المحل، وهم لا يقررون بإثبات وجودين البتة. ولا ريب أن هذا القول أقل كفراً من قولهم، وهو قول كثير من الجهمية الذين كان السلف

العقيدة خاص [١]

يردون قولهم، وهم الذين يزعمون أن الله بذاته في كل مكان، وقد ذكره جماعات من الأئمة والسلف عن الجهمية، وكفروهم به، بل جعلهم خلق من الأئمة: كابن المبارك، ويوسف بن أسباط، وطائفة من أهل العلم والحديث من أصحاب أحمد وغيره. خارجين بذلك عن الشتتين والسبعين فرقة. وهو قول بعض متكلمة الجهمية وكثير من متبعديهم، ولا ريب أن إلحاد هؤلاء المتأخرین وتجهمهم وزندقتهم تفريغ وتكميل لإلحاد هذه الجهمية الأولى وتجهمها وزندقتها.

وأما وجه تسميتهم اتحادية ففيه طریقان:

أحدهما: لا يرضونه؛ لأن الاتحاد على وزن الاقتران، والاقتران يتضمن شيئاً أحدهما بالآخر وهم لا يقرّون بوجودين أبداً.

الثاني: صحة ذلك بناءً على أن الكثرة صارت وحدة -كما سنبيّنه من اضطرابهم- وهذه الطريقة إما على مذهب ابن عربى، فإنه يجعل الوجود غير الثبوت، ويقول: إن وجود الحق قاضي على ثبوت المكنات، فيصبح الاتحاد بين الوجود والثبت، وأما على قول من لا يفرق فيقول: إن الكثرة الخيالية صارت وحدة بعد الكشف، أو الكثرة العينية صارت وحدة إطلاقية، ولما كان أصلهم الذي بنوا عليه: أن وجود المخلوقات والمصنوعات حتى وجود الجن والشياطين، والكافرين والفاسقين، والكلاب والخنازير والنجاسات والكفر، والفسق والعصيان عينُ وجود الرب، لا أنه تميّز عنه منفصل عن ذاته، وإن كان مخلوقاً له، مربوياً مصنوعاً له، قائماً به، وهم يشهدون أن في الكائنات تفرقاً وكثرةً ظاهرةً بالحس والعقل، فاحتاجوا إلى جمع يزيل الكثرة، ووحدة ترفع التفرق مع ثبوتها، فاضطربوا على ثلات مقالات.

العقيدة خاص [١]

ونحن هنا نبين هذه المقالات ، وإن كانوا هم لا يبيّن بعضُهم مقالةً نفسِه ، ومقالةً غيره ؛ لعدم كمال شهود الحق وتصوره .

المقالة الأولى : مقالة ابن عربي صاحب (فصوص الحكم) :

وهي مع كونها كفراً، فهو أقربُهم إلى الإسلام لما يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثيراً؛ ولأنه لا يثبت على الاتحاد ثبات غيره؛ بل هو الاضطراب فيه، وإنما هو قائم مع خياله الواسع الذي يتخيّل فيه الحق تارةً، والباطل أخرى. والله أعلم بما مات عليه.

ومقالته مبنية على أصلين :

الأصل الأول : أن المعدوم شيء ثابت في العدم ، موافقة لمن قال ذلك من المعتزلة والرافضة ، وأول من ابتدع هذه المقالة في الإسلام : أبو عثمان الشحّام شيخ أبي علي الجبائي ، وتبعه عليها طوائف من القدريّة المبتدعة من المعتزلة والرافضة ، وهؤلاء يقولون : إن كل معدوم يمكن وجوده ، فإن حقيقته وما هي وعيته ثابتة في العدم ؛ لأنّه لو لا ثبوتها لما تميز عن المعلوم المخبر عنه من غير المعلوم المخبر عنه ، وكما صرّح قصد ما يراد إيجاده ؛ لأن القصد يستدعي التمييز ، والتمييز لا يكون إلا في شيء ثابت . لكن هؤلاء - وإن ابتدعوا هذه المقالة التي هي باطلة في نفسها ، وفي كفرهم بها طوائف من متكلمة السنة - يعترفون بأن الله خلق وجودها ولا يقولون : إن عين وجودها عين وجود الحق .

وأما صاحب (الفصوص) وأتباعه فيقولون : عين وجودها عين وجود الحق ، فهي متميزة بذواتها الثابتة في العدم ، متحدة بوجود الحق القائم بها . وعمادة كلامه ينبغي على هذا لمن تدبره وفهمه ...

العقيدة خاص [١]

وهو لاء القائلون بأن المعدوم شيء ثابت في العدم - سواء قالوا بأن وجودها خلق لله أو هو الله - يقولون: إن الماهيات والأعيان غير مجعلة ولا مخلوقة، وإن وجود كل شيء قدر زائد على ماهيته، وقد يقولون: الوجود صفة للموجود. وهذا القول وإن كان فيه شبه بقول القائلين بقدم العالم، أو القائلين بقدم مادة العالم، و "هيولاه" المتميزة عن صورته فليس هو إيه، وإن كليهما قدر مشترك؛ فإن هذه الصورة المحدثة من الحيوانات والنبات والمعادن ليست قدية باتفاق جميع العقلاء؛ بل هي كائنة بعد أن لم تكن...

واعلم، أن المذهب إذا كان باطلًا في نفسه، لم يمكن الناقد له أن ينقله على وجه يتصوره تصوراً حقيقياً؛ فإن هذا لا يكون إلا للحق، فأما القول الباطل فإذا بين فيبأنه يظهر فساده، حتى يقال: كيف اشتبه هذا على أحد، ويتعجب من اعتقادهم إيه، ولا ينبغي للإنسان أن يعجب، فما من شيء يتخيّل من أنواع الباطل إلا وقد ذهب إليه فريق من الناس، ولهذا وصف الله أهل الباطل بأنهم أموات، وأنهم: ﴿صُمٌّ بَكُمْ عُمَّى﴾ [آل عمران: ١٨] وأنهم: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وأنهم: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]، وأنهم: ﴿يَعْمَهُونَ﴾

[يونس: ١١] ...

فهذا أحد أصلي ابن عربي.

الأصل الثاني: فقولهم: إن وجود الأعيان نفس وجود الحق وعينه، وهذا انفردوا به عن جميع مشيئة الصانع من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والشركين، وإنما هو حقيقة قول فرعون والقرامطة المنكرين لوجود الصانع - كما سنبينه إن شاء الله - فَمَنْ فَهِمَ هَذَا فَهُمْ جَمِيعَ الْأَنْفَالِ الْمُنْكِرِينَ، وما يدعوه من أن الحق يغتدي بالخلق؛ لأن وجود الأعيان مفتدى بالأعيان الثابتة في العدم.

العقيدة خاص [١]

المصريون للتألث

ولهذا يقول بالجمع من حيث الوجود، وبالفرق من حيث الماهية والأعيان، ويزعم أن هذا هوس القدر.. فتدبر كلامه كيف انتظم شيئاً :

"إنكار وجود الحق، وإنكار خلقه لخلوقاته، فهو منكر للرب الذي خلق، فلا يقر بربٌّ، ولا خلقٍ، ومنكر لرب العالمين، فلا رب ولا عالمون مربوبون، ولا الوجود مربوب، ولا الأعيان مخلوقة، ولا الوجود مخلوق". انتهى كلامه.

وقال الشيخ حافظ الحكمي #، وهو يعد الملاحدة في توحيد المعرفة والإثبات - : "الطائفة الثالثة : الاتحادية. وهم القائلون : إن الوجود بأسره هو الحق، وأن الكثرة وهم ؛ بل جميع الأضداد المقابلة، والأشياء المعاوضة، الكل شيء واحد هو معبودهم في زعمهم، وهم طائفة ابن عربي الطائي صاحب (الفتوحات المكية)، و(فصوص الحكم)، وغيرها، حرف فيه الكلم عن مواضعه، وتلاعب فيه بمعاني الآيات ، وأتى بکفر لا يشبه کفر اليهود الذين قالوا : عزير ابن الله ، ولا النصارى الذين قالوا : المسيح ابن الله ، وقالوا : هو الله ، وقالوا : ثالث ثلاثة ؛ فإن النصارى وأشباههم خصوا الحلول والاتحاد بشخص معين ، وهؤلاء جعلوا الوجود بأسره على اختلاف أنواعه ويقابل أضداده مما لا يسوغ التلفظ بمحكماته ، هو المعبد ، فلم يکفر هذا الكفر أحد من الناس ، وكان هذا المذهب الذي انتحله ابن عربي ، ونظمه ابن الفارض في تائيته (نظم السلوك) وأصل هذا المذهب الملعون انتحله ابن سبعين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوطي ، نسبته إلى "رقطة" بلدة قريبة من "مرسية". ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة ، فتولد له الإلحاد من ذلك ، وصنف فيه... وقد أقام بمكة... وجاءه بعض الأوقات بغار حراء ، يرجي فيه الوحي أن

العقيدة خاص [ا]

ينزل عليه كما أتى النبي ﷺ بناءً على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة، وأنها فيُضيّق على العقل إذا صفا، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة إن كان مات على ذلك، وكان إذا رأى الطائفين حول البيت، يقول عنهم: كأنهم الحمير حول الدار، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت". انتهى كلامه.

من هم أصحاب هذا المعتقد الفاسد؟

لقد قلنا عند ذكرنا لهذه المقالة الشنيعة: أن بعضًا من غلاة الصوفية المشغلين بالفلسفة، وعلم السيمياء، وعلم الأوائل، هم الذين ذهبوا إلى هذا القول الشنيع؛ وهو أن الله -تعالى عن قولهم- حل في المخلوقات، واتحد بها، وهذا الاتحاد والحلول إما عام، وإما خاص.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية #:

"واعلم، أن هذه المقالات لا أعرفها لأحد من أمّة قبل هؤلاء على هذا الوجه؛ ولكن رأيت في بعض اكتب الفلسفة المنقوله عن أرسطو، أنه حكى عن بعض الفلاسفة قوله: إن الوجود واحد، ورد ذلك، وحسبك بمذهب لا يرضاه متكلمة الصابئين، وإنما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار، وإنما كان الكفر الحلول العام، أو الاتحاد، أو الحلول الخاص، وذلك أن القسمة رباعية؛ لأن من جعل الرب هو العبد حقيقة؛ فإنما أن يقول بحلوله فيه، أو اتحاده به، وعلى التقديرتين فإنما أن يجعل ذلك مختصًا ببعض الخلق كاليسوع، أو يجعله عامًا لجميع الخلق.

العقيدة خاص [١]

المصري للتأشیر

فهذه أربعة أقسام :

الأول : الحلول الخاص ؛ وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم من يقول : إن اللاهوت حل في الناسوت وتدرع به كحلول الماء في الإناء ، وهؤلاء حققوا كفر النصارى بسبب مخالطتهم للمسلمين ، وكان أولهم في زمن المؤمنون ، وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالبية هذه الأمة ، كغالبية الرافضة الذين يقولون : إنه حل في على بن أبي طالب ، وأئمته أهل بيته ، وغالبية النساك الذين يقولون بالحلول في الأولياء ، ومن يعتقدون فيه الولاية ، كابن حلاج ويونس والحاكم ، ونحو هؤلاء .

الثاني : الاتحاد الخاص ؛ وهو قول يقوية النصارى ، وهم أثبت قولًا ، وهم السودان والقبط ، يقولون : إن اللاهوت والناسوت اختلطاً وامتزجاً كاختلاط اللبن بالماء ، وهو قول من وافق هؤلاء من غالبية المنتسبين إلى الإسلام.

الثالث : الحلول العام ؛ وهو القول الذي ذكره أئمّة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين ، وهو قول غالب متبعه الجهمية الذين يقولون : إن الله بذاته في كل مكان ، ويتمسكون بتشابهه من القرآن قوله : ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٢٣] قوله : ﴿وَهُوَ مَعْلُوٌ﴾ [الحديد: ٤] والرد على هؤلاء كثير مشهور في كلام أئمّة السنة ، وأهل المعرفة وعلماء الحديث.

الرابع : الاتحاد العام ؛ وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات ، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

رؤساء الغلة من الصوفية القائلون بالحلول والاتحاد:

١- أبو بكر محى محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بابن عربي، ولد بمرسية سنة ٥٦٠هـ، ونشأ بها وترحل في البلدان، وكانت وفاته بدمشق سنة ٦٣٨هـ.

وذكر صاحب (جلاء العينين) أن له اختبارات فقهية وغيرها تعدد من الأقوال الغريبة: "منها: قوله: بجواز مسح الرجلين في الوضوء، ومنها: قوله: بجواز السجود في التلاوة إلى أي وجهة كانت، ومنها: جواز إماماة المرأة للنساء والرجال، ومنها: قوله: إن الماء الذي تحالطه النجاسة ولم يتغير أحد أوصافه مطهر غير ظاهر في نفسه... ومنها: أن غسل يوم الجمعة فرض، وإليه ذهب أيضاً بعض العلماء، ومنها: أنه لا يؤثر نزع الخف في طهارة القدم، ومنها: أنه لا يجوز أن يسمى الله تعالى "مختاراً"، كما نقله عنه الجيلي، ومنها: القول بإيمان فرعون، ومنها: عدم القضاء على تارك الصلاة". انتهى كلامه.

٢- أبو حفص عمر بن أبي الحسن الحموي الأصل المصري المولد، والدار، والوفاة، المعروف بابن الفارض، ولد سنة ٥٧٦هـ بالقاهرة، وتوفي بها سنة ٦٣٢هـ ومن شعره المشعر بالحلول والاتحاد، وما ذكره صاحب (مصرع التصوف)،

وهو قوله:

هَا صلوٰتِي بِالْمَقْامِ أَقِيمَهَا ❁ وَأَشَهُدُ فِيهَا أَنَّهَا لِي صَلَتْ
كَلَّا نَا مَصْلُ سَاجِدٌ إِلَى ❁ حَقِيقَتِهِ بِالْجَمْعِ فِي كُلِّ سَجْدَةٍ
وَمَا كَانَ لِي صَلَى سَوَّا يَوْمَ تَكُونُ ❁ صَلَاتِي لِغَيْرِي فِي أَدَاءِ كُلِّ رَكْعَةٍ

العقيدة خاص [١]

٣- ومنهم: الحلاج، والعفيف التلمساني، والقونوي، وابن هود، وابن سبعين، وتلميذه الششتري، وابن مظفر، والصفار، ومَنْ تبعهم على هذه المقالة الشنية، التي ينكراها الشرع والعقلُ كما سنبينه في العنصر التالي:

بطلان هذا المعتقد بالعقل والنقد

لا يشك عاقل في أن القائل: "ما في الجبة إلا الله" أو "سبحانني ما أعظم شاني" كما هو منقول عن البسطامي.

أو كما قال الآخر:

الرب حق والعبد حق ♦ يا ليت شعرى من امكلي؟
إن قلت عبد فترك ميت ♦ أو قلت رب أنى يكلف؟
وقول الآخر:

وفي كل شيء له آية ♦ تدل على أنه عينه
وقول الاتحادي الآخر:

وما أنت غير الكون ♦ بل أنت عينه
ويفهم هذا السر ♦ من هو ذاته

إن هذه الأقوال تؤدي للكفر -والعياذ بالله تعالى- لأنها تجعل الخالق عين المخلوق، وتلغى الفرق بين الحي الذي يموت، وبين الحي الذي لا يموت، بل قل: إنها تنفي وجود الرب -تبارك وتعالى- وتجعل الإنسان إلهاً، كما صرّح بذلك بعض المتبعين لطريقة هؤلاء الغلاة من الصوفية المتكلسين.

العقيدة خاص [١]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية #

"وقد كان عندنا بدمشق الشيخ المشهور الذي يقال له: ابن هود، وكان من أعظم من رأيناه من هؤلاء الاتحادية، زهدًا ومعرفة ورياضة، وكان من أشد الناس تعظيمًا لابن سبعين، ومفضلاً له عنده على ابن عربي وغلامه إسحاق، وأكثر الناس من الكبار والصغر، وكانوا يطعونه، وكان أصحابه الخواص به يعتقدون فيه أنه الله، وأنه المسيح ابن مريم ويقولون: إن أمه كان اسمها مريم". انتهى كلامه.

وقال أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) مبينًا بطلان عقيدة الحلول والاتحاد:

"مذهب هؤلاء الاتحادية كابن عربي، وابن سبعين، والقوني، والتلمصاني، مركب من ثلاثة مواد: سلب الجهمية، وتعطيلهم، ومجملات الصوفية، ومن الرزدقة الفلسفية التي هي أصل التجهم". انتهى.

وما يبطل معتقدهم هذا زعمهم أن فرعون مات مؤمنًا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية #: "وهذا القول كفر معلوم، فсадه بالاضطرار من دين الإسلام لم يسبق ابن عربي إليه أحد فيما أعلم من أهل القبلة، بل ولا من اليهود ولا من النصارى، بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

المصريون للتألث

وبالجملة :

فقد دل النقل على بطلان عقيدة الخلول والاتحاد، ومن ذلك قول الله تعالى:

﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ [النحل: ١٧]

وتهافت هذا الاعتقاد؛ لأن العقل الصحيح يمنعه أن يتصور أن الحي الذي لا يموت يحل في جسد الجماد أو الحي الذي يموت ويفنى، كما أنه يلزم على قول الاتحادية أن يحل الخالق -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- في الحيوانات كالكلب والخنزير، كما صرخ بذلك شاعرهم حيث يقول:

وَمَا الْكَلْبُ وَالخَنْزِيرُ إِلَّا إِلَهُنَا ❖ وَمَا اللَّهُ إِلَّا رَاهِبٌ فِي كُنْيَسَةٍ
كما أنه يحل في الأماكن المستقدمة -على قوله المستقبح- وكل هذا يردء أهل
العقل السليمة، والفطر المستقيمة.

العقيدة خاص [١]

المقرر الرابع

بيان ما هو الإلحاد قديماً وحديثاً
وإبطاله على ضوء الكتاب والسنة

عناصر الدرس

- | | |
|----|---|
| ٧٥ | العنصر الأول : تعريف الإلحاد لغةً واصطلاحاً |
| ٧٧ | العنصر الثاني : أسباب ظهور الإلحاد |
| ٨٣ | العنصر الثالث : آثار الإلحاد |
| ٨٤ | العنصر الرابع : الرد على الملحدين |

العقيدة خاص [١]

تعريف الإلحاد لغةً واصطلاحاً

أولاً: الإلحاد لغةً:

إذا تبعنا كلمة "لحد" في المعاجم اللغوية وجدناها تشير إلى معنى الميل والتجانفي، والعدول والمخاصلة، والظلم، والشق، والطعن والجدال والمماراة.

ففي (مختار الصحاح): "يقول: أخذ الرجل في دين الله، أي: حاد عنه، وعدَّ، ولحد من باب قطع لغة فيه: وقرئ: ﴿لَسَابُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ [النحل: ١٠٣] والتَّحَدَّدَ مثله، وأخذ الرجل: ظلم في الحرم. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدُ فِيهِ بِالْحَكَمِ يُظْلَمُ﴾ [الحج: ٢٥] أي: إلحاداً بظلم وباء زائدة". انتهى بحروفه.

وفي (المصباح المنير): يقال: "لحد الرجل في الدين لحدًا، وأخذ إلحاداً": طعن. قال بعض الأئمة: والملحدون في زماننا هم الباطنية الذين يدعون أن للقرآن ظاهراً وباطناً، وأنهم يعلمون الباطن فأحالوا بذلك الشريعة؛ لأنهم تأولوا بما يخالف العربية التي نزل بها القرآن، وقال أبو عبيدة: أخذ إلحاداً: جادل ومارى، ولحد: جار وظلم، وأخذ في الحرم بالألف: استحل حرمته وانتهكها". انتهى.

وقال الفيروزآبادي اللغوي # : "يقال: أخذ الرجل إلى الرجل: إذا مال كالتحدد، وأخذ: مال وعدل ومارى وجادل، وأخذ في الحرم: ترك القصد فيما أمر به، وأشرك بالله، أو ظلم أو احتكر الطعام، وأخذ بزيد: أزرى به وقال عليه باطلًا". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

ثانياً: الإلحاد اصطلاحاً:

يوضح لنا عبد الرحمن عبد الخالق المراد بالإلحاد في كتابه (الإلحاد): "الإلحاد: الكفر بالله، والميّل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار، وتكريس الحياة كلها للدنيا فقط... وقد أصبح الإلحاد هو الدين الرسمي المنصوص عليه في كل دساتير البلدان الأوروبية والأمريكية، ويعبر عن ذلك بالعلمانية تارةً، واللا دينية تارةً أخرى، وكل ذلك يعني الإلحاد والكفر بالله". انتهى كلامه.

ويقول الدكتور محمود عبد الحكيم عثمان بعد أن ذكر أنه سيتبع أقوال المعجميين العرب والمفسرين والكتاب المحدثين لبيان مصطلح الإلحاد:

وقد وصلتُ بواسطة هذا المنهج إلى النتائج التالية:

١ - إن معاجم اللغة حددت الإلحاد في الدين بأنه الميّل أو العدول عنه أو الكفر، وكان تفسير الإلحاد بالكفر واضحاً في المعاجم الحديثة التي ألفت في القرن العشرين.

٢ - أن فهم المفسرين لمادة "لحد" في القرآن يمكن تلخيصها في أنه: ميل عن دين الله إلى درجة الكف. وفي حالة واحدة فسروا الإلحاد في سورة "الحج": بأنه المعصية في الحرم، ولكن المعصية في الحرم إذا قيست بمتلها في مكان آخر كانت شديدة.

٣ - أن الكتاب المحدثين يستخدمون كلمة "الحاد" فيما هو كفر و خاصة اعتناق المذاهب المادية.

والخلاصة: أن كلمة "الحاد" في العصر الحديث تُستعمل في الكفر، ولهذا ما يسنته في كتب اللغة قدِيماً وحديثاً وفي فهم المفسرين لمادة "لحد" في القرآن الكريم .

العقيدة خاص [١]

المصادر المراجع

ثم يقول عن تناول المعاجم الحديثة لكلمة "إلحاد":

"إذا ما وصلنا إلى القرن العشرين نجد أن المعاجم الحديثة تحدد تحديداً أكثر، وعباراتها تكاد تكون متقاربة، فمن قائل: إن لحد وألحد بمعنى شك في الله تعالى. ومن قائل: إن الملحد هو الكافر، وأن الملاحدة هم الدهريون، فهم يحشرون الاستعمالات التي تبين أن لحد وألحد في الدين تؤدي معنى الكفر. ويلاحظ أن المعاجم الحديثة استعملت كلمة "إلحاد" وفسرتها بأنها الكفر". انتهى كلامه.

وعموماً فإن الإلحاد في الغرب كان يطلق على المتطاول على الربوبية، كما قالوا: "لقد مات الله" ! بينما الإلحاد في العالم الإسلامي يتطاول على النبوة في قولهم: "لقد انتهت الرسالة" ، ولا فرق بين الإلحادين.

أسباب ظهور الإلحاد

السبب الأول: حقد أعداء الإسلام على انتشار الإسلام بين البلدان، وكثرة فتوحاته:

لا شك أن المسلمين عاشوا فترة من الزمن ليست قليلة حياة إسلامية صافية، حيث بلغت حضارة الإسلام أوجهها، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، فشملت الأندلس وما وراء النهرین وشمال إفريقيا، ودخلت أراضي أوروبية في هذه الخارطة حتى وصل المجاهدون المسلمين إلى مشارف باريس عاصمة فرنسا. ولا شك أن هذا المد الإسلامي المبارك قد يتولد من جرائه حاقدون على الإسلام؛ بسبب قضايه على مالك كثير من الشعوب التي دخلت في الإسلام.

العقيدة خاص [١]

وكذلك قضاوه على كثير من الماجنين الذين عاشوا حياة الترف، والمنفتحين الذين درسوا الفلسفات القديمة وتأثروا بها.

كل هذه المؤثرات أدت بالفعل إلى ظهور الإلحاد وانتشاره بين المسلمين. إضافة إلى ذلك العمل الدءوب لبعثات التبشير والتنصير التي كانت تدعمها الكنيسة النصرانية، وعمل الماسونية العالمية.

ثم جاء المستشرقون في العصر الحديث فأدوا دورهم على أحسن وجه، محاولين القضاء على المد الإسلامي وإشعاع الحضارة الإسلامية الذي بدأ يغطي على المسيحية واليهودية في عقر دار كل من تلك الديانتين، وتحتم هذا الدور عندما فشلت الحملات الصليبية في تحقيق هدفها من السيطرة على المسلمين، ونهب خيراتهم، وردهم عن دينهم إلى دين النصارى، فكانت كل تلك المؤثرات باعثة لظهور الإلحاد وتياره الجارف والقوى في العالم الإسلامي.

يقول الدكتور محمود عبد الحكيم عثمان في كتابه : (جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي) : "إن الفكر المادي الغربي والاستشرافي الذي انتشر في العالم الإسلامي هو الذي كون - إلى جانب أسباب أخرى ، ومنها الفراغ - الفكر التيار الإلحادي الذي شغل الباحثين. وأثار اهتمامهم ، فشرحوه وحاولوا مقاومته بتفنيده ، وبيان تعارضه مع الدين الإسلامي ، وبيان أن الحضارة التي تكفل السعادة للإنسان في دنياه وآخرته لا تتحقق إلا بالإسلام ، وأن هذا الفكر المادي الذي يدمر القيم ، وذلك الفكر الاستشرافي الذي يهدف إلى تدمير الإسلام هو الذي سيقضي على السعادة الإنسانية.

العقيدة خاص [١]

المصادر المراجع

نقول:

إن الفكر الغربي ومقاومته شغلًا الباحثين في العالم الإسلامي - كما سنبينه - وإلى هذا نستطيع القول: بأن النهضة العلمية التي بدأت في الشرق الإسلامي في القرن التاسع عشر، تسببت في سریان موجة الإلحاد بسبب اعتناق بعض الذين تأثروا بهذا الفكر الغربي المادي ودافعوا عنه، وبدأ في كثير من الذين تعلموا على أيدي أساتذة غربيين. ولكنه شاع بعد ذلك في كثير من المتعلمين في العالم الإسلامي، بل وصل إلى أنصار المتعلمين من الذين رددوا الفكر الماركسي والوجودي، وليس الفكر المادي الغربي وحده هو الذي سبب التيار الإلحادي؛ بل إن الفكر الاستشرافي أيضًا الذي كان قوامه هجوماً على الإسلام وإضعاف ثقة أهله به، كان سبباً رئيساً أيضاً في تكوين التيار الإلحادي.

فعندما قامت الحروب الصليبية لقهر الإسلام وللنيل منه ولم تستطع أن تتحقق أهدافها وفشلت فشلاً ذريعاً، وأسرَّ لويس التاسع بالنصرة، وأفرج عنه بالفدية، أدرك لويس التاسع أنه لا يمكن قهر المسلمين والقضاء على الإسلام في عهده على الأقل. ولهذا وضع مخططًا كان أهم ما فيه هو:

استبدال الحملات الصليبية الحربية بحملات سلمية تؤدي نفس الغرض، ومنها أيضاً تجنيد المبشرين لتشكيك المسلمين في الإسلام أو وقف انتشاره على الأقل. وعندما جاء العصر الحديث وأصبح لأوروبا مصلحة اقتصادية في بلاد المسلمين، أدرك الساسة الأوروبيون أنهم لا يستطيعون أن يسيطرُوا على هذه البلاد طالما كان الإسلام قوياً ومسيطرًا على نفوس أهله، فعملَ هؤلاء الساسة - بعد أن استعمروا هذه البلاد - على محـو الإسلام، أو على الأقل إضعاف تمـسـك أهـلـهـ به؛ فالـمـسيـحـيونـ لهمـ هـدـفـ فيـ محـوـ إـسـلـامـ.

العقيدة خاص [ا]

وهذا الهدف يعتمد على اتجاهين أساسين هما:

التفليس عن حقدتهم الناتج عن هزائمهم في الحروب الصليبية، والمصلحة الاقتصادية التي لا يمكن أن تستقيم لهم طالما كان الإسلام بمبادئه سائداً في بلاد المسلمين. وهذه الأهداف لاحظها كثير من الكتاب، فحضر ناصر الدين - وهو مصور فرنسي عاش في الجزائر، ثم أعلن إسلامه عام ١٩٢٧م - أعداء الإسلام في طائفتين هما:

أ) رجال السياسة الاستعماريون.

ب) رجال الدين المتعصبون...

وإذا نحن شئنا أن نحصي أكاذيبهم علينا، لوجدنا فيها صفة هي أسود الصفحات خزيًّا في سجل التعصب، يشترك في تسويدها أعداء الإسلام قد يهم وحديثهم سواء من العلماء والرواد والقساوسة، ورجال الحكومات، والكتاب أمثال: "بيرون"، "بلجراف"، و"غلادستون"، و"مرجليوث"، و"قسيس كانتيري"، و"الأب ماتس"، و"الكاتب لوبي برتان"، و"سرقيبه" فهم إذن رجال سياسة مستعمرون ورجال دين متعصبون. فأما رجال السياسة فقد أعلنوها حرباً على المسلمين بدأت في القرن التاسع عشر، وأعلنوا أن هذه الحرب هي حرب صليبية، كما أن الغلبة لن تدوم لهم طالما أن الإسلام موجود في بلاد المسلمين.

يقول المهندس زكريا هاشم، وقد استولى المارشال "اللنبي" على بيت المقدس في عام ١٩١٨م باسم الحلفاء، وقد قال مثل هذه العبارة. إذ نادى عند هيكل سليمان: اليوم انتهت الحروب الصليبية.... ويقول أيضاً: وأشار إلى صيحة غلادستون رئيس الوزراء البريطاني في عهد الملكة فيكتوريا في مجلس العموم

العقيدة خاص [١]

المصادر

المراجع

البريطاني ، وهو ممسك بالقرآن في يده ، قائلًا : إنه ما دام هذا الكتاب باقياً في الأرض ، فلن يقرر لنا قرار في بلادهم !

وأما رجال الدين المسيحي المتعصبون ، فقد طعنوا في الإسلام مطاعنَ كثيرة ، ونشروا هذه المطاعن في البلاد الإسلامية في الهند وفي البلاد العربية ، وفي غير ذلك ، وبذل الاستعمار جهداً عظيماً في التمكين لهؤلاء المبشرين لنشر أفكارهم . انتهى كلامه .

السبب الثاني : الانحطاط الذي مُنيت به الكنيسة الأوروبية :

يقول الأستاذ عبد الرحمن عبد الخالق :

"لقد كانت الكنيسة الأوروبية سبباً غير مباشر أحياناً و مباشرأً أخرى في نشر الإلحاد والزندقة والكفر الكامل بوجود الله ، وذلك لأن القائمين على هذه الكنيسة من الرهبان والقساوسة أدخلوا في دينهم كثيراً من الخرافات والخزعبلات ، وجعلوها عقائد دينية . كرفعهم عيسى # من مرتبة البشرية إلى الألوهية ، وظهور فكرة الخطيئة والصلب ، والخلاص ، وأضافوا إلى ذلك كثيراً من الخرافات الدارجة عن الأرض والكون والحياة .

وعندما بدأ عصر النهضة الأوروبية واكتشف بعض العلماء حقائق جديدة عن الأرض والكون والحياة ، هبّ الرهبان والقساوسة ينكرون ذلك ، ويتهمنون من يعتقد بالحقائق الجديدة ، ويصدق بها بالكفر والزندقة ، ويوزعون إلى السلطات الحاكمة بقتلهم وحرقهم بالنار ، ولقد لقي كثير من العلماء هذا المصير المؤلم جراء مخالفتهم لآراء الكنيسة ...

العقيدة خاص [١]

وابتدأت آراء الكنيسة ومعتقداتها في كل يوم هزية جديدة، وكانت الجولة في النهاية لعلماء المادة على رجال الكهنة، فاندفع الناس نحو الإيمان بالعلم المادي كإله جديد سيحمل الرخاء والقوة والرفاهية للناس، وفتش الناس أسرار الكنيسة، فهالهم ما رأوه من فساد أخلاقي بين الرهبان والراهبات، وأرادوا التخلص إلى غير رجعة من السلطان الكهنوتي والقهر الزمني الذي مارسته الكنيسة ضدهم، ومن الإتاوات والضرائب التي فرضتها الكنيسة على رقبتهم، فكان الفضي الكامل لكل المعتقدات الدينية، والكراهية العامة لكل عقيدة تنادي بالإيمان بالغيب، واتهام الرسل جميعاً بالكذب والتدليس. وهكذا برزت الموجة الأولى من موجات الإلحاد العالمي". انتهى كلامه.

السبب الثالث : مظالم العالم الرأسمالي :

حيث إن الناس ما إن تخلصوا من سلطان الكنيسة جزئياً، حتى وقع الناس تحت سلطان جديد وقهري؛ بسبب اكتشاف الناس لقوة التجارة والآلة، فحاز الرأسماليون المصنوع الكبيرة والشروعات الضخمة، واستغلوا العمال استغلالاً فاحشاً، فانتشرت المظالم بين الفقراء وال فلاحين، فكان ذلك سبباً جديداً في انتشار الإلحاد والشك في وجود الله تعالى. وكذلك ظهور المذاهب الاقتصادية الإلحادية وخاصة الشيوعية التي بشر بها "كارل ماركس" - اليهودي الألماني الذي تنصر والده - حتى كان شعار أصحاب هذا المذهب: "لا إله، والحياة مادة".

السبب الرابع : هزية العالم الإسلامي أمام الهجمة الأوروبية :

هزية العالم الإسلامي أمام الهجمة الأوروبية التي حملها المستعمرون وطفقت الشعوب الإسلامية تقلد المستعمر وتتشبه بأخلاقه وعاداته وتدخل في عقيدته الإلحادية.

آثار الإلحاد

لعل أهم آثار الإلحاد المعاصر في العالم والذي يظهر جلياً في سلوك الإنسان، وفي أخلاق الأمم ونظام المجتمعات، ينحصر في الآتي - حسب رؤية عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه (الإلحاد) :

أولاً: القلق والصراع النفسي : فأول الآثار التي يخلفها الإلحاد في نفوس الأفراد، هو القلق والخيرة والاضطراب والصراع والتمزق النفسي ، وذلك أن داخل كل إنسان فطرة تلح عليه وتسأله أسئلة تتجلج في صدره، تقول له : لماذا خلقنا؟ ومن خلقنا؟ وإلى أين نسي؟ وإذا كان الإنسان تشغله همومه المعيشية وشواغله الدنيوية عن البحث عن الإجابة على هذه الأسئلة، فإن الإنسان قد يصطدم أحياناً بعوامل تجعله مضطراً -أحياناً- للبحث عن أجوبة لهذه الأسئلة، والبحث عن سر الحياة والكون، والمصير.

ولما كان الإلحاد عقيدة جهلاً؛ لأنَّه يقوم على افتراض عدم وجود الله، فإنه لا يقوم شيئاً يخرج الإنسان من الخيرة والقلق والصراع النفسي ، فيبقى لغز الحياة محيراً للإنسان ، ويبقى رؤية الظلم والمصائب التي يلاقيها الإنسان في حياته كابوساً يخيم على النفس ، ويظل الإلحاد عاجزاً عن فهم غاية الحياة والكون، ولا يقدم للإنسان أجوبة تشفى العليل أو تروي الغليل. ومع إلحاح الفطرة الداخلية وتردد الأسئلة الكامنة في النفس ، يظل الإنسان يعيش حالة من القلق والتمزق والصراع النفسي.

العقيدة خاص [١]

ثانياً: الأنانية والفردية: وهذا الأثر نتيجة حتمية للصراع النفسي والقلق والخيرة، ونقصد به اهتمام الإنسان بمصالحة الشخصية، بعيداً عن بذل المعروف والإحسان للأ الآخرين كما هو ديدن المتدينين.

ثالثاً: فقدان الوازع، والنزوع إلى الجريمة: وذلك لأن الإلحاد لا يربى الضمير، ولا يخوف الإنسان من إله قوي يراقب عمله، ويجزيه عليه.

رابعاً: هدم النظام الأسري: وهذا الأثر من أخطر آثار الإلحاد؛ لأنه يهدم المجتمعات الإنسانية، ويفكك النظام الاجتماعي البشري.

خامساً: الإجرام السياسي:

وذلك في العلاقات بين الدول بحيث أن كل دولة أقوى تضطهد الدولة الأضعف. وهكذا.

الرد على المحدثين

إن أهم ما يرد به على من جرفهم تيار الإلحاد القوي الذي أتى على الأخضر واليابس في الدين، حيث تطاولوا على النبوة والرسالة، وحطوا من قدر الرسل - عليهم السلام - كما طال الإلحاد الغربي الذات العلية، فتطاولوا على الربوبية والألوهية.

إن أهم ما يرد به على أهل الإلحاد هو:

أن الغرب الذي صدّر لنا هذا الإلحاد، أصبح يعيش في فراغ روحي، وقلق نفسي، وأصبح أفراد مجتمعه يضيقون بالحياة ذرعاً، وأصبح كثير منهم ينزع إلى خيار الانتحار؛ ليخلص نفسه من العذاب الذي يعانيه، والقلق النفسي،

العقيدة خاص [١]

والتمزق، والخيرة، والضياع، وانتشر الفساد، وكثير الإجرام حتى أصبحت معدلات الجريمة تفوق الخيال في الغرب الذي هو موطن الإلحاد، وظهرت دعاوى تنادي بالبحث في الخروج من هذا المأزق الشديد، وكتب عقلاؤهم ومفكروهم عن ظاهرة الإلحاد، وأنها هي السبب فيما وصل إليه الغرب من ضياع ودمار للشعوب، حيث تفككت الأسرة، وتُرك الحبل على الغارب للأبناء والبنات، يخرجون للشارع ويفعلون ما يشاءون.

كل ذلك بسبب الخواء الروحي، والبعد عن الدين الذي يعيشه الغرب؛ بسبب طغيان التيار الإلحادي.

ومن الطريق أن دولة "كندا" طالبت بإدخال مادة القرآن الكريم في مناهجها التعليمية؛ لأنها رأت في تعاليمه ما يخفف من وطأة الإلحاد. وكل مجتمع بعد عن نور الرسالة السماوية، فهذه هي النتيجة الحتمية لذلك المجتمع؛ لأن النفس البشرية لا حياة لها إذا أعدمت الروح والنور والحياة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية #:

"الرسالة ضرورية للعباد، ولا بد لهم منها، و حاجاتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟! والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمسُ الرسالة، ويناله من حياتها وروحها، فهو في ظلمة، وهو من الأموات."

العقيدة خاص [١]

قال الله تعالى : ﴿أَوْمَنَ كَانَ مِيَّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَعْمَشُ بِهِ فِي النَّاسِ كَمَّ مَشَّلُهُ فِي الظُّلْمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ۱۲۲].

فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وأما الكافرُ فميت القلب في ظلمات الكفر". انتهى، كلامه.

إذن نستطيع أن نقول : إن من دخل دائرة الإلحاد ، فعليه أن يستعد لدوامة القلق النفسي والكآبة ، والتمزق الروحي ، والخيرة والضياع ، ثم الجنوح في نهاية الأمر إلى البحث عن الخلاص من كل ذلك ، ولن يجدوا مخلصاً كالتشرد والضياع والانتحار ، والعياذ بالله تعالى.

العقيدة خاص [١]

معنى التوحيد وأنواعه، وبيان أهمية توحيد الألوهية وأدلته

عناصر الدرس

- العنصر الأول : معنى لفظة التوحيد في اللغة والاصطلاح ٨٩
- العنصر الثاني : امداد بلفظة التوحيد عند الإطلاق، وأنواعه الأخرى ٩٠
- العنصر الثالث : الرد على من غلط، أو ضل في مسمى التوحيد ٩٦
- العنصر الرابع : بيان فرض توحيد الألوهية، وفضله وأهميته ٩٩
- العنصر الخامس : البداءة به في الدعوة إلى الإسلام، وأن من أتى به وأداه فقد أدى التوحيد كله بجميع أنواعه ١٠٢
- العنصر السادس : بيان الأدلة على توحيد الألوهية ١٠٧

العقيدة خاص [١]

معنى لفظة التوحيد في اللغة والاصطلاح

أولاً: معنى لفظة التوحيد في اللغة:

هو مصدر (وَحَدَّ يَجِدُ حِدَةً) من باب (وَعَدَ) إذا انفرد بنفسه، فهو (وَحْدَه) - بفتحتين - مشتق من (الواحد)، وهو أول عدد الحساب، فيقال: وَحَدَه، وَاحِدَه كما يقال: تَنَاهُ، وَثَلَّتُه، ويقال: رَجُل أَحَدٌ، وَوَحِيدٌ، وَوَحَدُّ، وَوَحِيدٌ، وَمَوْحِدٌ، أي: مُنْفَرِدٌ، وَوَحَدَ اللَّهُ تَوْحِيدًا، وَلَهُ الْوَحْدَانِيَّةُ، وَتَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْبَرْبُوِيَّةِ.

يقول الشيخ محمد بن عثيمين # وهو يشرح معنى لفظة التوحيد في اللغة: " يجعل الشيء واحداً لا يتحقق إلا بنفي ، وإثبات ، نفي الحكم عما سوى الموحد ، وإثباته له ؛ لأن النفي وحده تعطيل ، والإثبات وحده لا يمنع المشاركة ، فمثلاً : لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله ، فينفي الألوهية عما سوى الله تعالى ، ويشتبها لله وحده ".

ثانياً: معنى لفظة التوحيد في الاصطلاح:

أما التوحيد في الاصطلاح: فله تعريفان: عام، وخاص.

أما العام فهو: "إفراد الله تعالى بما يختص به، علمًا، وعقيدة، وعملاً، مما يتعلّق بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعبادته"

وأما الخاص فهو: "إفراد الله تعالى بالعبادة" ، أي: أن تعبد الله وحده، ولا تشرك به شيئاً، بل تفرده وحده بالعبادة،محبةً وتعظيمًا، ورغبة، ورهبة.

العقيدة خاص [١]

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب # : "التوحيد": اسم لفعل العبد المأمور به؛ فإن كانت أعماله كلها لله وحده فهو موحد، وإن كان فيها شرك للمخلوق فهو مشرك".

فالتوحيد مبني على أن الله تعالى "واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إيمانه وعبادته لا ند له".

وقيل معنى التوحيد في الشرع: "هو إفراد الله بربوبيته، وألوهيته دون سواه، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والاعتقاد برسالة محمد ﷺ وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين واتباعه فيما جاءته عن الله تعالى".

فالتوحيد هو: الإيمان بوحدانية الله -تعالى- والإخلاص في كل عبادة قولية، أو فعلية، أو اعتقاديه.

المراد بلفظة "التوحيد" عند الإطلاق، وأنواعه الأخرى

المراد بلفظة "التوحيد" عند الإطلاق:

توحيد الألوهية؛ لأن هذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل -عليهم السلام- ونزلت به الكتب.

فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فالمشركون من العرب كانوا مقررين بتوحيد الربوبية، وأن خالق الأرض والسماءات واحد، قال تعالى -مخبراً عنهم- : ﴿وَلِئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [القمان: من الآية ٢٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٨٤]، ﴿كُنْتُمْ تَعَمَّلُونَ﴾ [آل عمران: ٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤-٨٥]

العقيدة خاص [١]

وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، ولم يكن مشركي العرب يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند، والترك، والبربر، وغيرهم؛ تارة يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين، ويتخذونهم وسائل وشفعاء يتولّون بهم إلى الله تعالى، وعلى هذه الصفة كان مشرك العرب؛ فعلم أن التوحيد المطلوب هو توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية ﴿فَآتَمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمَ وَلَا كُثْرَةُ الْكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

"وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿فَآتَمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمَ وَلَا كُثْرَةُ الْكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿فَآتَمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمَ وَلَا كُثْرَةُ الْكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الفاâtحة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿فَآتَمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمَ وَلَا كُثْرَةُ الْكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، وهذا التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَفَلْ حَسِنَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبah: ١٢٩]، وقوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَأَعْبُدُهُ وَأَصْطَرُ لِعِبْدَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: من الآية ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيِّحَ مُحَمَّدَهُ وَكَفَى بِهِ بِدُوْبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُ رَبَّكَ حَنَّ يَأْنِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل، وآخرها، وهو معنى قول: لا إله إلا الله... ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة، وأشقياء أهل النار، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُ وَأَرْبِكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْتَعِنُونَ﴾ [البقرة: ٢١] فهذا أول أمر في القرآن... فكل هذه السور في الدعاء إلى هذا التوحيد، والأمر به، والجواب عن الشبهات

العقيدة خاص [١]

والمعارضات ، وذكر ما أعد الله لأهله من النعيم المقيم ، وما أعد لمن خالفه من العذاب الأليم ، وكل سورة في القرآن ، بل كل آية في القرآن فهي داعية إلى هذا التوحيد ، شاهدة به ، متضمنة له ."

فإفراد الله بالعبادة هو التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، وهو أصل الدين وأساسه ، وهو الذي من أجله خلق الله الثقلين : الإنسان ، والجن . قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذريات : ٥٦] ، وهو الذي بعث الله به

الرسل ، وأنزل من أجله الكتب ، وفرض من أجله الجهاد ، وشرع الشرائع ، قال

تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الظَّلْغَوْتَ ﴾

[النحل : من الآية : ٣٦] ، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب # : "علم - رحمك

الله - أن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتاب لأجل التوحيد ، فإذا لم

يفعله الإنسان ، ويحبون الشرك فهو كافر ، وكل أعماله حابطة ، ولو كان من

أعبد هذه الأمة يقوم الليل ، ويصوم النهار ، قال تعالى في الأنبياء : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا

لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : من الآية : ١٨٨] ، وتصير عبادته كلها كمن صلى

ولم يغسل من الجنابة ، أو كمن يصوم في شدة الحر ، وهو يزني في أيام الصوم .

ويقول الشيخ ابن عثيمين # : "فتوحيد الألوهية هو دين الرسل فكلهم

أرسلوا بهذا الأصل الذي هو التوحيد كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي

كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الظَّلْغَوْتَ ﴾ [النحل : ٣٦] وقال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُرْسِخُ إِلَيْهِ أُنْهَى لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْفَعْبُدُونَ ﴾

[الأنبياء : ٢٥] ، وهذا النوع هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ

واستباح دماءهم ، وأموالهم ، وأرضهم ، وديارهم ، ونبي نساءهم ، وذريتهم ،

ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية ، والأسماء

العقيدة خاص [١]

والصفات. فإنّه وحده بالعبادة هو دين الرسول الذين أرسلهم الله به إلى عباده".

وقال العلامة ابن القيم # بعد أن ذكر أن كل طائفة تسمى بطلاقها توحيداً: "وأما التوحيد الذي دعت إليه رسول الله، ونزلت به كتبه فوراء ذلك كله وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في المطلب والقصد. فال الأول هو: حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سمواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمه، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح. النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]... وغالب سور القرآن؛ بل كل سورة في القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل نقول قولًا كليًا: إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به، داعية إليه".

أنواع التوحيد:

ينقسم التوحيد بالاستقراء إلى ثلاثة أنواع، وهي:

أولاً: توحيد الربوبية: وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه وخلقه، ورازقه، وأنه الحي الميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الضرر.

ثانياً: توحيد الأسماء والصفات: وهو الإقرار بأن الله بكل شيء علیم، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، له المشيئة النافذة، والحكمة البالغة، أو قل: "هو اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه، بعموت العظمة، والجلالة، والجمال، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه،

العقيدة خاص [١]

وأثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، و معانيها، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة".

ثالثاً: توحيد الإلهية أو الألوهية، أو العبادة أو العبودية: وهو إفراد الله ﷺ بجميع أنواع العبادات الظاهرة والباطنة، وأن يخلص العبد لله تعالى عمله عن جميع الخلق، ولا يشرك معه أحداً، لا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، فضلاً عن من دونهما.

واعلم أن أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر، فمن أتي بواحد منها، ولم يأت بلازمته من نوعيه الآخرين فما ذلك إلا أنه لم يأت به على وجه الكمال المطلوب.

وي يكن تقسيم التوحيد إلى نوعين: توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية، والأسماء والصفات، وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الألوهية والعبودية.

وهناك من يقسم التوحيد تقسيماً آخر، وهو أن التوحيد نوعان:

أ- القولي الاعتقادي ، لاشتماله على أقوال القلوب، وهو: اعترافها واعتقادها، وعلى أقوال اللسان، والثناء على الله بتوحيده، وهذا النوع هو توحيد الأسماء والصفات الذي يدخل فيه توحيد الربوبية.

ب- الفعلي العملي : - لأنه يشتمل على أفعال القلوب والجوارح، والأعمال؛ كالصلوة، والزكاة، والحج، ونحو ذلك.

العقيدة خاص [١]

وعلى هذا التقسيم يحمل قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب # : "التوحيد نوعان: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية".

فإن الشيخ يجعل توحيد الأسماء والصفات مع توحيد الربوبية بجامع أنهما نوع واحد، هو توحيد المعرفة والإثبات، يقول الشيخ: "وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية، ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات؛ لكن الكفار أعقل من أنكر الصفات".

قال العلامة ابن القيم # في نونيته مبيناً أنواع توحيد المسلمين المخالف لتوحيد الملاحدة والمعطلين:

فاسمع إذا توحيد رسول الله ❖ أجعله داخل كفة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر إليها ❖ أولى لدى الميزان بالرجحان
توحيدهم نوعان فولي وفعلي ❖ كلا نوعيه ذو برهان
فال الأول القولي ذو نوعين أيضاً ❖ في كتاب الله موجودان
هذا وثان نوعي التوحيد تو ❖ حيد العبادة منك للرحمـن
فلو أحد كن واحداً في واحد ❖ يعني سـبيل الحق والإيمـان
وقال الشيخ حافظ الحكـمي # :

أول واجب على العبيد بالتوحيد ❖ معرفة الرحمن
إذ هو من كل الأمور أعظم ❖ وهو نوعان أيـا من يفهم
إثبات ذات الـرب جـل وعلا ❖ أسمـائه الحـسـنى صـفـاته الـعـلـى
هـذا وـثانـي نوعـي التـوـحـيد ❖ إفرـاد ربـ العـرـش عنـ يـزـيدـ
أن تـبعـ الله إـلهـا وـاحـدا ❖ مـعـرفـنا بـحـقـه لا جـاحـدا

العقيدة خاص [١]

الرد على من غلط، أوضل في مسمى التوحيد

وبعد أن قدمنا تعريف التوحيد، وبيننا المراد به عند الإطلاق، وأنه ينصرف مباشرة إلى توحيد الألوهية، وذكرنا أنواع التوحيد الثلاثة، وبيننا أنها متلازمة، - يجدر بنا أن نبين هنا- أن هناك من غلط في مسمى التوحيد، ونرد عليه، فمن ذلك قول بعضهم: "التوحيد على ثلاثة أوجه: الوجه الأول: توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، والوجه الثاني: توحيد الخاصة وهو الذي ثبت بالحقائق، والوجه الثالث: توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة".

وقد رد العلامة ابن القيم # على هذا التقسيم بقوله: "لا ريب أن أهل التوحيد يتفاوتون في توحيدهم - علماً ومعرفةً وحالاً- تفاوتاً لا يحصيه إلا الله فأكمل الناس توحيداً الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - والرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكمل توحيداً، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وأكملهم توحيداً الخيلان: محمد، وإبراهيم - صلوات الله وسلامه عليهما- فإنهما قاما من التوحيد ما لم يقم به غيرهما - علماً ومعرفةً وحالاً، ودعوة للخلق وجهاداً- فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل، ودعوا إليه، وواجهدوا الأمم عليه... فهذا هو توحيد خاصة الخاصة، الذي من رغب عنه فهو من أسفه السفهاء".

وقال أيضاً: "وقد تقسمت الطوائف (التوحيد) وسمى كل طائفة باطلهم توحيداً، فأتباع أرسطو، وابن سينا، والنصير الطوسي عندهم التوحيد: إثبات وجود مجرد عن الماهية والصفة... فتوحيد هؤلاء هو غاية الإلحاد، والجحد، والكفر، وفروع هذا التوحيد: إنكار ذات الرب، والقول بقدم الأفلاك... وأما

العقيدة خاص [١]

الاتحادية، فالتوحيد عندهم: أن الحق المنزه هو عين الخلق المشبه... ومن فروع هذا التوحيد أن فرعون وقومه مؤمنون كاملو الإيمان... ومن فروعه: أن عباد الأصنام على الحق والصواب، ومن فروعه: أن الأنبياء ضيقوا الطريق على الناس، وتعلّدوا عليهم المقصود.

وأما الجهمية: فالتوحيد عندهم: إنكار علو الله على خلقه بذاته، واستواه على عرشه، فالتوحيد عندهم: هو المبالغة في إنكار التوحيد الذي بعث الله به رسليه، وأنزل به كتبه.

وأما القدرية: فالتوحيد عندهم: هو إنكار قدر الله، ومتآخروهم ضموا إلى ذلك: توحيد الجهمية...

وأما الجبرية: فالتوحيد عندهم: هو تفرد الرب تعالى بالخلق، والفعل، وأن العباد غير فاعلين على الحقيقة، ولا محدثين لأفعالهم.

وأما صاحب المنازل، ومن سلك سبيلهم فالتوحيد عندهم، نوعان:

أحدهما: غير موجود، ولا ممكن، وهو توحيد العبد رب، فعندهم:
ما وحد الواحد من واحد ❖ إذ كل من وحده جاحد
والثاني: توحيد صحيح، وهو توحيد الرب لنفسه، وكل من ينعته سواه فهو ملحد. فهذا توحيد الطوائف".

وقد رد العلامة ابن أبي العز الحنفي # على من قسم التوحيد إلى الأقسام الآتية الذكر فقال: "إذا عرف أن توحيد الإلهية هو التوحيد الذي أرسلت به الرسل، وأنزلت به الكتب فلا يلتفت إلى قول قسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع..."

العقيدة خاص [١]

وكل من له حس سليم، وعقل يميز به لا يحتاج في الاستدلال إلى أوضاع أهل الكلام والجدل، واصطلاحهم، وطرقهم البة؛ بل ربما يقع بسببها في شكوك، وشُبهٌ يحصل له بها الحيرة، والضلال، والريبة، فإن التوحيد إنما ينفع إذا سلم قلب صاحبه من ذلك، وهذا هو القلب السليم الذي لا يفلح إلا من أتى الله به، ولا شك أن النوع الثاني، والثالث من التوحيد الذي ادعوا أنه توحيد الخاصة، وخاصة الخاصة ينتهي إلى الفناء الذي يشمر إليه غالب الصوفية، وهو درب خطير يفضي إلى الاتحاد... فأبن قال الرسول: هذا توحيد العامة، وهذا توحيد الخاصة، وهذا توحيد خاصة الخاصة؟ فأنت ترى أن كل طائفة ذهبت في تعريفها للتوحيد إلى ذوقها وهوها لكنها بعيدة عن التوحيد الصحيح براحل كما قيل:

وكل يدعى وصلاً بليلي ❖ وليلي لا تقر لهم بذلك
إذاً: من زعم أن المراد بالتوحيد هو مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله تعالى هو الخالق الرازق موجد العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتتصوف فقد بان غلطه، وضلالة في مسمى التوحيد وقد ضارع المشركين الأولين الذين قال عنهم القرآن: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾
[يوسف: ١٠٦] فإنهم كانوا مقررين بتوحيد الربوبية، ولكن إنكارهم لتوحيد الألوهية هو الذي جعلهم مشركين، "ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل، فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأنهم إذا شهدوا هذا وفروا فيه فقد فروا في غاية التوحيد، فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات، ونزعه عن كل ما ينزعه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله وحده... ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويقترب إليها، ثم يقول إن هذا ليس بشرك إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدببة لي، ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك".

العقيدة خاص [١]

بيان فرض توحيد الألوهية، وفضله وأهميته

إن الله تعالى قد فرض هذا التوحيد على الخلق أجمعين، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وبهذا التوحيد أرسل الله تعالى جميع الرسل من أولهم: نوح إلى خاتمه: محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِّي أَعْبُدُوا أَللَّهَ وَاجْتَنَبُوا الظَّاغُوتَ﴾ [آل عمران: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُ أَعْبُدُوا أَللَّهَ﴾ [آل عمران: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا أَللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ سَلِحًا قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا أَللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدينَةِ أَخَاهُمْ شَعَبِيَّا قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا أَللَّهَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِمْ أَذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا أَللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ [آل عمران: ١٦]، وقال يوسف: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

وهذا التوحيد هو الواجب فرضه الله عَجَّلَ على خلقه، وأخذ عليهم الميثاق به، ثم فطّرهم، شاهدين مقرين به، ثم أرسل رسليه إليهم، وأنزل به كتبه عليهم، ولهمذا لا يدخل العبد في الإسلام إلا به، ولا يخرج منه إلا بضده، ولم يزحر عن النار ولا يدخل الجنة إلا به، ولا يخلد في النار ويحرم الجنة إلا بضده، ولم تدع الرسل إلى شيءٍ قبله، ولم تنه عن شيءٍ قبل ضده، والقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير هذا التوحيد؛ لأن القرآن إما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهذا من حقوق الله تعالى وهو لب التوحيد، وإما

العقيدة خاص [١]

أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإنما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد، وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد وما يكرمه به في الآخرة وهو جزاء توحيده، وإنما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يفعل بهم في الآخرة من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم توحيده، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، أقرأ في الأمر بالتوحيد ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦] واقرأ في إكرام أهل التوحيد في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَدُ﴾ [غافر: ٥١] واقرأ في إخزاء أهل الشرك في الدنيا والآخرة: ﴿فَأَخْذُنَّهُ وَجْهُنَّوْهُ فَبَذَنَّهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَيْقَبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْثَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمةِ لَا يُصَرُّونَ﴾ [القصص: ٤٠ - ٤١]

يقول شارح الطحاوية # : "اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُ أَعْبُدُو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ﴾ [الأعراف: من الآية ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا جَنِينَا بِالظَّاغُوتِ﴾ [النحل: من الآية ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُرْحِنَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥]، وقال المصطفى ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)) (متفق عليه)، ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم، بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان...

فالتوحيد أول ما يدخل في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي ﷺ: ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة))، وهو أول واجب، وآخر واجب. فالتوحيد أول الأمر وآخره. أعني توحيد الألوهية". انتهى كلامه #.

ثانياً: مكانته وأهميته

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب #: "اعلم أن أهم ما فرض على العباد معرفة أن الله تعالى هو رب كل شيء ومليكه، ومدبره بإرادته، فإذا عرفت هذا فانظر ما حق من هذه صفاته عليك بالعبودية بالمحبة والإجلال، والتعظيم والخوف والرجاء، والتآله المتضمن للذل والخضوع لأمره..."

فالتوحيد أعظم الغرائب؛ أعظم من فريضة الصلاة والزكاة والصوم. كما أن الشرك أعظم المحرمات؛ أعظم تحريمًا من الزنا، والسرقة، والكبائر، والتوحيد رأس أعمال أهل الجنة، كما أن رأس أعمال أهل النار الشرك بالله تعالى.

والتوحيد هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، قال تعالى: ﴿فَآتَمْدُ وَجْهَكُلِّدِيْنِ حَنِيفًا فِطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَنْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّيْنُ الْقَيْمُ وَلَكِبِرَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

والتوحيد هو الصراط المستقيم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذَا صَرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَهِيُوا إِلَيْهِ أَسْبِلَهُ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥٣].

وهو شهادة الحق والعمل بمقتضاه.

وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

العقيدة خاص [١]

وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وهو الذي بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ.

وهو ملة إبراهيم الذي كان أمة قاتلت الله حنيفاً ولم يك من المشركين.

وهو الأسوة الحسنة التي أخبر بها الله في كتابه، فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبِمَا بَيْنَ أَيْمَانِكُمْ الْعَدُوُّ وَالْبَعْضُ كَأَبْدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ (المتحنة: من الآية ٤). انتهى كلامه رفع مقامه.

البداية به في الدعوة إلى الإسلام، وأن من أتى به وأداه فقد أدى التوحيد كلّه بجميع أنواعه

قد تقدم معنا في العنصر الثاني - قبل هذا - والعنصر الأول ذكر الآيات الدالة على أن الله تعالى أول ما أوجب على عباده هو التوحيد. أعني توحيد الألوهية الذي هو أساس الإسلام، وأن كلّنبي كان يدعو قومه إلى التوحيد ونبذ الشرك، فكلّ واحد منهم قال لقومه: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب # : "وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو أول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قول: لا إله إلا الله، فالإله المعبد بالمحبة والخشية والإجلال والتعظيم وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، فهذا أول أمر في القرآن، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المومنون: من الآية ٢٣]

العقيدة خاص [١]

فهذه دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك... وهذا التوحيد هو أول واجب على المكلف وآخر واجب، وأول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا. وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح، وأبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال، بحيث أن كل سورة في القرآن فيها الدلالة على هذا التوحيد" انتهى
كلامه #.

قال حافظ الحكمي :

أول واجب على العبيد معرفة الرحمن بالتوحيد

فضله :

لا شك أن من حقق هذا التوحيد، فقد أدى حق الله الذي جعله على العبيد.

ومن فضائله: أنه يصحح الأعمال، فالله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه؛ لأنه -جل وعلا- أغني الشركاء عن الشرك. من أشرك معه غيره تركه وشركه.

فضضل التوحيد عظيم، ثوابه كثير، فهو يکفر الذنوب، كما قال تعالى في الحديث القدسي: ((يا ابن آدم لو أتتني بقرب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأنني بقربها مغفرة)) رواه الترمذى -عن أنس-، وحسنه، كما في حديث عتبان < : ((إِنَّ اللَّهَ حُرْمَةٌ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ)) رواه البخاري ومسلم، ومعلوم أن قوله في حديث عتبان < ((يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ)) أنه ترك الشرك، وليس قولها باللسان فقط.

العقيدة خاص [١]

إذاً: فمن حق التوحيد دخل الجنة بغير حساب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً فَاتَّا لِلَّهِ حَيْنِفَا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُوَ بِهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٩]، وكما في حديث حصين بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس { وذكر: عرض الأمم على النبي ﷺ ومنهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، ولا عذاب؛ وهم الذين حققوا التوحيد بتركهم الاسترقاء والاكتواء والتطير متوكلين على الله تعالى. والحديث متفق عليه.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلِسُوا إِيمَانَهُمْ يُظْلَمُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قيل: لما نزلت شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: ((يا رسول الله. فأينا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس، ألم تسمعوا قول العبد الصالح: ﴿يَعْبُدُ لَا شَرِيكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرِيكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [القمان: ١٣] إنما هو الشرك)).

قال الحسن الكلبي # في معنى الآية: أولئك لهم الأمان في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا، وبهذا تظهر مطابقة الآية لمعنى ما نحن بصدده، فدللت على فضل التوحيد وتکفیره للذنوب؛ لأن من أتى به تماماً فله الأمان التام والاهتداء التام، ودخل الجنة بلا عذاب.

وعن معاذ بن جبل < قال: "كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: ((يا معاذ أتدری ما هو حق الله على العباد؟ وما هو حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً. قلت: يا رسول الله أفلأبشر الناس. قال: لا تبشرهم فيتكلوا)) متفق عليه.

العقيدة خاص [١]

وعن أبي سعيد الخدري < قال : قال رسول الله ﷺ : ((قال موسى : يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله. قال : كل عبادك يقولون هذا. قال : يا موسى لو أن السموات السبع وعاصمها غيري والأرضين في كففة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله)) رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

فقوله : ((مالت بهن لا إله إلا الله)) أي رجحت عليهم ، وذلك لما اشتغلت عليه من توحيد الله الذي هو أفضل الأعمال ، وأساس الملة ، ورأس الدين. فمن قالها بإخلاص ويقين ، وعمل بمقتضها ولوازماها ، واستقام على ذلك فهو من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

يقول ابن رجب الحنبلي # : "إذا كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه وقام بشروطه بقلبه ولسانه ، وجوارحه ، أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ، ومنعه من دخول النار بالكلية ، فمن تحقق بكلمة التوحيد قبله أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيمًا وإجلالاً ومهابة وخشية وتوكلًا ، وحينئذ تحرق ذنبه وخطيئته كلها ولو كانت مثل زيد البحر ، وربما قلبتها حسناً ، فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات". اهـ. كلامه # . فيما ذكرناه من الآيات والأحاديث كفاية للدلالة على فضل التوحيد وتکفير الذنوب.

بيان أن من أتى بتوحيد الألوهية وأدأه فقد أدى التوحيد كله بجميع أنواعه

تقديم معنا : أن التوحيد إذا أطلق في عبارات السلف. فالمراد به : توحيد الألوهية ؛ لأن هذا النوع من التوحيد هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل وأئمهم ، وبين المؤمنين والكافرين.

العقيدة خاص [١]

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ # : " وقد أفصح القرآن عن هذا النوع من التوحيد كل الإفصاح ، وأبدأ فيه وأعاد ، وضرب لذلك الأمثال ، بحيث إن كل سورة في القرآن فيها الدلالة على هذا التوحيد ، ويسمى هذا النوع توحيد الإلهية ؛ لأنّه مبني على إخلاص التأله وهو أشد الحبّة لله وحده ، وذلك يستلزم إخلاص العبادة ، وتوحيد العبادة لذلك ، وتوحيد الإرادة ؛ لأنّه مبني على إرادة وجه الله بالأعمال ، وتوحيد القصد ؛ لأنّه مبني على إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده ، وتوحيد العمل ؛ لأنّه مبني على إخلاص العمل لله وحده ، قال الله تعالى : ﴿ فَاعْبُدُ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الَّذِينَ ﴾ [الزمر : من الآية ٢٤] ، وقال : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ١١ وَأُمِرْتُ لِأَنَّكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ١٢ ﴾ [الزمر : ١١ - ١٢] ... وهذا التوحيد هو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه ، وتوحيد الألوهية مستلزم لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات متضمن لها ". اهـ . كلامه # .

وقال الشيخ تقى الدين المقرىزى # : " فلا ولی ولا حکم ولا رب إلا الله الذي من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيته ، ولو وحد ربوبيته . فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها ، وتوحيد الألوهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمرجعيين ، ولهذا كانت كلمة الإسلام لا إله إلا الله ، ولو قال : لا رب إلا الله أجزاء عند المحققين ، فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد ". اهـ . كلامه # .

وقال الشيخ حافظ حكمي # : " إن توحيد الإثبات هو أعظم حجة على توحيد الطلب ، والقصد الذي هو توحيد الإلهية لتلزيم التوحيدين ، فإنه لا يكون إلا مستحقاً للعبادة إلا من كان خالقاً ، رازقاً ، مالكاً ، متصرفاً ، مدبراً

العقيدة خاص [١]

لِمَنْ يَعْصِي لِلَّهِ الْكُفَّارُ
بِلِلَّهِ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ الْمُرْسَلُونَ

لجميع الأمور، موصوفاً بكل كمال، منزهاً عن كل نقص، غنياً عما سواه، مفتقرًا إليه كل ما عداه.

وهذه صفات الله تعالى لا تنبغي إلا له، ولا يشركه فيها غيره، فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو، ولا تجوز لغيره، فحيث كان متفرداً بالخلق والإنشاء، والبدء والإعادة، لا يشركه في ذلك أحد وجوب إفراده بالعبادة دون من سواه، لا يشرك معه في عبادته أحد... وعُباد الأوثان مُقرّون بتوحيد الربوبية وشاهدون بتفرد الله بذلك، وأنهم إنما أشركوا بالله تعالى في الألوهية، حيث عبدوا معه غيره، هذا في الظاهر، وإنما أنواع التوحيد متلازمة. فمن أشرك مع الله غيره معه في شيء منها فقد أشرك فيما عداه". اهـ.

والمقصود أن توحيد الربوبية لم ينكره أحد إلا مكابر؛ كفرعون وغرود، والثنوية الذين اعتقادوا للوجود خالقين للخير والشر.

بيان الأدلة على توحيد الألوهية

أما الأدلة على توحيد الألوهية فأكثر وأشهر من أن تحصى، فقد دل العقل، والنقل على تقريره قام التقرير.

فمن الأدلة النقلية: قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفَسَهُمْ يَضْرُبُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٢ - ١٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قُطْمِيرٍ﴾ [١٣] إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشَرِيكِكُمْ وَلَا يُنِيبُكُمْ مِثْلُ خَيْرِي﴾ [١٤] [فاطر: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَبْغُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِنُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُ وَأَرْبَكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [آل عمران: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدُ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الْدِينَ﴾ [آل عمران: ٢١]

العقيدة خاص [١]

إِلَهُ الْدِّينُ الْخَالِصُ ﴿الزمر: من الآيتين ٢ - ٣﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا أَللّٰهَ مُخِصِّينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءٌ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُوا الزَّكٰوةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿البيت: ٥﴾.

يقول ابن أبي العز الحنفي # : "فالقرآن كله التوحيد وحقوقه وجرائمها، وفي شأن الشرك وأهله وجرائمهم ف: ﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الفاتحة: ٢﴾ توحيد، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿الفاتحة: ١﴾ توحيد، ﴿مَلِكُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿الفاتحة: ٤﴾ توحيد، ﴿إِيَّاكَ نَبْدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِنُ﴾ ﴿الفاتحة: ٥﴾ توحيد، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿الفاتحة: ٦﴾ توحيد متضمن لسؤال الهدایة إلى طريق أهل التوحيد ﴿الَّذِينَ أَنْعَطْتَ عَلَيْهِمْ عَيْرَ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا أَصْنَالَنَّ﴾ ﴿الفاتحة: ٧﴾ الذين فارقوا التوحيد.

وكذلك شهد الله لنفسه بهذا التوحيد وشهدت له به ملائكته وأنبياؤه ورسله، قال تعالى: ﴿شَهَدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَفْلَوْا الْعِلْمَ قَائِمًا بِالْقُسْطَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللّٰهِ الْأَكْلَمُ﴾ ﴿آل عمران: آية ١٨﴾، ومن الآية ١٩﴾ فتضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد والرد على جميع طوائف الضلال، فتضمنت أجل شهادة، وأعظمها، وأعدلها، وأصدقها من أجل شاهد بأجل مشهود به... .

وأما آياته العيانية الخلقية: فالنظر فيها والاستدلال بها يدل على ما تدل آياته القولية السمعية والعقل يجمع بين هذه، ويجزم بصحة ما جاءت به الرسل فتفتق شهادة السمع والبصر والعقل والفطرة... فالقرآن العظيم قد اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره، فإنه الدليل والمدلول عليه، والشاهد والمشهود له". اهـ. كلامه #.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي # ، وهو بعد الآيات الدالة على التوحيد: "الآيات بنحو هذا كثيرة جداً، ولأجل ذلك ذكرنا أن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير براد منها أنهم إذا أقرروا رب لهم التوبخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأن المقر بالربوبية يلومه الإقرار بالألوهية

العقيدة خاص [١]

ضرورة نحو قوله تعالى: ﴿أَفِ الْلَّهُ شَكُورٌ﴾ [إبراهيم: من الآية ١٠]، وقوله: ﴿قُلْ أَغَيَرَ اللَّهُ أَبْغَى رَبِّا﴾ [الأنعام: من الآية ١٦٤]. اهـ - #

ولا شك أن نوعي التوحيد الذي يقر به أكثر الناس وهو توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات يعدان من أكبر البراهين وأصحها على توحيد الألوهية. فالمفرد بالخلق والتدير، والمتوحد في الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذي لا يستحق العبادة سواه.

أما الأدلة العقلية: فكثيراً ما يرشد الله تعالى عباده إلى الاستدلال على معرفته بآياته الظاهرة في الآفاق والخلوقات العلوية والسفلية، قال تعالى: ﴿سَرِّيهِمْ إِيمَانِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَفْسِرِهِمْ حَتَّىٰ يَبْيَنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: من الآية ٥٣]. فالله يشهد بما جعل من آياته المخلوقة الدالة عليه، ودلالتها إنما هي بخلقه وجعله، كما قيل:

وفي كل شيء له آية ❖ تدل على أنه واحد
وقال آخر:

تأمل سطور الكائنات فإنها ❖ من إملك الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها ❖ إلا كل شيء ما خلا الله باطل
وقال آخر:

تأمل في نبات الأرض وانظر ❖ إلى آثار ما صنع الملوك
عيون من لجين شاحنات بأخذاق هي الذهب السبيك
على قصب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

وجملة القول: أن من عبد غير الله تعالى وهو يدعى الإيان بالله -جل وعلا- نقول له: هذه العبادة المزعومة له -جل جلاله- هي عداوة في حقيقة الأمر، وما أحسن قول من قال:

إذا صافى صديقك من تعادي ❖ فقد عادك وانقطع الكلام

العقيدة خاص [١]

أمير المؤمنين

العبادة وشرط قبوها، وذكر جملة من أفرادها

عناصر الدرس

- | | |
|-----|---|
| ١١٣ | العنصر الأول : تعريف العبادة في اللغة والشرع |
| ١١٦ | العنصر الثاني : أنواع العبادة، ومعنى توحيد الله بها |
| ١١٩ | العنصر الثالث : شرطا صلاح العبادة وقبوها |
| ١٢٠ | العنصر الرابع : ذكر جملة من أفراد العبادة التي شرع الله لعباده وتعبدهم بها |

تعريف العبادة في اللغة والشرع

أولاً : تعريف العبادة في اللغة :

مادة "العين والباء والدال" تدل على أصلين كأنهما متضادان :

أحدهما : اللين والذل.

والآخر : الغلظ والشدة. فمن الأول قول العرب : هذا عبد مملوك ، وهذا بغير معبد ، وهذا طريق معبد ، ومن الثاني : قولهم : هذا ثوب له عَبْدَة ، وبتحريك الباء - إذا كان صفيقاً قوياً . فالعبدة تعني القوة والصلابة.

ويقال : عبد الله يعبد عبادة ومعبداً ومعبدة . وعبودة ، وعبودية إذا خضع له وانقاد له . وذل له وأطاعه . وتأله له وتنسك .

فالعبادة والعبودة والعبودية : الخضوع والتذلل والطاعة والانقياد والتأله والتنسك ، يقال : طريق معبد ، أي : متذلل وطئته الأقدام وذلتله ، قال طرفة بن العبد :

ثباري عتافاً ناجياتِ وأتَيْعَنْ ❖ وظيفاً وظيفاً فوق مور معبد
فالشاعر يعني بالمور : الطريق ، والمذلل المذلل الموطوء ، ومن ذلك قيل : المعبد المذلل بالركوب في الحوائج معبد كما يقال للبعير المطلي بالقطران : معبد ، قال طرفة أيضاً :

إلى أن تحامتني العشيرة كلها ❖ وأفردت إفراد البعير المعبد

العقيدة خاص [١]

قولهم : للبعير المطلي بالقطaran معبد ؛ لأنه يتذلل لشهوته القطران فلا يمتنع ، فعلم مما سبق أن العبادة في اللغة تعنى الخضوع والتذلل والطاعة ، لكن هل يصح إطلاق العبادة على كل خضوع وتذلل ؟ أم هناك تقييد ؟.

يقول الزجاج # : "معنى العبادة في اللغة : الطاعة مع الخضوع". انتهى كلامه .
وقول ابن سيده # : "كل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة... لأن العبادة نوع من الخضوع لا يستحقه إلا المنعم". أ.هـ.

وقسم الراغب العبادة في اللغة إلى قسمين : عبادة بالتسخير. وعبادة بالاختيار وهذه لأصحاب النطق ، وهي التي جاءت الأوامر بها.

ثانياً: تعريف العبادة في الشرع :

عبارات العلماء كثيرة في بيان المعنى الشرعي للعبادة ، ولذلك فإنني سوف أذكر جملة من أهم تلك التعريفات :

١ - **عرفها الراغب الأصفهاني** # بقوله : "العبادة فعل اختياري مناف للشهوات البدنية تصدر عن نية براد بها التقرب إلى الله طاعة للشريعة". انتهى كلامه .

٢ - **عرفها البغوي** # بقوله : "العبادة الطاعة مع التذلل والخضوع ، وسمي العبد عبداً لذاته وانقياده". انتهى كلامه .

٣ - **عرفها الفخر الرازي** # بقوله : "هي فعل ، وقول ، أو ترك فعل ، أو ترك قول ، ويؤتى به مجرد اعتقاد أن الأمر به عظيم يجب قبوله". انتهى كلامه .

العقيدة خاص [١]

٤- وعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية # بقوله: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة" ، وقال أيضاً في تعريف آخر: "هي اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته وكمال الذل لله ونهايته ، فالحب الخلوي عن الذل ، والذل الخلوي عن حب لا يكون عبادة ، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين".

٥- قال الإمام ابن كثير # : "وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخصوص والخوف". انتهى كلامه.

٦- وقيل : العبادة: "ما أمر به شرعاً من غير اقتضاء عقلي ولا إطراء عرفي".
وقيل : العبادة هي : " فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسوله ابتغاء وجه الله والدار الآخرة".

وقال الشيخ ابن عثيمين # : "العبادة تطلق على معنيين : على التعبد ، وعلى المتعبد به. فعلى المعنى الأول يكون معنى العبادة : أن يتذلل الإنسان لربه بامتثال أمره. واجتناب نهيه محبة له ، وتعظيمًا فيكون هذا الوصف عائداً للإنسان العابد ، أما على المعنى الثاني وهو : أن العبادة تطلق على معنى المتعبد به ، فيتمثلها تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية السابق. فالصلوة إذن عبادة ، والصوم عبادة ، والحج عبادة". انتهى كلامه.

وأحسن هذه التعريفات وأجلاتها وأعلاها ، وأولاها هو: تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية ، والبغوي ، وابن كثير -رحمهم الله جميعاً- ؛ لأن تلك التعريفات تمثل حقيقة العبادة ، وتوضحها بأدق تعبير ، وأوجزه وأشمله وأحوطه ، وجميع أنواع العبادة داخلة في دائرة تلك التعريفات من أعمال تعبدية ، عملية أو اعتقادية.

العقيدة خاص [١]

فتبين من تعريف العبادة أن الدين كله داخل في مفهوم العبادة ، بدون استثناء . فالأعمال الاعتقادية ، والللغظية ، والبدنية ، والمالية ، كلها من أنواع العبادة ، وأجل ذلك دعاء المسألة فهو مع كونه داخلاً في العبادة وواحداً من أفرادها فهو من أجل تلك الأنواع ، ودعاء العبادة يستلزم لدعاء المسألة ، كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة ، فهما متلازمان .

أنواع العبادة، ومعنى توحيد الله بها

إن التعريف المختار للعبادة هو تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية # وهو أن العبادة : "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال ، والأعمال الظاهرة والباطنة" فالظاهرة ؛ كالتلطف بالشهادتين ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد في سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف ، ونصر المظلوم ، وتعليم الناس الخير ، والدعوة إلى الله #... وغير ذلك ، وأما الأعمال الباطنة ؛ فكالإيمان بالله # وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خير وشره ، وخشية الله تعالى وخوفه ورجائه ، والتوكيل عليه والرغبة والرهبة إليه ، والاستعانة به والاستغاثة والحب والبغض في الله ، والموالاة والمعاداة فيه... وغير ذلك .

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين # : "الصلوة ، والزكاة ، والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر القراءة ، وأمثال ذلك من العبادة كذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين

العقيدة خاص [١]

له، والصبر لحكمه الشكر لنعمته والرضا بقضائه، والتوكيل عليه، والرجاء لرحمته والخوف من عذابه، وأمثال ذلك. فالدين كله داخل في العبادة". انتهى كلامه.

فإن قيل : فما الجامع لعبادة الله بِعَيْنِكَ؟

قلت : طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه مع كمال المحبة، وكمال الخضوع والخوف والذلة والجمع بين الخوف والرجاء في العبادة.

فالأعمال الظاهرة لا تقبل ما لم يساعدها عمل القلب، ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل، ولا تنفع عبادة بوحد من هذين دون الآخر، ولذا قال بعض السلف : "من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد". انتهى كلامه.

ولاشك أن معرفة محاب الله ومعاصيه إنما تتلقى من طريق الشرع وإنما تحصل بمتابعة الشارع. ولذا قال الحسن البصري # : "ادعى قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يَعِبِّدُكُمْ اللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١". انتهى كلامه. فمن ادعى محبة الله تعالى ولم يكن متبعاً لرسوله بِعَيْنِكَ فهو كاذب. وقال الإمام الشافعي # : "إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، أو يطير في الهواء فلا تصدقوه حتى تعلموا متابعته لرسول الله بِعَيْنِكَ" انتهى كلامه #.

إذن : فلا بد في توحيد الله بالعبادة من أن تتحقق فيها أركان العبادة الثلاثة وهي : المحبة والرجاء والخوف. فالعبارة ؛ كالطير قلبه الحب، وجناحاه الخوف والرجاء. فالآمن من مكر الله خسران، واليأس من روحه كفران، والقنوط من رحمة الله ضلال وطغيان، وعبادة الله بِعَيْنِكَ بالحب والخوف والرجاء توحيد وإيمان.

العقيدة خاص [١]

فهذه الثلاثة الأركان شروط في العبادة لا قوام لها إلا بها : فالعزيمة الصادقة شرط في صدورها ، والنية الخالصة ، وموافقة السنة شرط في قبولها ، فلا تكون عبادة مقبولة إلا باجتماعها ، فإن إخلاص النية بدون صدق العزيمة هو سوء وتطويل أمل وقتن على الله ، وتسويغ في العمل وتفريط فيه ، وصدق العزيمة بدون إخلاص فيه يكون شركاً أكبر أو أصغر بحسب ما نقص من الإخلاص . وإن إخلاص النية مع صدق العزيمة إن لم يكن العمل على وفق السنة كان بدعة وحدثاً في الدين . وشرع ما لم يأذن به الله فيكون ردًا على صاحبه ووبالله عليه والعياذ بالله ، فلا يصدر العمل من العبد إلا بصدق العزيمة ، ولا يقبل منه ذلك إلا بإخلاص النية ، واتباع السنة . قال العلامة ابن القيم # :

❖ والصدق والإخلاص ركنا ذلك الته
❖ وحقيقة الإخلاص توحيد المرا
❖ والصدق توحيد الإرادة وهو بذ
❖ والسنة المثلث لسالكها فتو حيد الطريق الأعظم السلطاني

وقال الشيخ حافظ الحكمي # وهو يعدد أنواع العبادة :

❖ وفي الحديث منها الدعاء ❖ خوف توكل كذا الرجاء
❖ ورغبة ورهبة خشوع إنبابة خضوع
❖ والاستعاذه كذا استغاثة به سبحانه
❖ والذبح والنذر وغير ذلك فافهم هديت أوضح المسالك
❖ وصرف بعضها لغير الله ❖ شرك وذاك أقبح المنهي

العقيدة خاص [١]

شرط صلاح العبادة وقوتها

من ثراث الاعتصام بالكتاب والسنّة والتقييد بهما في الورود والصدور، فإنّ أهل السنّة والجماعات خرجوا بمنهج واضح ودقيق أخذناً من آيات القرآن العظيم وأحاديث السنّة القوية، وهو أنّ العبادة لا تكون صالحة مقبولة وواسطة شرعيّة يتقرب بها إلى الله تعالى حتّى يتوفّر فيها شرطان مهمان وركنان عظيمان وهما:

أولاً: أن يكون خالصاً بأن يقصد به وجه الله ﷺ.

ثانياً: أن يكون صواباً، أي موافقاً لما شرعه الله تبارك وتعالى في كتابه، أو بينه رسوله ﷺ في سنته فإذا اخترع واحد من هذين الشرطين لم يكن العمل صالحاً ولا العبادة مقبولة. والدليل على ذلك قوله الله تعالى: ﴿فَنَّكَانَ يَرْجُو الْفَاءَ رَبِّهِ، فَلَيَعْمَلَ عَمَلاً صَنِلِحَا وَلَا يُشْرِكُ إِعْبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، قال الحافظ ابن كثير # "وهذا ركنا العمل المتقبل لابد أن يكون خالصاً لله صواباً على شريعة رسول الله ﷺ". انتهى كلامه.

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿لِبَلُوكُمْ أَيْتُكُمْ أَحَسْنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢] ولم يقل أكثر عملاً؛ لأنّ العبرة ليست بكثرة الأعمال وإنما بالأعمال الصالحة المقبولة، ولهذا قال الفضيل بن عياض # في الآية: "أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنّة". انتهى كلامه رفع مقامه.

العقيدة خاص [١]

وقال العلامة ابن القيم # : "فلا يكون العبد متحققاً بـ: ﴿إِنَّكَ تَعْمَلُ﴾ [الفاتحة: ٥] إلا بأصلين عظيمين: أحدهما متابعة الرسول ﷺ، والثاني الإخلاص للعبود". انتهى.

وقد ذكر بعضهم مثالاً لفرق بين العمل القليل الخالص والكثير المشوب بصناديق واحد وصناديق.

ذكر جملة من أفراد العبادة التي شرع الله لعباده وتعبدهم بها

لقد قدمنا أن العبادة إذا استوفت شرطي القبول كانت صالحة ومقبولة لدى المولى الكريم، وصح توحيد الله تعالى بها، وقلنا إن الدين كله داخل في العبادة، إلا أنها سوف نذكر جملة من أفراد هذه العبادة للتعميل لا للحصر.

فمنها: "المحبة"، فمن أشرك بين الله تعالى وبين غيره في المحبة التي لا تصلح إلا لله فهو مشرك قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَخَذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجْبِهُمْ كُحُبَّ اللَّهِ وَالَّذِينَ إِذَا آمَنُوا أَشَدُ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْلَيْرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذَا يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [١٦٥] إِذْ تَبَرَّا الَّذِينَ آتَيْتُمُوهُمْ فَتَبَرَّا مِنْهُمْ كَمَا وَتَقَطَّعَتْ يَدُهُمُ الْأَسْبَابُ﴾ [١٦٦] وَقَالَ الَّذِينَ آتَيْتُمُوهُمْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّهُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَانَهُمْ حَسَرَتِ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَرِيجِينَ مِنَ النَّاسِ﴾ [١٦٧].

ومنها: "التوكل"، فلا يتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

العقيدة خاص [١]

ومنها: "الخوف"، فلا يخاف خوف السر إلا من الله تعالى، ومعنى خوف السر: أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصييه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره، فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقاد للنفع والضر في غير الله، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَأْخُذُ أَهْلَهُ فَارْهَبُونَ﴾ [النحل: ٥١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَأَخْسَحُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسَكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ﴾ يُصيّبُ يَهُهُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿يُصيّبُ يَهُهُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٨].

ومنها: "الرجاء"، فيما لا يقدر عليه إلا الله كمن يدعوا الأموات أو الغائبين راجياً حصول مطلوبه من جهتهم، فهذا شرك أكبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٢١٨]، وقال علي < : "لا يرجون عبد إلا ربها".

ومنها "الصلاه"، والركوع والسجود: فلا يركع ولا يسجد لغير الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَاحْتَرِزْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧].

ومنها: "الدعاء" فيما لا يقدر عليه إلا الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لِكُوئِنَ الَّذِينَ يَسْتَكْرِدونَ عَنِ عِبَادِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاهِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَتَّقُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُوكُتْ مِنْ قِطْمِيرِ﴾ [١٣]، إن تدعوهُمْ لَا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما أستجابوا لكم و يوم القيمة يكفرُونَ بِشَرِّكُمْ وَلَا يُنِيئُوكَ مِثْلُ خَيْرِ﴾ [فاطر: ١٤ - ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

العقيدة خاص [١]

وقال الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله ❖ وبني آدم حين يسأل يغضب
لا تسألن بئي آدم حاجة ❖ وسل الذي أبواه لا تحجب

وقال آخر:

ولأكتمن عن البرية خلقي ❖ ولاشكون إليك جهد زماني
ولأقصدك في جميع حوانجي ❖ من غير قصد فلانة وفلان
ومنها: "الذبح"، فلا يجوز أن يذبح تقرباً لغير الله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَمَّا يَرِيدُ اللَّهُ رِبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١٦٣] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَإِنَّا أَوْلَى^{١٦٣}
الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] ومن السنة: ((لعن الله من ذبح لغير الله)) رواه الإمام مسلم.

ومنها: "الذرر"، قال تعالى: ﴿ وَلَيُوقِفُوا نُذُرَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٩]، وقال تعالى:
﴿ يُوْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧]، فقد ثبت أنه عبادة بمقتضى
مشروعية الوفاء به، وإذا ثبت كونه عبادة لله تعالى فصرفه لغيره شرك في العبادة.

ومنها: "النوبة"، فلا يتاب إلا لله، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ كُلَّهُ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿ وَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ جِمِيعًا أَيُّهُمْ مُّؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

ومنها: "الاستعاذه"، فيما لا يقدر عليه إلا الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
الْعَالَقِ ﴾ [الفلق: ١]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [الناس: ١].

ومنها: "الاستغاثة"، فيما لا يقدر عليه إلا الله. قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغْاثُونَ
رَبَّكُمْ فَاسْتَجِابَ لَكُمْ ﴾ [الأفال: ٩].

العقيدة خاص [١]

ومنها: "الرغبة والرهبة والخشوع"، من أنواع العبادة الرغبة فيما عند الله تعالى من الثواب وهي راجعة إلى معنى الشواب، والرهبة ما عنده من العقاب وهي راجعة إلى معنى الخوف، والخشوع هو التذلل والانكسار لله عَزَّوجَلَّ، قال تعالى في آل زكريا # : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغْبَةً وَرَهْبَةً وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنياء: ٩٠] ، وقال تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَأَنْصَبْ وَإِلَيْكَ فَارْجَبْ﴾ [الشَّرْح: ٧، ٨].

ومنها: "الاستعانة"، وهي طلب العون من الله عَزَّوجَلَّ، قال تعالى : ﴿إِلَيْكَ نَعْثُدُ وَإِلَيْكَ نَسْتَعِنُ﴾ [الفاتحة: ٥] أي : لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك ونبأ من كل معبد وعابديه، ونبأ من الحول والقوة إلا بك فلا حول لأحد عن معصيتك ولا قوة على طاعتك إلا ب توفيقك ومعونتك.

وفي وصية النبي ﷺ لابن عباس: ((إذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله)) رواه الترمذى وصححه.

والخلاصة: أن جميع أنواع العبادة وأفرادها موضحة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لا تحتاج إلى زيادة ولا نقصان كما قال تعالى : ﴿أَلَيْوَمَ أَكْلَمُ لَكُمْ دِيَنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا﴾ [المائدة: ٣٢] فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع ، أو مدحه الشارع أو أثنى على من قام به فهو عبادة وقربة ، وكل أمر ثبت النهي عنه من الشارع أو ذمه الشارع ، أو ذم من قام به فإن الانتهاء عنه وتركه والبعد عنه عبادة أيضاً وقربة ، وطاعة الله في جميع ذلك هي توحيد وإيمان وعبادة وإخلاص ، وصرفه أو صرف نوع منه أو فرد من أفراده لغير الله شرك وعصيان؛ لأن الجامع لعبادة الله وحده طاعته بامتثال أوامره واجتناب مناهيه.

العقيدة خاص [١]

فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى فقد اخذه رباً وإلهاً وأشرك مع الله غيره، وصرف شيء قل أو كثر من أنواع العبادة لغير الله ﷺ كصرف جميعها؛ لأن الله سبحانه أغني الشركاء عن الشرك. ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم. قال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الَّذِينَ آتَاهُمُ الْأَلَّاهَ الْأَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ٢٣].

وهذا الشرك في العبادة هو الذي كفر الله به المشركين وأباح دماءهم وأموالهم وأعراضهم إلا فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرزاق الحي المحيي ليس له شريك في ملكه وإنما كانوا يشتركون به غيره من العبودات والوسائل في هذه العبادات ونحوها كما يشهد عليهم بذلك قولهم في تلبيتهم:

لبيك	لا	شريك	لك	❖	إلا	شريكًا	هو	لك
....
تملكه	واما	ملك						

فهذه العبادات وغيرها هي حق الله على عباده يختص بها دون غيره، ولا يجوز أن يشاركها فيها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما.

العقيدة خاص [١]

المصطلحات السابقة

من نوافض التوحيد: الشرك، تعريفه، وأقسامه، وأفراده

عناصر الدرس

- | | |
|-----|--|
| ١٢٧ | العنصر الأول : تعريف النوافض في اللغة والاصطلاح |
| ١٣١ | العنصر الثاني : تعريف الشرك في اللغة والشرع |
| ١٣٣ | العنصر الثالث : إطلاقات أهل العلم للشرك |
| ١٣٨ | العنصر الرابع : أقسام الشرك |
| ١٣٩ | العنصر الخامس : امداد بالشرك الأكبر |
| ١٤٤ | العنصر السادس : امداد بالشرك الأصغر |

العقيدة خاص [١]

تعريف النواقض في اللغة والاصطلاح

تمهيد:

لما تقدم معنا تعريف التوحيد، وبيان أنواعه بالتفصيل، وكان منهجاً الكلام بالتفصيل حول توحيد الألوهية، ومكانته، وفضله، والأدلة عليه، وتعريف العبادة، وبيان أنواعها، وشرطي صلاحتها. لما كان الأمر كذلك، فإنه من المناسب أن نتناول بيان ما ينافق عقيدة التوحيد أو ينافق كمالها، والتحذير من تلك النواقض؛ لأن الصد يتميز بذكر نقشه، كما قال الشاعر:

ضدانِ مَا استجمعا حسناً ❖ والضد يظهر حسه الضد
لأن هذا أمر عظيم يستحق الاهتمام كيف لا؟ وهو بيان ما ينقض البنيان من أساسه للحذر منه والتحذر عنه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقْضَتْ غَرَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْحَكَنَا ﴾ [النحل: ٩٢]، وكما قيل:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه ❖ إذا كنت تبنيه وغيرك بهدم؟!
ولا ريب أن بيان هذه النواقض والتحذير منها حماية لبناء الإيمان من أن ينهدم، والحذر من الشر؛ مخافة الوقوع فيه من فعل السلف، رحمهم الله تعالى.

قال حذيفة بن اليمان < : "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكانت أسأله عن الشر مخافةً أن يدركني". رواه الإمام البخاري في كتاب "الفتن" باب : "كيف الأمر إذا لم تكن جماعة؟".

وقد يقال :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ❖ ومن لا يعرف الشر من الكبر يقع فيه

العقيدة خاص [١]

أولاً: تعريف النواقض لغة:

النواقض: جمع ناقض، والنقض: هو إفساد ما أبرم من عقد أو بناء، يقال: نقضت الحبل نقضاً إذا حللت برمته، أي: فتلها، ونقضت البناء وانتقض، وتنقض كذلك. وأنقضت الفروجة والدجاجة عند البيض.

ويقال: نقض فلان العهد، وناقض قوله الثاني الأول، وفي كلامه تناقض، وهذا نقىض ذاك، أي: مناقضة، وتناقض القولان والشاعران: إذا كان أحدهما يأتي بما يبطل ما أتى به الأول. وانتقضت الطهارة، أي: بطلت، وانتقض الجرح بعد برئه والأمر بعد التئامه إذا فسد. فالنقض ضد الإبرام.

ثانياً: تعريف النواقض اصطلاحاً:

إذا كنا نقول: انتقض الوضوء بأحد نواقضه المعروفة بمعنى فسد ولزمه إعادةه. فنقول: إن المراد بالنواقض هنا: هي الأمور التي إذا فعلها الشخص فسد توحيدُه وانتقض.

فإذا عرفنا معنى التوحيد ومعنى النواقض، فلنعلم أن من وقع في شيءٍ مما يفسد التوحيد فقد انتقض توحيده، وقد يقع العبد -أحياناً- في ارتكاب بعض ما ينافي كمال التوحيد فيقال: إنه نقض كمال توحيده.

وقد كان علماء السلف المتقدمون -رحمه الله عليهم- يعبرون عن النواقض بقولهم: خرج عن الإسلام، أو ارتد عن دينه، أو كفر، ونحو ذلك -والعياذ بالله تعالى- ومن ذلك قول الإمام الطحاوي # : "ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بمحود ما أدخله فيه". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

وقد استعمل الشيخ محمد بن عبد الوهاب # هذه التسمية "نواقض" في رسالته (نواقض الإسلام)؛ ليكون لها وقع في نفوس العامة والخاصة، فيتصورون كما أن الموضوع إذا بطل لم تصح الصلاة إلا بعد إعادته، كذلك التوحيد إذا نقض لم تصح العبادة والأعمال إلا بعد إعادته إلى القلب.

ومن ثم شاع استعمال مصطلح "نواقض التوحيد" بعد ذلك فاستعمله تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأبناؤه وأحفاده -رحمهم الله- وأخيراً ظهر استعمال هذا المصطلح عند المعاصرين، فألف الشيخ عبد المجيد الزنداني كتاباً في الإيمان، وعقد فيه باباً سماه: "نواقض الإيمان" كما ألف الشيخ محمد نعيم ياسين كتاباً في الإيمان وسماه: (الإيمان أركانه وحقيقة ونواقضه).

وإذا نظرنا إلى إطلاق هذا المصطلح - "نواقض التوحيد" - بجانب تعريف التوحيد الشامل لأنواعه الثلاثة:

- ١- توحيد الألوهية.
- ٢- توحيد الربوبية.
- ٣- توحيد الأسماء والصفات.

لزم أن يشمل مدلول هذه التسمية "نواقض" أنواع التوحيد الثلاثة.

لكن الذي اشتهر عند أهل العلم أنه إذا أطلق التوحيد - كما مر سابقاً - فإنما يقصد به عند الإطلاق توحيد الألوهية؛ لأن هذا النوع من التوحيد هو الذي كانت الخصومة فيه بين الأنبياء - عليهم السلام - وأئمهم، واشتد فيه الخلاف والقتال بين أتباع الوحي والمكذبين به. يقول الشيخ حافظ الحكمي # : "قد قدمنا انقسام التوحيد إلى قسمين: توحيد المعرفة والإثبات: وهو توحيد الربوبية

العقيدة خاص [١]

والأسماء والصفات. وتوحيد الطلب والقصد: وهو توحيد الألوهية والعبادة. ولكل من هذه الأنواع ضد يفهم من تعريفه. فإذا عرفت أن توحيد الربوبية هو: الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الرازق، المحيي الميت، المدير لجميع الأمور، المتصرف في كل مخلوقاته، لا شريك له في ملوكه، فضد ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيما لا يقدر عليه إلا الله، بِعَذْكَ.

وإذا عرفت أن توحيد الأسماء والصفات هو: أن يدعى الله تعالى بما سمي به نفسه، ويوصف بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله محمد ﷺ وينفي عنه التشبيه والتلميل، فضد ذلك شيئاً ويعندهما اسم الإلحاد:

أحدهما: نفي ذلك عن الله بِعَذْكَ وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة.

وثانيهما: تشبيه صفات الله تعالى بصفات خلقه، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمُثْلِهِ شَيْءٌۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَفُهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وإذا عرفت أن توحيد الألوهية هو: إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله - تبارك وتعالى - فضد ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله بِعَذْكَ وهذا هو الغالب على عامة المشركين، وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأئمتها". انتهى كلامه.

وعليه فإن النواقض للتوحيد المقصودة في مفردات هذا المنهج، هي النواقض لهذا النوع من التوحيد، وهذه النواقض عشرة وهي:

- ١ - الشرك في عبادة الله تعالى.

العقيدة خاص [١]

- ٢- من جعل بينه وبين الله تعالى وسائط يدعوه، ويسائلهم الشفاعة، ويتوكل عليهم، كفر إجماعاً.
- ٣- من لم يكُن المشركون، أو شك في كفرهم، أو صلح مذهبهم كفر.
- ٤- من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذى يفضل حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.
- ٥- من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر.
- ٦- من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله أو عقابه كفر.
- ٧- السحر ومنه الصرف والاعطف، فمن فعله أو رضي به كفر.
- ٨- مظاهر المشركون ومعاونتهم على المسلمين.
- ٩- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى -عليه السلام- فهو كافر.
- ١٠- الإعراض عن دين الله تعالى، لا يتعلم ولا يعمل به.
وستتناول هذه النواقض تباعاً وتفصيلاً بعون الله تعالى.

تعريف الشرك في اللغة والشرع

أولاً: تعريف الشرك لغة:

اعلم أن الشرك في عبادة الله تعالى هو الناقض الأول، بل هو أعظم هذه النواقض ورأسها، ولهذا فإننا نجد أن القرآن الكريم قد حذر منه، وكرر ذلك التحذير، وذم أهل الشرك وذكر مصيرهم المشين في آيات كثيرة حتى تكررت لفظة: الشرك، وما تصرف منها أكثر من مائة وخمس وستين مرة تقريباً، أما الأحاديث

العقيدة خاص [١]

النبوية الشريفة ففيها من ذلك الشيء الذي يصعب حصره، ذلك أن الشرك أعظم مفسد للعلم والعمل المبتغي بهما رضوان الله والسعادة، وليس أضر على الإنسان من إفساد عمله وعلمه، ولذا كان من أشد الناس خسراً من اتصف بالناصية الكاذبة الخاطئة. قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٌ كَذِبَةٌ خَاطِئَةٌ﴾ [العلق: ١٦] فيه الجمع بين الكذب والخطأ في وصف هذه الناصية، فدل على وصفه بفساد القول والعمل.

الشرك لغة: اسم للشيء الذي يكون بين أكثر من واحد، تقول: قد أشرك الرجال وشاركا، وشارك أحدهما الآخر، وشركت الرجل في الأمر: أشركه شركا وشركة: إذا صرط له شريكًا، وجمع الشرك: شركاء وأشرك، والشرك: النصيب، والشرك بالله: الكفر به.

ويقال: طريق مشترك، وامر مشترك، قال زهير:

ما إن يكاد ينظيم لوجههم ♦ تخلجَ الأمْرُ إنَّ الْأَمْرَ مُشَتَّرُكُ
وفي حديث معاذ بن جبل < أنه أجاز بين أهل اليمن الشرك، أي: الاشتراك في الأراضي، وهو أن يدفعها صاحبها إلى آخر بالنصف، أو الثلث، أو نحو ذلك.

وفي قول عمر بن عبد العزيز # : "إن الشرك جائز"، هو من ذلك.

ثانياً: تعريف الشرك شرعاً:

هو مساواة غير الله بالله فيما هو حق الله. فقولهم: أشرك الرجل بالله، أي: جعل مع الله شريكًا، سواء كان في الربوبية أو الألوهية، إلا أنه يكثر في طلاقه على الشرك في الألوهية.

وعرفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب # بقوله: "هو أن يدعوا مع الله غيره أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها". فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى، أو قصد غير الله بشيء من أنواع العبادة، فقد اتخذ هذا

العقيدة خاص [١]

الغير ربّا وإلها من دون الله تعالى، وأشرك مع الله غيره الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه وأنكره على المشركين، وأخبر أنه لا يغفره، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشَرِّكَ بِهِ، وَيَعِزُّ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشَرِّكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارِ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وصرف الشيء من العبادة لغير الله كصرف مجموعها؛ لأن الله ﷺ: ((أغنى الشركاء عن الشرك))، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدُ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الَّذِينَ ﴿١﴾ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَنْخَالُصُ وَالَّذِينَ أَخْنَدُوا مِنْ دُونِهِ أَوْ لِكَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَيْ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِيءِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٢ - ٣].

وعرفه الشيخ عبد الرحمن السعدي # بقوله: "فاما الشرك الأكبر: فهو أن يجعل لله ندّاً يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة". انتهى كلامه.

إطلاقات أهل العلم للشرك

قد يطلق الشرك ولا ندرى هل المراد به الشرك الأكبر المخرج من الملة، أم المراد به الشرك الأصغر؟ إلا أن السياق قد يحدد أحد الإطلاقين، ولكي لا نحكم بالشرك الأكبر على من حكمه الأصغر وبالعكس. ينبغي أن نعرف أن الشرك في معناه الشرعي يطلق على ثلاثة معانٍ:

أولها: الاعتقاد بوجود شريك مع الله تعالى في الملك والربوبية والخلق والرزق والتصرف في الكون، فمن اعتقاد أن أحداً غير الله يتصرف في هذا الكون ويدبر شعونه، فقد أشرك في الربوبية، وكفر بالله تعالى، والدلائل على بطidan الربوبية لغير الله تعالى كثيرة ظاهرة: مرئية، ومسموعة، أما المرئية فما نشاهده من آيات

العقيدة خاص [١]

في هذا الكون المنظم من أرض وسماء، وجبال وأشجار، ونجوم وكواكب، فإن هذه المخلوقات بما هي عليه من النظام والدقة، وحسن الخلقة، وأساليب العيش، تقول بلسان حالها : آمنوا بخالقي العظيم الذي أبدعني ونظمني ، وهذا الاستدلال يدركه كل ذي نظرة سليمة، وعقل سليم، وفي المثال : البعثة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير.

ولقد أحسن القائل :

وفي كل شيء له آية ♦ تدل على أنه واحد
وأما الأدلة السمعية فمنها : قول الله - تبارك وتعالى - : ﴿ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعمُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِيكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ هُنْمٌ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢].

فأخبر ﷺ أن هؤلاء المدعى أنهم آلهة لا يملكون في الأرض والسماء ذرة من خير وشر، أو نفع وضر، ولم يشتركوا مع الله في شيء من خلق السماء والأرض، وأنه ﷺ لم يتخذ منهم معيناً، وبهذا يعرف أنه لا استحقاق لهم في الأولوية.

ومن الأدلة السمعية قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ مَا نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرْوَفِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ كُلُّمَا شَرَكُوا فِي السَّمَاوَاتِ ﴾ [فاطر: ٤٠].

فإن الله ﷺ قد أمر نبيه ﷺ في هاتين الآيتين أن يوبخ الكفار ويبكتهم بأن يسألهم عن الشركاء الذين يدعونهم من دون الله ويعبدونهم : بأي شيء أوجبوا لهم الشركة في العبادة. هل ذلك بشيء خلقوه من الأرض أو شاركوا خالق السموات والأرض؟!

العقيدة خاص [١]

ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَشْخُذْ وَلَا وَلَهُ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ [الإسراء: ١١١] فذكر سبحانه أن من صفاته ألا مشارك له في ملكه وربوبيته، كما تزعمه الشنية ونحوهم من الفرق القائلة بتعدد الآلهة.

وهذا الشرك لم يكن عند جميع الكفار في عهد الرسالة، فقد كان بعضهم يقر بأن الله هو الخالق للكون المصرف لما فيه. قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ أَسْمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَفَلَا يُؤْكِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

ثانيها: الاعتقاد في غير الله النفع والضر، وأن هذا الغير واسطة بين الله والخلق، فيتوجه إليه، ويصرف له بعض أنواع العبادة، وهذا الشرك هو الشرك في الألوهية، وهو الذي كان عليه أكثر كفار قريش، فقد كانوا يقولون عن آلهتهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣]. وقد كان هذا الشرك اعتقادهم السائد، كما قال تعالى عنهم: ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ [غافر: ١٢].

فإنهم كانوا إذا دُعِيَ الله وحده، أنكروا أن تكون له الألوهية خاصةً، وإن أشرك به مشرك صدقوه، يشهد لذلك قول الله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿ ٤ ﴾ أَجْعَلَ الْأَلْهَمَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ [ص: ٤].

وأخبر سبحانه أن توحيد الله تعالى وترك الشرك به، هو الأمر الذي من أجله بعث رسوله محمدًا ﷺ فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَأْبِ ﴾ [الرعد: ٣٦]، وأن الشرك مقابل لذلك تماماً، فإنه يهدم ويحيط العمل، وذلك في كل الأمم، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِيَنْ أَشْرَكَ لِيَجْبَطَ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

العقيدة خاص [١]

ومن أجل ذلك أمر الله بعبادته ونهى عن الشرك به في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الظَّغْرُوتَ ﴾

[التحل: ٣٦].

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يتحدى المشركين ويعجزهم بأن يقول لهم: ﴿ أَدْعُوكُمْ شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كَيْدُونَ فَلَا نُنَظِّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

وأخبر سبحانه عن ضلال المشركين وسفه عقولهم باعتقادهم نفع غير الله أو ضره، فقال: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونَ فِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شَرَكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ عَانَتْهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتِ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعْدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غَرْوَرًا ﴾ [فاطر: ٤٠].

ثالثها: المرأة لغير الله في الأعمال والأقوال، وهو أن تظهر من المسلم أمور فيها مراة غير الله معها فيما يستحقه وحده. وقد تكون هذه المرأة في الأعمال: كالرياء في العمل، وقد تكون في الأقوال: كالتلفظ بأقوال فيها المساواة لغير الله بالله، وإن لم يعتقد معناها.

فأما المرأة بالأعمال: فكالمرأة بالعبادات الدينية، كمن يصلى، فيطيل القيام ويطيل الركوع والسجود، ويظهر الخشوع عند رؤية الناس له، ويصوم فيظهر للناس أنه صائم، فيقول -مثلاً- مخاطباً غيره: اليوم الإثنين أو الخميس، ألا تعلم؟ ألمست بصائم؟. ومثل ذلك يقال في الحج والجهاد، فيذهب إليهما ومقصده المرأة فحسب.

وهنا ذكر أهل العلم قصة ظريفة حصلت لمرأة في أحد المساجد، وهو أن هذا المرائي كان مرة يصلى في مسجد فحسن صلاته، وأظهر خشوعه وهو يحسن

العقيدة خاص [١]

برجل يرمقه ببصره، فلما انتهى من صلاته، سَلَمَ عليه ذلك الرجل الذي كان ينظر إليه وقال له : ما أحسنَ هذه الصلاة ، وما أجمل خشوعك فيها ، فقال هذا المرائي : هل أعلمك بشيء آخر؟ فقال له الرجل : نعم . فقال : إني مع ذلك صائم أيضًا.

وأما المرأة بالأقوال إظهاراً للتدين كمن يتصدر المجالس بالوعظ والتذكير، فيحفظ الأخبار والآثار الخاصة بالمناسبات ؛ ليحاور بها الناس ويجادلهم ، فيظهر لهم أنه على معرفة بها ، فيظهر لهم غزاره العلم ، وشدة العناية بأحوال السلف ، وتجده بعيداً عن حياة السلف وأخلاقهم مع أهله وخصاته . فكل هذه الأعمال ينافي فعلها كمال التوحيد والإخلاص .

وقد دل على ذم الرياء أدلة كثيرة ؛ منها : ما رواه أبو هريرة < قال : قال رسول الله ﷺ : ((قال الله - تبارك وتعالى - : أنا أغني الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري ، تركته وشركته)). (صحيح مسلم).

وقال النبي ﷺ : ((إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيمة لا ريب فيه ، نادى منادٍ : من كان أشرك في عمل عمله لله ، فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله أغني الشركاء عن الشرك)). رواه ابن ماجه .

وما يدل على ذلك أيضاً : ما رواه عمرو عن محمود بن لبيد ، أن رسول الله ﷺ قال : ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، ويقول الله تعالى لهم يوم القيمة إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا : هل تجدون عندهم جزاء؟)) رواه الإمام أحمد .

العقيدة خاص [١]

ومن الأدلة الجامعة لذم الأعمال والأقوال التي فيها رياء: ما روى ابن عباس { قال: قال رسول الله ﷺ: ((من سَمِعَ سَمْعَ اللهِ بِهِ، وَمَنْ رَأَى رَأْيَ اللهِ بِهِ)) رواه مسلم.

اللهم ارزقنا إيماناً دائماً، وعلماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وعملًا صالحًا متقبلاً، لا
رياء فيه ولا شوبًا. إنك أنت ولي ذلك والقادر عليه.

أقسام الشرك

لقد تقدم معنا أن الشرك هو أعظم الحرمات وأخطرها، وهو لا يغفره الله لمن
مات عليه، ولكونه من أعظم الذنوب وتفشيه يدمر المجتمعات والحضارات، فإنه
ينبغي أن نذكر أنه أقسام.

فنقول:

إذا نظرنا إلى تقسيم أهل العلم للشرك، فإننا سوف نلاحظ أن تقسيمهم لا يخرج
عن كون الشرك نوعين: أكبر وأصغر، إلا أن العلماء يختلفون في العبادة والتنويع.
فتراهم يقسمون الشرك عدة تقسيمات، وأكثرهم ينظر في تقسيمه إلى الشرك في
الألوهية، فنجد منهم من يقسمه إلى شرك أكبر وأصغر، ومنهم من يقسمه إلى
ثلاثة أقسام: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي. ومنهم من يقسمه على
حسب تقسيم أنواع التوحيد الثلاثة: فيقول: شرك في الربوبية، وشرك في
الألوهية، وشرك في الأسماء والصفات. ومن العلماء من يقسم الأكبر إلى أربعة
أقسام، ومنهم من يقسمه إلى قسمين: قسم يتعلق بذات الله، وقسم يتعلق
بعبادته.

إلا أن التقسيم الذي يجمع كل هذه التقسيمات، ويؤلف بينها أن نقول:
الشرك نوعان: شرك أكبر وشرك أصغر.

العقيدة خاص [١]

يقول الشيخ حافظ الحكمي #:

والشرك نوعان فشرك أكبر ❖ به خلود النار إذ لا يغفر
وهو اتخاذ العبد غير الله ❖ ندأ به مسويًا وضاهي
يقصده عند نزول الضر ❖ لجلب خير ولدفع الشر
أو عن أي غرض لا يقدر ❖ عليه إلا المالك المقدر
مع جعله لذلك المدعو ❖ أو المعظم أو المرجو
في الغيب سلطاناً به يطلع ❖ على ضمير من إليه يفزع
والثاني شرك أصغر وهو الرياء ❖ فسرأه به خاتم الأنبياء
ومنه إقسام بغير الباري ❖ كما أتى في محكم الأخبار

المراد بالشرك الأكبر

الشرك الأكبر نوعان:

الأول: شرك يتعلق بذات الله تعالى.

الثاني: شرك يتعلق بعبادته.

النوع الأول:

ما يتعلق بذات الله، فهو الشرك في الربوبية، وهو نوعان:

١ - شرك في التعطيل:

كشرك فرعون، وشرك الملاحدة. والتعطيل ثلاثة أقسام: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه. وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس، وهذا هو الشرك في الأسماء والصفات. وتعطيل معالته عما يجب على العبد حقيقة التوحيد.

العقيدة خاص [١]

٢- شرك من جعل مع الله إلها آخر، ولم يعط أسماءه وصفاته وريوبنته: كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، حيث جعلوا المسيح إلها، وأمه إلها، وأمثالهم كثير.

النوع الثاني :

ما يتعلق بعبادة الله، وهو الشرك في الألوهية، فهو أربعة أنواع:

١- شرك الدعوة بأن يتوجه بالدعاء الذي هو العبادة لغير الله تعالى.

٢- شرك النية والإرادة والقصد، فإن إرادة غير الله بالعمل يبطل ثوابه ويحبطه.

٣- شرك الطاعة، بأن يطيع العبد مخلوقاً في معصية الله تعالى.

٤- شرك الحبة، بأن يحب العبد مخلوقاً كمحبة الله تعالى.

ومثال الشرك الأكبر: كالتخاذل في دعوه أو يرجوه أو يخافه أو يذبح له، أو يصرف له أي نوع من أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَّا مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَنْوَهُ إِلَّا فِي أَذَلَّ أَرْضٍ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

ومن أمثلة الذبح لغير الله تعالى: كمن يذبح للجن أو القبر، وقد عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب # باباً في كتاب (التوحيد)، وعنوانه: "باب ما جاء في الذبح لغير الله تعالى"، وذكر من أدلة ذلك، قول الله - تبارك وتعالى - : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَسُكُونِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِقِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾١٦٣﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٢، ١٦٣]، وقال تعالى أيضاً: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرَ﴾

[الكواشر: ١].

العقيدة خاص [١]

وعن علي بن أبي طالب < قال : ((حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : لعن الله مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَعْنَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَ وَالدِّيْهِ، لَعْنَ اللَّهِ مَنْ آوَى مُحَمَّدًا، لَعْنَ اللَّهِ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ)). رواه الإمام مسلم ، #.

وفي قوله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرِبِّكَ وَأَخْرَ﴾ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية # "أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين ، وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار ، وحسن الظن وقوه اليقين ، وطمأنينة القلب إلى الله ، وإلى عبادته ، عكس حال أهل الكبر والنعرة ، وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم يسألونهم إياها ، والذين لا يتجررون له خوفاً من الفقر ، ولهذا جمع بينهما في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاةَ وَنُسُكِ﴾ الآية ، والنسك : الذبيحة لله تعالى وحده ابتغاء وجهه . فإنها أَجَلٌ ما يتقرب به إلى الله ، فإنه أتى فيما بالفاء الدالة على السبب ؛ لأن فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله من الكوثر .

وأَجَلٌ العبادات البدنية الصلاة ، وأَجَلٌ العبادات المالية النحر ، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها ، كما عرفه أرباب القلوب الحية ، وما يجتمع له في النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص من قوة اليقين وحسن الظن أمر عجيب ، وكان النبي ﷺ كثير الصلاة كثير النحر . انتهى كلامه ، #.

وقال الإمام النووي # : " المراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن يذبح للصنم ، أو للصلب ، أو لموسى ، أو ليعيسى - صلى الله عليهما وسلم - أو للكعبة ، ونحو ذلك ، فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً ، نص عليه الشافعي ، واتفق عليه أصحابنا ، فإن

العقيدة خاص [١]

قصد مع ذلك تعظيم المذبح له غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفراً، فإن كان الذاهب مسلماً قبل ذلك، صار بالذبح مرتدًا". انتهى كلامه رفع مقامه.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ # وهو يذكر أقسام الشرك: "اعلم، أن الشرك ينقسم ثلاثة أقسام بالنسبة إلى أنواع التوحيد، وكل منها قد يكون أكبر وأصغر مطلقاً، وقد يكون أكبر بالنسبة إلى ما هو أصغر منه، ويكون أصغر بالنسبة إلى ما هو أكبر منه :

القسم الأول : الشرك في الربوبية :

وهو نوعان :

النوع الأول : شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك. كشرك فرعون.. إذ قال: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته، وأنه لم يكن معدوماً أصلاً، بل لم يزل ولا يزال، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائل اقتضت إيجادها، يسمونها العقول والنفوس.

ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود؛ كابن عربي، وابن سبعين، والعفيف التلمساني، وابن الفارض، ونحوهم من الملاحدة الذين كسووا الإلحاد حليمة الإسلام، ومزجوه بشيء من الحق، حتى راج أمرهم على خفافيش البصائر. ومن هذا شرك من عطل أسماء الله وأوصافه من غلاة الجهمية والقرامطة.

النوع الثاني : شرك من جعل معه إلهاً آخر، ولم يعطّل أسماءه وصفاته، وربوبيته: كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة، وشرك المجوس القائلين: إسناد حوادث الخير إلى التور، وحوادث الشر إلى الظلمة، ومن هذا شرك كثير من يشرك بالكواكب العلويات و يجعلها مديرة لأمر هذا العالم، كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم.

العقيدة خاص [١]

قلت - والكلام للشيخ سليمان # : ويلحق به من وجہ غلاۃ عباد القبور
الذین یزعمون أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت؛ فيقضون الحاجات،
ويفرّجون الكربلات، وينصرون من دعاهم، ويحفظون من التجاً إليهم، ولاد
بحماهم، فإن هذه من خصائص الربوبية كما ذكره بعضهم في هذا النوع.

القسم الثاني : الشرك في توحيد الأسماء والصفات :

وهو أسهل مما قبله. وهو نوعان :

النوع الأول : تشبيه الخالق بالخلق كمن يقول: يد كيدي، وسمع كسمعي،
وبصر كبصري، واستواء كاستوائي، وهو شرك المشبهة.

النوع الثاني : اشتقاد أسماء للآلهة الباطلة من أسماء الإله الحق، قال الله
تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. قال ابن عباس { : يلحدون في
أسمائه : يشركون، وعنده : سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز} .

القسم الثالث : الشرك في توحيد الإلهية والعبادة :

قال القرطبي: "أصل الشرك المحرّم: اعتقاد شريك الله تعالى في الإلهية. وهو
الشرك الأعظم، وهو شرك الجاهلية، ويليه في الرتبة اعتقاد شريك الله تعالى في
ال فعل، وهو قول من قال: إن موجوداً غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل
وإيجاده، وإن لم يعتقد كونه إلهًا". هذا كلام القرطبي.

وهو-أي: شرك الألوهية- نوعان :

النوع الأول : أن يجعل الله نداءً يدعوه كما يدعو الله، ويسأله الشفاعة كما يسأل
الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله، ويخشاه كما يخشى الله،

العقيدة خاص [١]

وبالجملة فهو أن يجعل ندأ يعبده كما يعبد الله، وهذا هو الشرك الأكبر، وهو الذي قال الله فيه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا جَنَابُوا الظَّاغُونَ﴾ [التحل: ٣٦].

النوع الثاني: الشرك الأصغر؛ كيسير الرياء، والتصنيع للمخلوق، وعدم الإخلاص لله تعالى في العبادة". انتهى كلامه، #.

المراد بالشرك الأصغر

هو الشرك غير المخرج من الملة، عكس الأكبر، وجده بعضهم بأنه: كل ما ورد في النصوص تسميه شركاً، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر؛ كقول الرجل: ما شاء الله أو شئت، ولو لا الله وأنت لم يكن كذا، والخلف بغير الله. وحده بعضهم: بأنه كل وسيلة وذرية يتطرق بها إلى الأكبر فهو الأصغر.

ومثال الأصغر هذا - كما قدمنا - يسير الرياء، والتصنيع للمخلوق، فيعمل لحظة نفسه تارةً، ولطلب الدنيا تارةً، ولطلب المزبلة والجاه عند المخلوق تارةً، فله من عمله نصيب ولغيره منه نصيب، ويتبع هذا النوع الشرك بالله في الألفاظ؛ كالخلف بغير الله تعالى، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ومالي إلا الله وأنت، وأنا في حسب الله وحسبك، ونحوه.

وقد يكون ذلك شركاً أكبر بحسب حال قائله وتوحيده.

والشرك الأصغر نوعان:

ظاهر، وخفي، وقد يكون كل من النوعين في الألوهية أو الربوبية.

العقيدة خاص [١]

المصادر الماسبع

النوع الأول: شرك ظاهر: يكون بعمل الرياء؛ كالتصنع لغير الله تعالى بعمل في ظاهره أنه الله وفي باطنه عدم الإخلاص، ويكون اللفظ؛ كالحلف بغير الله، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وقد سبقت الإشارة إليه.

النوع الثاني: شرك خفي: فهو الذي ينتاب الإنسان في أقواله وأعماله في بعض الفترات من غير أن يعلم أنه شرك، ويدل عليه حديث ابن عباس {أن النبي ﷺ قال: ((الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا)). أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد)، وأبو يعلى في مسنده، وصححه الشيخ الألباني.

ولما كان هذا النوع من الشرك بهذا القدر من الخفاء، فقد سأله الصحابة {النبي ﷺ عن الخلاص منه، فقالوا: ((كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ فقال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك به شيئاً نعلمه ونسغفر لك لما لا نعلمه)). رواه الإمام أحمد والطبراني.

أنواع الشرك وأفراده:

ثم لما ذكرنا أقسام الشرك، وبيننا المراد بالشرك الأكبر، والمراد بالشرك الأصغر، يحسن بنا أن نذكر أفراد الشرك بنوعيه مما ينافي التوحيد أو ينافي كماله.

فنقول: قد تبع الشيخ محمد بن عبد الوهاب # أنواع الشرك وأفراده في كتاب (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد)، فبأبواياً كثيرة لتلك الأفراد. فمن تلك الأبواب: "باب من الشرك ليس الحلقة والخطيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه". واستدل عليه بقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرِّيْ هَلْ هُنَّ كَيْشَفَتُ ضُرِّيْ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقد دخل في ذلك كل من دعى الله بضربي هل هن كيشفت ضري، فضلًا عن غيرهم، فلا يقدر أحد

العقيدة خاص [١]

على كشف ضر ولا إمساك رحمة، كما قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يَمْسِكَ فَلَا مُرْسَلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ أَعْزِيزُ الْحَكَمِ﴾ [فاطر: ٢٤]، وإذا كان كذلك، بطلت عبادتهم من دون الله، وإذا بطلت عبادتهم بطلان دعوة الآلهة والأصنام أبطل وأبطل، ولبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه كذلك. بهذا يظهر وجه استدلال المصنف # بالآية.

وباب: "ما جاء في الرقى والتمائم"، ودليله في الصحيحين عن أبي بشير الأنباري < : ((أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسوله ﷺ يُيقِّن في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت))، وعن ابن مسعود < قال: ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الرقى والتمائم والتولة شرك)). رواه الإمام أحمد وأبي داود.

وإنما كان ذلك من الشرك؛ لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله تعالى.

ومن ذلك: "باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما"، كالبقاع والغبران والعيون والقبور، ونحو ذلك، مما يعتقد كثير من الناس من عباد القبور والأضرحة فيه البركة، فيقصدونه لأجل ذلك.

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّذَّاتِ وَالْمَرْءَى ١٩٠ وَمِنْهُنَّ أَثَاثَةُ الْأُخْرَى ١٩١ أَلَكُمُ الْذَّكْرُ وَلَهُ الْأَلْثَقُ ١٩٢ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضَيْرَى ١٩٣ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِّيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاهِيمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ١٩٤ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْمُهْدَى ١٩٥﴾ [الجم: ١٩ - ٢٣] فالشاهد أن من تبرك بحجر أو شجر فقد صاهى المشركين في عبادتهم الأوثان، حيث كانت ثقيف تعبد الالات، وتعبد قريش وبنو كلانة العزى، وبنو هلال، وقيل: هذيل وخزاعة يعبدون منا.

العقيدة خاص [١]

وعن أبي واقد الليثي < قال : ((خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدباء عهد بکفر، وللمشركين سدرة يعکفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها : ذات أنواط ، فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر! إنها السننُ. قلتم والذی نفسي بيده كما قال بني إسرائیل لموسى : اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ، قال إنکم قوم تجهلون. لتریکن سنن من كان قبلکم)). رواه الترمذی وصححه.

قال الشيخ حسن آل الشيخ # : "فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة والعکوف عندها ، اتخاذ إله مع الله مع إنهم لا يعبدونها ولا يسألونها ، فما الظن بما ححدث من عباد القبور من دعاء الأموات ، والاستغاثة ، والذبح ، والنذر لهم ، والطواف بقبورهم ، وتقبيلها ، وتقبيل اعتابها وجدرانها ، والتمسح بها ، والعکوف عندها؟! وأي نسبة بين هذا وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركاً؟! . انتهى كلامه.

ومن تلك الأبواب : "باب ما جاء في الذبح لغير الله" ، و"باب من الشرك النذر لغير الله" . و"باب من الشرك الاستغاثة بغير الله" ، و"باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعوه غيره" ، و"باب ما جاء في السحر" ، و"باب ما جاء في الكهان ونحوهم" ، و"باب ما جاء في النشرة وهي حل السحر بسحر مثله" ، و"باب ما جاء في التطير" ، وهو التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاء ، وغيرها ، و"باب ما جاء في التجيم" ، وهو زعم تأثير الأحوال الفلكية في الحوادث الكونية. و"باب ما جاء في الاستئثار بالأنوار" ، أي : نسبة السقي ومجيء المطر إليها. و"باب قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَدَادًا يُجْهُونُهُمْ كَحْتِ اللَّهِ ﴾

العقيدة خاص [١]

["البقرة: ١٦٥"]. فاتخاذ الأنداد التي تجذب بمحبتها عن محبة الله من الشرك. و"باب قول الله تعالى": ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُحَوِّفُ أُولَئِكَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

ومن ذلك: "باب قول الله تعالى": ﴿أَفَأَمْنَوْا مَكَرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمُنُ مَكَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا أَضَالُوا﴾ [الحجر: ٥٦]؛ لأن الأمان من مكر الله والقنوط من رحمة الله من شعب الشرك.

ومن ذلك: ما جاء في الرياء، و"باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا"، و"باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله".

ومن ذلك: "باب قول الله تعالى": ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّلْعَوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]، الآية. لأن الله تعالى له الحكم القدري، وله الحكم الشرعي، وكذلك الحكم الجزائي له وحده لا شريك له، فإذا قدم العبد طاعة الأمراء والعلماء على طاعة الله ورسوله ﷺ وتحاكم إلى الطاغوت، وترك التحاكم إلى شريعة الله، فهذا من شعب الشرك.

إلى غير ذلك من الأبواب التي تعدد أفراد الشرك وأنواعه.

ونكتفي بهذا القدر من ذكر تلك الأنواع والأفراد؛ لأنه المقصود التمثيل لا المحصر.

العقيدة خاص [١]

خامساً: بيان أن الشرك أول المحرمات، وأعظمها:

يعتبر الشرك أول خطر حصل للبشرية وغير فطرتها، فقد كان الناس أمة واحدة على التوحيد حتى اجتالهم الشياطين، وزينت لهم الشرك، حتى صار لكل أمة بعد ذلك طقوسها التي تدعى أنها تعبد الله عن طريقها، وتلك الطقوس عبارة عن خرافات وأوهام تقوم على الشرك، وكان الأنبياء يُعثرون لذلك، وكلنبي يركز في دعوته قومه إلى نبذ الشرك وتوحيد الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ في العبادة حتى ختمهم الله ببعثة نبينا محمد ﷺ فجاء بالحنفية السمحنة والتوحيد الخالص، وخلص العقيدة من براثن الشرك، وهربت الخرافة تجر أذيال الهزيمة؛ خوفاً من أنوار التوحيد الساطعة.

ولهذا كان أول أمر في القرآن بالتوحيد، ومفهومه النهي عن الشرك، قال تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُ وَأَرْبِكُمُ الَّذِي خَلَقْتُمْ﴾ [البقرة: ٢١].

وذلك لخطورة الشرك؛ لأنّه يحبط العلم ويوقع العامل في الحيرة ولا شك والضياع، والحكمة في أن الله سبحانه يغفر الكبائر ولا يغفر الشرك؛ لأنّه أصبح المسبة لله تعالى، وهو الذي لا يبرأ من السوء والنقص والعيب سواه، ولا ينبغي الحمد والثناء مطلقاً إلا له سبحانه لكماله، فالشرك أعظم الظلم، ولا تسعمه المغفرة التي هي صفة كماله. بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عما يشركون.

فالشرك إذا دخل في أي عبادة بطلت تلك العبادة ولم تقبل، وكل ذنب يرجى له العفو إلا الشرك، والدليل قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَحْبَطَ عَمَلُكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الرّوم: ٦٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنِ يَشَاءُ وَمَنِ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكُ

العقيدة خاص [١]

بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَاوَلَهُ النَّارُ ۚ وَمَا لِظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۝

[المائدة: ٧٢].

فالعبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها، وأحبط العمل وصار صاحبه من الحالدين في النار.

عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله تعالى.

وما يبين خطورة الشرك أن الإنسان إذا لم يجتنب الشرك فهو كافر، ولو كان من أعبد الناس يقوم الليل ويصوم النهار، قال الله تعالى في الأنبياء: **﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِيطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** [الأعام: ٨٨]، وتصير عبادته كلها كمن صلى ولم يغسل من الجناة، أو كمن يصوم في شدة الحر وهو يزني في أيام الصوم.

ولهذا كان الشرك من أظلم الظلم، وأول ذنب عصي الله به، ولهذا كان النبي ﷺ يخافه على أمته، وقال في التحذير منه: ((من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار)). رواه الإمام مسلم.

فالشرك خطير ينافي التوحيد، ويوجب دخول النار، والخلود في دار البوار، والعياذ بالله تعالى.

العقيدة خاص [١]

للمصريين للثانين

الشرك أسبابه وحكمه وخطورته

عناصر الدرس

- | | |
|-----|------------------------------------|
| ١٥٣ | العنصر الأول : مبدأ ظهور الشرك |
| ١٥٨ | العنصر الثاني : أسباب ظهور الشرك |
| ١٦٤ | العنصر الثالث : حكم الشرك |
| ١٦٦ | العنصر الرابع : ضرر الشرك و خطورته |

العقيدة خاص [١]

مبدأه ورالف شرك

لقد ذكرنا - فيما مضى - أن الله ﷺ خلق عباده حنفاء على فطرة التوحيد حتى اجتالهم الشياطين، ولعبت بعقادهم، فظهر الشرك في الناس. من أجل ذلك بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليتم الإعذار إلى الخلق - ولا أحد أعذر من الله - ولتقوم الحجة على الخليقة، فكان كلنبي من هؤلاء المسلمين يأمر قومه بتحقيق التوحيد، وينهاهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِّي أَعْبُدُوا إِلَهَهُ وَاجْتَنَبُوا الظَّغْوَةَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وأول ما ظهر الشرك في قوم نوح #، على المشهور - وقد كان بنو آدم على ملة أبيهم # نحو عشرة قرون، كما قال ابن عباس وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيَّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحُكُّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا أَخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ أَمْنَوْا لِمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣]؛ وذلك لأن الشيطان - لعنه الله - لم يزل دائباً جاداً مشمراً في عداوةبني آدم # منذ كان أبوهم طينا، فلما نفح الله فيه الروح وعلمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا كلهم إلا إبليس أبي واستكبر، وكان من الكافرين، وقال: ﴿ قَالَ إِنَّمَا سَجَدْ لِمَنْ خَلَقَتْ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَمَّا كُنْ لَآسْجُدُ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْتَوْنٍ ﴾ [الحجر: ٣٣].

فلما سأله الله ﷺ عن سبب امتناعه من السجود واستكباره عن أمر ربه ، والله تعالى أعلم به ، فقال سبحانه له: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمْرَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢] .

العقيدة خاص [١]

فأجاب الخبيث مفتخرًا بأصله، طاعنًا على ربه تعالى في حكمته وعدله: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ تَأْرِي وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [ص: ٧٦]، فعامله الجبار بنقيض ما قصدته، وأذاقه وبال حسده، وأثر له استكباره الذل الأبدى الذى لا عز بعده ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَكْبِرَ فِيهَا فَأَخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْدَغِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣]، وقال: ﴿ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَذْهُورًا ﴾ [الأعراف: ١٨]، وقال: ﴿ قَالَ فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ ٢٤ [الحجر: ٣٥]، فطلب الإنتظار ليأخذ بزعمه من آدم وذريته بالثار، ولا يعلم أنه بذلك إنما يراد من غضب الجبار، وقد علم أنه لا سبيل إلا على حزبه وتابعيه من الكفار الذين هو إمامهم في الخروج عن طاعة الله والاستكبار: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظُرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبَعَّثُونَ ﴾ ٢٩ [فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ٤٠] ﴿ إِلَى يَوْمٍ أُوقَتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [ص: ٧٩ - ٨١].

أجابه الله تعالى إلى طلبه؛ ليختبر عباده اختباراً وابتلاءً: ﴿ لِتَبْلُوكُمْ أَيْكُمْ أَحَسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك: ٢]، فقابل بالكفران وجدد صفة الخسان، وأقسم ليستعملن مدعته، وليس عرقن حياته في إغواء ذرية آدم الذين كان طرده وإبعاده بسببهم، إذ لم يسجد لأبيهم، ولا رأى أن ذلك باستكباره عن أمر ربه، بل قدس نفسه اللئيمة، وأسند الإغواء إلى ربه مخاصمةً ومحادةً، ومشافةً: ﴿ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتِنِي لَأَعَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ١٦ شَمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَكِيرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]، ولم يقل اللعين: "من فوقهم" لعلمه أن الله تعالى من فوقهم. قال الله تعالى: ﴿ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ ٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيَسَّ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ ٤٢ ﴾ [الحجر: ٤١، ٤٢]، وقد علم الرجيم ذلك، فقال آيساً منهم: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ مُّحَلَّصِينَ ٤٣ ﴾ [ص: ٨٣]، ثم لما سعى إلى آدم وحواء زوجه في الجنة، ودلهما على تلك الشجرة التي نهاهم الله عجل عندها أن يقربوها، وأباح لهم ما سواها من الجنة، فاستدرجهم اللعين بخداعه وحيلته البائرة،

العقيدة خاص [١]

وغرهم بتلك اليمين الفاجرة: ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لِكُلِّ مِنْ أَنْتَصِحِينَ ﴾
[الأعراف: ٢١]، فنفذ قضاء الله وقدره بأكلهما منها، ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

وظن اللعين أنه قد أخذ بثأره من آدم، وأنه قد أهلكه معه، ولم يعلم بفضل الله وسعة رحمته الذي لا يقدر أحد على شيء منه: ﴿ وَإِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتَهُ مَنْ يَشَاءُ وَإِنَّ اللَّهَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢٩]، فلما عاتبها الله - تبارك وتعالى - على ذلك بقوله: ﴿ أَلَمْ أَنْهِ كُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقْلَلَ كُمَا إِنَّ الشَّيْطَنَ لِكُمَا عَدُوًّيْنِ ﴾
[الأعراف: ٢٢]، ثم أراد الله سبحانه أن يهبطهم إلى دارٍ أخرى، هي دار الامتحان والابتلاء؛ ليتبين حزبه الذين يتبعون رسالته، ويتبين حزب عدوه الذين اتبعوه وأطاعوه وصاروا من خيله ورجله.

ولما مات آدم # كان وصيه شيئاً # ومضت تلك المدة التي ذكرنا والناس كلهم على شريعة من الحق، كما ورد عن ابن عباس { أنه قال: " وكان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ". وزين الشيطان - لعنه الله - لقوم نوح عبادة الأصنام، وكان أول ذلك أن زين لهم تعظيم القبور والعكوف عليها. وبيان ذلك ما روى البخاري # عن ابن عباس { أنه قال في: وَد، وسُوَاع، وَيَغُوث، وَيَعْوَق، وَنَسْر: " هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما أهلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم يعبدوا حتى إذا هلك أولئك وثنوسى العلم، عبداً ". انتهى.

فلو جاءهم اللعين وأمرهم من أول وهلة بعبادتهم، لم يقبلوا ولم يطيعوه. بل أمر الأولين بنصب الصور؛ لتكون ذريعة للصلوة عندها من بعدهم، ثم تكون عبادة

العقيدة خاص [١]

الله عندها ذريعة إلى عبادتها من يخالفهم، فلما أرسل الله سبحانه وإليهم نوحًا # فلبث فيهم ما لبث يدعوهم إلى الله تعالى وهم مستكرون عن الحق حتى أهلكهم الله تعالى بالطوفان. ثم بعدَهم عادُ عبدوا آلهة مع الله منها: "هذا، وصدى، وصمودا" فأرسل الله تعالى إليهم هودا # فلبث فيهم ما لبث يدعوهم إلى توحيد الله تعالى فلما حق عليهم العذاب أهلكهم الله تعالى بالريح، ثم ثمود كذلك، وأرسل الله إليهم صالحًا # فكذبوه، فأهلكوا بالصيحة، ثم قوم إبراهيم عبدوا الشمس والقمر والنجوم، وعبدوا الأصنام وغير ذلك، وقد قص الله تعالى في كتابه كل ذلك مفصلاً عن الأمم ورسلهم، وعبد أول بنى إسرائيل العجل وآخرهم عبدوا عزيزاً، وعبدت النصارى المسيح # وعبدت المجنوس النار، وعبد قوم الماء، وعبد كل قوم ما زينه الشيطان لهم على قدر عقولهم.

هذا في الأمم الأولى، وكل منها له وارث من الأمم المتأخرة. فالأصنام التي في قوم نوح قد انتقلت إلى العرب في زمن عمرو بن لحي - قبحه الله تعالى - كما ذكر ذلك ابن عباس { فيما رواه عنه الإمام البخاري # حيث قال ابن عباس: "أما "ود" فكانت لكلب بدومة الجندي، و"سوانع" كانت لهذيل، وأما "يعوق" فكانت لهمدان، وأما "نسرا" فكانت لحمير لآل ذي الكلاع". انتهى.

وقصة تلك الأصنام التي قدم بها عمرو بن لحي ذكرها الكلبي في كتابه (الأصنام) حيث قال: "كان عمرو بن لحي كاهناً وله رئي من الجن، فقال له: عجل السير والظعن من تهامة بالسعاد والسلامة، أئت جدةً تجده فيها أصناماً معدّة، فأوردها تهامة، ولا تهرب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تُجب. فأتى نهر جدة فاستشارها، ثم حملها حتى ورده تهامة، وحضر الحج فدعا العرب إلى

العقيدة خاص [١]

الأصنام

عبادتها قاطبةً، فأجابه عوف بن عدن بن زيد اللات فدفع إليه "وداً" فحمله، فكان بوادي القرى بدومة الجندي، وسمى ابنه "عبد ود"، فهو أول من سُمي به، وكان صن "ود" تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال قد نقش عليه حلتان، متزر بحلة ومرتد بأخرى، عليه سيف قد تقلده، وقد تنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ثم دفع عمرو بن لُحي "سُواعاً" إلى رجل من هذيل، فكان بأرض نخلة، وفيه يقول رجل من العرب:

تراهم حول قبلكم عكوفاً ❖ كما عكت هذيل على سواع
ثم دفع "يغوث" إلى رجل من مذحج، فكان بأكممة باليمين تعبده مذحج ومن
والها.

ثم دفع "يعوق" إلى رجل من همدان فعبدته مع مَن والها من اليمن، وأجابته حمير فدفع إلى رجل منها يدعى معد يكرب "نسراً" فكان بموضع من أرض سباً يقال له: "بلخ".

فلم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله نبيه محمدًا ﷺ فهدمها وكسرها. وثبت أنه ﷺ حطم ثلاثة وستين صنماً كانت حول الكعبة المشرفة في فتح مكة حَرَّمَها الله تعالى.

وذكر ابن هشام # عن بعض أهل العلم: "أن عمرو بن لُحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مُماًب -من أرض البلقان- وبها يومئذ العماليق -وهم ولد عملاق، ويقال: عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح- رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي آراكم تعبدون؟ فقالوا: هذه أصنام نعبدوها، ونستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلأ

العقيدة خاص [١]

تعطونني منها صنماً، فأسir به إلى أرض العرب فيعبدونه؟ فاعطوه صنماً يقال له: "هُبَلْ" فقدم به مكة فنصبه، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه".

وقال ابن إسحاق: "ثم اخذوا إسافاً ونائلةً" على موضع زمزم، ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجلاً وامرأة من جرهم: هو إساف بن بغي، ونائلة بنت ديك، فوقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين، قال أبو طالب في ذلك:

وحيث يُنْبِئُ الأشعرون ركابهم ❖ بِمَضِي السَّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلٍ
وكان لبني كنانة صنم يقال له: "سعد" وهو صخرة بفلة من أرضهم، فأقبل رجل يأبل له مؤيلة؛ ليقفها عليه التماساً لبركته فيما يزعم، فلما رأته الإبل وهو ملطخ بالدماء لكثرة ما يهرق عليه، نفرت الإبل، وذهبت في كل وجه، فغضب الرجل وأخذ حجراً ورماه به وقال: "لا بارك الله فيك نفرت عليًّا إبلي" ثم خرج في طلبها حتى جمعها، وقال:

أَتَيْنَا إِلَى سَعْدٍ لِيَجْمِعَ شَمْلَانَا ❖ فَشَتَّنَا سَعْدًا فَلَا نَحْنُ مِنْ سَعْدٍ
وَهُلْ سَعْدٌ إِلَّا صَخْرَةٌ بِنَوْفَةٍ ❖ مِنَ الْأَرْضِ لَا تَدْعُونَ لِغِيٍّ وَلَا رِشْدٍ

أسباب ظهور الشرك

يقول العلامة ابن القيم # : "وتلاعبُ الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام له أسباب عديدة، تلاعب بكل قوم على قدر عقولهم؛ فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم كما تقدم عن نوح # ولهذا لعن النبي ﷺ المتخذين على القبور المساجد والسرج، ونهى عن الصلاة إلى القبور، وسأل ربه سبحانه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، ونهى أمته

العقيدة خاص [١]

أن يتخدوا قبره عيداً، فأبى المشركون إلا خلافه في ذلك كله إما جهلاً وإما عناداً لأهل التوحيد، ولم يضرهم ذلك شيئاً، وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين، وأما خواصهم فقد اخذذوها -بزعمهم- على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتاً وسَدِنَة وحجاجاً وقربانًا، ولم يزل هذا في الدنيا وحديثاً...

فمنهم عباد الشمس زعموا أنها ملك من الملائكة لها نفس وعقل، وهي أصل نور القمر والكواكب، فتستحق العظيم والسجود والدعاء، وطائفة اتخذت للقمر صنماً، وزعموا أنه يستحق العظيم والعبادة، ومنهم من يعبد أصناماً اخذذوها على صورة الكواكب وروحانياتها بزعمهم، وبنوا لها هياكتل، ومتعبادات، لكل كوكب منها هيكل يخصه، وصنم يخصه، وعبادة تخصه، ومن هاهنا اتخاذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصناماً، وزعموا أنها على صورتها، ومن أسباب عبادتها أن الشياطين تدخل فيها، وتخاطبهم منها، وتخبرهم ببعض المغيبات، وتدعهم على بعض ما يخفى عليهم، وهم لا يشاهدون الشياطين، فجهلتهم يظنون أن الصنم نفسه هو المتكلم المخاطب، وعقلاؤهم يقولون: إن تلك روحانيات الأصنام، وبعضهم يقول: إنها الملائكة.

وبالجملة: فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم # كما تقدم.

السبب الأول: الغلو في المخلوقين وعبادة الأصنام:

الغلو في المخلوق وإعطاؤه منزلة فوق منزلته حتى جعل فيه حطّ من الإلهية وشبهوه بالله تعالى الله عن الشبيه وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي أبطله الله سبحانه، وبعث رسالته وأنزل كتبه؛ لإنكاره والرد على أهله، ومن كيد الشيطان وتلاعبه

العقيدة خاص [١]

ما تلاعب بعباد النار حتى اخذوها إلهاً و معبدة ، و سرى هذا المذهب في المحسوس ، فبنوا لها بيوتاً كثيرة و اخذوا لها الوقوف - جمع وقف - والسدنة والمحاجب ، فلا يدعونها تحمد لحظة واحدة ، و عباد النار يفضلونها على التراب ، يعظمونها ويصوّبون رأي إبليس .

وقد رمي الشاعر بشار بن سرد بهذا المذهب ؛ لقوله :

الأرض سافلة سوداء مظلمة ❖ والنار معبدة مذ كانت النار
ومن تلاعب الشيطان وكيده ، تلاعبه بطائفة أخرى تعبد الماء من دون الله
وتسمى : " الجلمانية " ، وتزعم أن الماء لما كان أصل كل شيء ، وبه كل ولادة ،
ونحو ونشوء وطهارة وعمارة ، وما من عمل في الدنيا إلا ويحتاج إلى الماء ، فكان
حقه أن يُعبد ، ومن شريعتهم في عبادته : أن الرجل منهم إذا أراد عبادته تجرد
وستر عورته ، ثم دخل فيه حتى يصير إلى وسطه ، فيقيم هناك ساعتين أو أكثر
بقدر ما أمكنه ، ويكون معه ما يمكنه أخذه من الرياحين ، فيقطعها صغاراً ،
فيلقيها فيه شيئاً فشيئاً وهو يسبحه ويتجده ، فإذا أراد الانصراف حرك الماء بيديه ،
ثم أخذ منه فيضعه على رأسه ووجهه وجسده ، ثم يسجد وينصرف .

ومن تلاعبه بعباد الحيوانات ؛ فطائفة عبدت الخيل ، وطائفة عبدت البقر ،
وطائفة عبدت البشر : الأحياء والأموات ، وطائفة تعبد الشجر ، وطائفة تعبد الجن ، كما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشُرُ الْجِنِّ فَإِنَّكُمْ تَرَدُّدُونَ مِنَ الْإِنْسَنِ وَقَالَ أَوْلِيَاُهُمْ مِنَ الْإِنْسِنِ رَبِّنَا أَسْتَمْتَعْ بَعْضُنَا بِعَضٍ وَبَلَغَنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَلَّنَا قَالَ النَّارُ مَثَوْنُكُمْ خَلِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٢٨] .

انتهى كلامه .

العقيدة خاص [١]

للمصريين للناصر

ولبيان أسباب الشرك، عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب # عدة أبواب في كتاب (التوحيد الذي هو حق الله على العبيد)، وذلك لتوضح أسباب الشرك ووسائله للحذر منها.

ومن تلك الأبواب:

"باب: ما جاء أن سبب كفربني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين".

و"باب: ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تُعبد من دون الله".

و"باب: ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟".

ولا شك أن أكبر أسباب الشرك هو الغلو في العبودات من دون الله تعالى، فالغلو كثير في النصارى، فإنهم غلوا في عيسى # فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله، بل غلوا فيمن زعم أنه على دينه من أتباعه، فادعوا فيهم العصمة، فاتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلًا، وناقضتهم اليهود في أمر عيسى # فغلوا فيه، فحطوه من منزلته حتى جعلوه ولد بغي، وهذا هو الغلو الذي نهى الله عنه، فقال تعالى: ﴿يَأَهْلَ الْحِكَمِ لَا تَعْلُوْ فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

وفي بيان أن من أسباب الشرك الغلو، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب #: "لأن الناس يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعاءه، فيعكفون على قبره، ويقصدون ذلك، فتارةً يسألون، وتارةً يسألون الله عنده، وتارةً يصلون ويدعون الله عند قبره، ولماً كان هذا بدء الشرك سدّ النبي ﷺ هذا الباب. ففي الصحيحين

العقيدة خاص [١]

أنه قال في مرض موته : " ((لعن الله اليهود والنصارى اخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) ، يحذر ما صنعوا ". انتهى كلامه .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي # : " والغلو في الصالحين لا شك أنه هو الباب المفضي إلى الشرك قدّيماً وحديثاً ، فالغلو فيهم هو مجاوزة الحد بأن يجعل للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيئاً ، فإن حق الله الذي لا يشاركه فيه مشارك هو الكمال المطلق ، والغنى المطلق ، والتصرف المطلق من جميع الوجوه ، وأنه لا يستحق العبادة والتآله أحد سواه ". انتهى كلامه .

السبب الثاني : آراء الفلسفه الفاسدة :

شرك انتشار آراء الفلسفه التي تبعد بالناس مراحل عن الوحي والتشريع إلى زيالت الآراء الفاسدة ، والمقالات الكاسدة ، فقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن أصل كل شيء في العالم إنما حدث برأي أئمة هؤلاء المتكلمين أصحاب المقايس المعارضة للوحي ، منهم الآمرؤن بالشرك والفاعلون له ، ومن لم يأمر منهم بالشرك ، فلم ينه عنه ، بل يقر هؤلاء وإن رجح الموحدين ترجيحاً ما ، فقد يرجح في غيره المشركين ، وقد يعرض عن الأمرين جميماً .

السبب الثالث : التبرك بالقبور ، والصلوة عندها :

ومن أسباب الشرك ووسائله التي يجب القضاء عليها ومنعها : لمس القبر والتمسح به ، وبناء القباب على القبور والصلوة عندها ، وقصدها لأجل الدعاء عندها معتقداً أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء في غيره ، أو النذر لله في هذا المكان ، ونحو ذلك فهذا ليس من دين المسلمين ، بل هو مما أحدث من البدع القيبيحة التي هي من شعب الشرك .

العقيدة خاص [١]

المصادر المأثمن

وانتشار الشرك الأكبر بين بعض المسلمين سببه الغلو سواء كان الشرك في الربوبية، أو الألوهية، أو الأسماء والصفات. فالشرك في الربوبية حصل بينهم بسبب الغلو في معرفة الله تعالى، حيث تركوا المدح النبوى لذلك، واتخذوا مناهج أخرى، فخلوا في الكلام وأجاعوا أنفسهم، وجعلوا لهم أذكاراً خاصة، فنشأت من ذلك الاتحادية والوجودية ونحوها بتلبيس الشيطان عليهم.

والشرك في الأسماء والصفات حصل بالغلو في الوصف والإثبات أو النفي والتنزيه، فإن قوماً وصل بهم غلوهم في الإثبات والوصف لله تعالى أن وصفوه فشبهوه بخلقه، وآخرون غلووا في التنزيه، فأنكروا صفات الله أو بعضها؛ ظناً منهم أنهم يقدسون ويعظمون ربهم، ﷺ.

وأما الشرك في توحيد الألوهية فسببه الغلو في الصالحين، وقد نهى الله عن الغلو في الدين فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَعْنَوْا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّوْا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَتَّلُّو فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ .

فالطغيان والغلو معناهما مجاوزة الحد في الدين، وقد تكون هذه المجاوزة سلباً، وقد تكون إيجاباً. فالنصارى غلووا في عيسى # فرفعوه من حيز النبوة إلى الألوهية، وبمقابلتهم اليهود غلووا فيه سلباً، فحطواه من مكانته، فجعلوه ولد بغي - عليهم لعائن الله - وقد كان في المسلمين من تشبه بهؤلاء في الرسول، ﷺ.

حكم الشرك

لا ريب أن الشرك أعظم ذنب عصي الله به وأكبر شيء نهى الله عنه، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، وهو أول المحرمات، كما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿فُلَّ تَعَالَوْ أَتَلُّ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَيْنَكُمْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَإِلَوَالَّدَيْنِ إِحْسَنَاهُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقِهِمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَرَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفَسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنْكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَعْقُلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

فمن أشرك بالله تعالى بأن جعل الله ندأً يدعوه كما يدعوا الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة، فحكمه حكم الكافر الذي يستباح دمه وماله وعرضه. وهذا الشرك ناقض للعبادة، ومفسد لها، ومحبطة لأي عمل، وظلم عظيم، وهو أقبح مسبة لله تعالى. ولهذا رتب الله عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه من إباحة دماء أهله وأموالهم ونبي نسائهم وأولادهم، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى عن الخليل # أنه قال يدعوربه: ﴿وَاجْتَبِنِي وَبَعِنَ آنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

فمن لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان في الدنيا من أعبد الناس. فالشرك خطير، وحكمه ظاهر فإنه ينافي التوحيد، ويوجب دخول النار والخلود في دار البوار، والحرمان من الجنة إذا كان أكبر، ولا

العقيدة خاص [١]

تحقق وتكمل السعادة إلا بالسلامة منه. فكان حَقّاً على العبد أن يخاف منه أعظم خوف، وأن يسعى في الفرار منه كما يسعى في الفرار من الأسد وأشد، ويحذر من طرقه ووسائله، وأسبابه، ويُسأله اللهم تعالى العفو والعافية منه، كما فعل ذلك الأنبياء والأسفياء، وخيار الخلق، وعقلاء البشر؛ لأن صرْفَ شيء من العبادة لغير الله كصرف مجموعها؛ لأن الله سبحانه أَغْنَى الشركاء عن الشرك، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجه الكريم، قال تعالى:

﴿فَاعْبُدُ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ رُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَ عَمَلُكَ وَلَكَوْنَ مِنَ الْحَسِيرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشَرِّكَ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشَرِّكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَرَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، إلى غير ذلك من الآيات التي توضح حكم الشرك، وأنه أقبح ذنب عصي الله به، وأنه أظلم الظلم: ﴿يَتُبَّعَ لَا شَرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشَّرِكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [القمان: ١٣]، وأنه إذا خالط عملاً أو قوله أو اعتقاداً، أحبط ذلك كلَّه وأصبح هباء منثوراً.

كما أن الله تعالى لا يغفره ممن مات عليه ولم يتوب منه، وصاحبه في الدنيا حلال الدم والمال، وهو معرض لسببي نسائه وأولاده. وأما حكمه في الآخرة؛ فالخلود في النار -والعياذ بالله تعالى- فوضَح بذلك قبحه، واتضح حكمه.

ضرر الشرك وخطورته

خطورة الشرك :

عندما نتأمل في كثير من الآيات التي ذكر فيها الشرك، نجد أن في إطلاقها تحذيرًا وتخويفًا من الشرك بكل أنواعه وأفراده، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨] فهذه الآية وإن كان المراد فيها بالشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة كما عليه جمهور أهل العلم، إلا أن الآية تخوف من الشرك بكل أنواعه، ولهذا وجد من أهل العلم من يرى أن الشرك الأصغر لا يغفر لهذه الآية.

ومن الآيات التي تحذر من الشرك، وتبين خطورته قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شَرَكُوكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الظَّمِيرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الْرَّيحُ فِي مَكَانٍ سَيِّقِ ﴾ [الحج: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَلَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]. ولما كان التوحيد أعظم شعب الإيمان، وهو اعتقاد ما اشتغلت عليه الكلمة العظيمة: "لا إله إلا الله" ، فإن الشرك بالمقابل يكون أعظم شعب الكفر، فإنه اعتقاد وتصديق من القلب لما ينافي مدلول الكلمة التوحيد من إشراك بالله أو تكذيب بمدلولها. فالشرك أخطر الموبقات، وأكبر الكبائر، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّرَكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وقال النبي ﷺ: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوب

العقيدة خاص [١]

المصادر المأثمن

والالدين...)). الحديث رواه البخاري ومسلم، ولهذا كانت عقوبة الشرك أعظم

عقوبة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾

[النساء: ٤٨].

يقول الإمام المقرئي # مبيناً خطورة الشرك: "اعلم، أن حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالخلق، وتشبيه المخلوق بالخالق. أما الخالق: فإن المشرك شبه المخلوق بالخالق في خصائص الإلهية وهي التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، فمن علق ذلك بخلقٍ فقد شبهه بالخالق تعالى، وسوى بين التراب ورب الأرباب، فـأي فـجـور وـذـنـب أـعـظـم مـن هـذـا؟"

واعلم أن من خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه. بوجه من الوجوه، وذلك يوجب أن تكون العبادة له وحده عقلاً وشرعاً وفطرةً، فمن جعل ذلك لغيره فقد شبه الغير بمن لا شبيه له، ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه الرحمة أنه لا يغفره أبداً، ومن خصائص الإلهية والعبودية التي لا تقوم إلا على ساق الحب والذل، فمن أعطاهمما لغيره فقد شبهه بالله تعالى في خالص حقه، وقبح هذا مستقر في العقول والفطر، لكن لما غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق، واجتالتهم عن دينهم، وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، كما روی عن أعراف الخلق به وبخلقه عموماً عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً.

ومن خصائص الإلهية السجود، فمن سجد لغيره فقد شبهه به، ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به. هذا في جانب التشبيه.

العقيدة خاص [١]

وأما في جانب التشبه: فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى إطرائه، ورجائه ومخافته، فقد تشبه بالله ونمازعه في ربوبيته، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذر تحت أقدام خلقه.

ففي (صحيح الإمام مسلم) من حديث أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة { أن النبي ﷺ قال: ((يقول الله عَزَّوجلَّ: العظمة إزارى، والكربلاء ردائى، فَمَن نازعني في واحدٍ منهما عذبته)) ...

وبالجملة: فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك، ولذلك كان من ظن أنه إذا تقرب إلى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير إليه تعالى، فإنه يخطئ؛ لكونه شبهه به وأخذ ما لا ينبغي أن يكون إلا له، فالشرك منعه سبحانه حقه، فهذا قبيح عقلاً وشرعًا. ولذلك لم يشرع ولم يغفر لفاعله...

وبالجملة:

فهذا باب واسع والمقصود أن من عبد مع الله غيره فإنما عبد شيطاناً، قال تعالى: ﴿أَلَّا أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ يَتَبَيَّنَ أَدَمَ أَنَّ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ليس: ٢٦٠، مما عبد أحد أحداً من بني آدم كائناً من كان إلا وقد وقعت عبادته للشيطان، فيستمتع العابد بالمعبود في حصول غرضه، ويستمتع المعبود بالعبد في تعظيمه له وإشراكه مع الله تعالى، وذلك غاية رضا الشيطان.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشِرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشُرُ الْجِنَّةَ قَدِ اسْتَكْرِثُرُ مِنَ الْإِنْسَنِ﴾ [الأنعام: ١٢٨] أي: من إغوائهم وإضلاليهم. ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنْسَنِ رَبَّنَا أَسْتَمْتَعُ بَعْضُنَا بِعَيْنٍ وَّبَعْضُنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجْلَتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثَوْنُكُمْ خَلِيلُنَّ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَرِيكُمْ عَلِيمٌ﴾ فهذه إشارة لطيفة إلى السر الذي لأجله كان الشرك أكبر الكبائر عند الله، وأنه لا يغفر بغير التوبة، وأنه موجب للخلود في العذاب

العقيدة خاص [١]

المصادر المأثمن

العظيم، وأنه ليس تحريره قبحه بمجرد النهي عنه فقط، بل يستحيل على الله تعالى أن يشرع لعباده عبادة إله غيره، كما يستحيل عليه ما يناقض أوصاف كماله، ونعوت جلاله".

انتهى كلامه، #.

إذن: فالشرك أعظم ذنبٍ عصيَ الله تعالى به، ولهذا أخبرَ تعالى أنه لا يغفره، وأنه لا أضل من فاعله، وأنه مخلد في النار محجوب عن رؤية الغفار، لا نصير له، ولا حميم لديه، ولا شفيع يطاع، وأنه لو قام الله تعالى قيام السارية ليلاً ونهاراً، ثم أشرك مع الله تعالى غيره لحظة من اللحظات ومات على ذلك، فقد جبطَ عمله كله بتلك اللحظة التي أشرك فيها، ولو كان نبياً رسولاً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الظَّالِمُونَ قَالُوا إِنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرِيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنُ يَهُوָءِيلَ أَعْعَدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشَرِّكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا وَعَدَهُ الْنَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾، وقال لصفوة خلقه -عليهم السلام- بعد أن أثني عليهم: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوكُ الْحَيْطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال لخاتتهم محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَيْهِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبِطَنَ عَمْلُكَ وَلَكَ تُكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وعن أنس < قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((قال الله تعالى : يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبيالي . يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني غفرت لك . يا ابن آدم ، لو لقيتني بقرب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ، لأنك بقربها مغفرة)) . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

العقيدة خاص [١]

وعن معاذ بن جبل < قال : ((كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال لي : يا معاذ ، أتدرى ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً)) . رواه البخاري ومسلم .

فالقصد :

أن الشرك أعظم ما نهى الله عنه ، كما أن التوحيد أعظم ما أمر به ، ولهذا أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد الله تعالى ونفي الشرك ، فلم يأمرها بشيء قبل التوحيد ، ولم ينهوا عن شيء قبل الشرك ، وما ذكر الله تعالى التوحيد مع شيء من الأوامر إلا جعله أولها ، ولا ذكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جعله أولها ، كما في آية النساء : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوْنِ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينَ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخَوْرًا ﴾ [النساء : ٣٦] .

وكما في آية الأنعام ، التي طلب النبي ﷺ البيعة عليها ، وهي قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَاوَنُوا أَتُلُّ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوْنِ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنَا وَلَا تَقْتُلُوْا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِيمَانِقُمْ تَحْنُنْ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوْا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَرَ وَلَا تَقْتُلُوْا النَّفَسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَنَعُكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ ١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوْا مَالَ أَيْتَمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ حَنَّ يَلْبَغُ أَشَدُهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُلُوا وَلَوْ كَانَ ذَاقِرَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنَعُكُمْ بِهِ لَعْلَكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ ١٥٢﴾ وَأَنَّ

العقيدة خاص [١]

هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۚ وَلَا تَنْبِغِي أَشْبُلَ فَنَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَلِكُمْ
وَصَنْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَنَقَّونَ ﴿١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

وكما في آية الإسراء: «وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَبْدُوا إِلَيْهِ أَيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا» [الإسراء: ٢٣] إلى قوله تعالى: «ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۖ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ
إِلَهًا أَخْرَى فَنَلَقَ فِي جَهَنَّمَ مُلُومًا مَدْحُورًا» [الإسراء: ٣٩]، فابتداً تلك الأوامر والنواهي
بتوجيه، والنهي عن الشرك، وبيان خطورته، وختمها بذلك.

ولما كان الشرك بهذه الخطورة، وجب على أهل العلم تحذير الناس منه، والخوف
من تلبسه.

ولهذا عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب # بأبا لهذا الغرض في كتاب
(التوحيد الذي هو حق الله على العبيد)، بعنوان: "باب الخوف من الشرك"، ثم
أورد تحت هذا الباب الأدلة من الكتاب والسنة، نقلنا بعضها سابقاً.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ #: "فتبيين بهذا أن الشرك أعظم
الذنوب؛ لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره، أي: إلا بالتوبة منه، وما عداه فهو
داخل تحت مشيئة الله إن شاء غفره بلا توبة وإن شاء عذب به، وهذا يوجب
للعبد شدة الخوف من هذا الذنب الذي هذا شأنه عند الله، وإنما كان كذلك؛
لأنه أقبح القبح، وأظلم الظلم، إذ مضمونه تنقيص رب العالمين، وصرف
خاصص حقه لغيره، وعدل غيره به كما قال تعالى: «ثُمَّ أَذْلَّيْنَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
يَعْدِلُونَ» ﴿١﴾ [الأنعام: ١].

ولأنه مناقض للمقصود بالخلق والأمر منافٍ له من كل وجه، وذلك غاية
المعاندة لرب العالمين، والاستكبار عن طاعته، والذل له، والانقياد لأوامره
الذي لا صلاح للعالم إلا بذلك، فمتى خلا منه خرب، وقامت القيامة،

العقيدة خاص [١]

كما قال ﷺ : ((لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض : الله ، الله)). رواه الإمام مسلم # لأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق - تعالى وتقديس - في خصائص الإلهية من ملك الضر والنفع ، والعطاء والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والتوكّل ، وأنواع العبادة كلها بالله وحده ، فمن علق ذلك بمحليه ، فقد شبهه بالخالق ، وجعل من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا حيًّا ولا نشورًا ، فضلًا عن غيره شبيهًا بمن له الخلق كله ، وله الملك كله ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله.

فَأَزِمَّةُ الْأَمْرِ كُلُّهَا بِيَدِيهِ سَبَحَانَهُ ، وَمَرْجِعُهَا إِلَيْهِ ، فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى وَلَا مَعْطِيَ لِمَا مَنَعَ ، الَّذِي إِذَا فَتَحَ لِلنَّاسِ رَحْمَةً فَلَا مُسْكِنَ لَهَا ، وَمَا يَمْسِكُ فَلَا مُرْسَلٌ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، فَأَقْبَحَ التَّشْبِيهَ تَشْبِيهَ الْعَاجِزِ الْفَقِيرِ بِالذَّاتِ بِالْقَادِرِ الْغَنِيِّ بِالذَّاتِ .

ومن خصائص الإلهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه ، وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده ، والتعظيم والإجلال ، والخشية ، والدعاء ، والرجاء ، والإنابة ، والتوكّل ، والتوبّة ، والاستعاة ، وغاية الحب مع غاية الذل ، كل ذلك يجب عقلًا وشرعًا وفطرةً أن يكون لله وحده ، ويكتنع عقلًا وشرعًا وفطرةً أن يكون لغيره ، فمن فعل شيئاً من ذلك لغيره ، فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له ولا ندل له ، وذلك أقبح التشبيه وأبطله.

فلهذه الأمور وغيرها أخبر سبحانه أنه لا يغفره مع أنه كتب على نفسه الرحمة".
انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

ضرر الشرك:

لما كان الشرك بهذه الخطورة التي وصفنا، وبينا حكمه، وهو أنه يُخلد صاحبه في النار - إذا مات ولم يتبر منه - وأنه في الدنيا حلال الدم والمال والعرض. لما كان الأمر كذلك، فإن أمراً هذا حكمه، وهذه خطورته ونتائجها، فإن ضرره عظيم وعاقبته وخيمة.

وبيان ذلك فيما يأتي:

أ- الشرك يوقع صاحبه في نجاسة اعتقادية أشد من النجاسة الحسية:

فقد وسم الله تعالى الشرك والزنا واللواطة بالنجاسة والخبث في كتابه العزيز دون سائر الذنوب، وإن كانت مشتملة على ذلك، لكن الذي وقع في القرآن قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَّا مُنْتَهِيَ الْمُشْرِكُونَ بِحَسْنَى﴾ [النوبة: ٢٨]، وقوله في اللواطية: ﴿وَلُوطًا أَلَيْنَاهُ حُكْمًا وَعَلَمًا وَجَنَّتْهُ مِنْ قَرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوْءً فَسَيِّدُنَّ﴾ [الأنياء: ٧٤]، وقالت جماعة اللواطية: ﴿أَخْرِجُوهُ أَلَّا لُوطٌ مِّنْ قَرْبَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهِرُونَ﴾ [النمل: ٥٦] فأقرروا مع شركهم وكفرهم أنهم هم الأخبات الأنجاس، وأن لوطاً وأله متظهرون من ذلك باجتنابهم له، وقال تعالى في حق الزناة: ﴿لَتُحِيشَنُ لِلْخَيْشِينَ وَالْخَيْشُورِ لِلْخَيْشَتِ﴾ [النور: ٢٦].

وأما نجاسة الشرك فهي نوعان: نجاسة مغلظة، ونجاسة مخففة.

النجاسة المغلظة: الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله تعالى فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

العقيدة خاص [١]

النجاسة المخففة: الشرك الأصغر؛ كيسير الرياء، والتصنّع للملائكة، والخلف به، وخوفه، ورجائه.

ونجاسة الشرك عينية، ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى الشرك نجسًا - بفتح الجيم - ولم يقل: إنما المشركون نجس - بالكسر - فإن النجس عين النجاسة، والنَّجس هو المنتجس، فالثوب إذا أصابه بُول أو خمر نجس - بالكسر - والبول والخمر نجس بالفتح. فأنجس النجاسة الشرك، كما أنه أظلم الظلم، فإن النجس في اللغة والشرع: هو المستقدر الذي يتطلب مباعدته وبعد عنده، بحيث لا يلمس، ولا يُشم، ولا يُرى فضلًا عن أن يخالط ويلابس لقذارته، ونفرة الطيّاب السليمة عنه، وكلما كان الحي أكمل حياة، وأصلح حياء، كان بإعاده لذلك، ونفرته منه أقوى.

والنجاسة تارة تكون محسوسة ظاهرة، وتارة تكون معنوية باطنة، فيغلب على الروح والقلب الخبث والنجاسة، حتى إن صاحب القلب الحي ليشم من تلك الروح والقلب رائحة خبيثة يتأنى بها كما يتأنى من شم رائحة التتنة، ولهذا كان الرجل الصالح طيب العرق، وكان رسول الله ﷺ أطيب الناس عرقة.

والمقصود:

أن الشرك لما كان أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، كان أبغض الأشياء إلى الله تعالى، وأكرهها له، وأشدّها مقتاً لديه، ورتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنبٍ سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس، ومنعهم من قربان حرمته، وحرم ذبائحهم ومناكحتهم، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، فلم يجمع على أحد من الوعيد والعقوبة ما جمع على أهل الشرك.

العقيدة خاص [١]

المصادر المأثمن

ب - يلزم منه تنقص الرب ﷺ :

فالشرك ملزوم لتنقص الرب ﷺ والتنقص لازم له ضرورة شاء المشرك أم أبي ، ولهذا اقتضى حمده ﷺ وكمال ربوبيته ألا يغفره وأن يخلد صاحبه في العذاب الأليم ، ويجعله أشقي البرية ، فلا تجد مشركاً قط إلا وهو متancock الله ﷺ وإن زعم أن يعظمه بذلك ، كما أنه لا تجد مبتداً إلا وهو متancock للرسول ﷺ وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة .

فالمتنقصون المنقوصون عند الله تعالى ورسوله وأوليائه هم أهل الشرك والبدعة .

ج - أنه سبب للهلاك :

يقول الشيخ حافظ الحكمي # : " من هنا يتبين لك عظم ذنب الشرك ، وأنه أقبح الذنوب ، وأظلم الظلم ، وأكبر الكبائر ، وأن الله تعالى لا يغفره ولا يقبل لأحد معه عملاً ، وأنه لا أشد هلكةً منه ، وما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب إلا بالندارة عن الشرك ، والدعوة إلى التوحيد ، ولا نجَا الرسل وأتباعهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، إلا بالتزام التوحيد والبراءة من الشرك ، فما هلك قوم نوح بالطوفان ، ولا عاد بالريح العظيم ، ولا ثُود بالصيحة ، ولا أهل مدين بعذاب يوم الظللة ، إلا بالشرك وعبادة الأصنام .

وهكذا الأمم من بعدهم بأنواع العذاب ، ولم يخرج عصاة الموحدين من النار في الآخرة إلا بالتوحيد ، ولم يخلد غيرهم فيها أبداً مؤبداً إلا الشرك ". انتهى .

الرد على الشهتين الأولى والثانية في تعلق الغلة بالشرك

عناصر الدرس

- | | |
|-----|---|
| ١٧٩ | العنصر الأول : استعراض هاتين الشبهتين |
| ١٨١ | العنصر الثاني : الجواب المجمل على هاتين الشبهتين |
| ١٨٣ | العنصر الثالث : الجواب المفصل على هاتين الشبهتين |
| ١٩٥ | العنصر الرابع : الرد على الصورتين الفلسفية والعامية للشبهة الأولى |

العقيدة خاص [١]

استعراض هاتين الشهيتين

أولاً: استعراض الشبهة الأولى:

يقول أهل الأهواء في تقريرهم لهذه الشبهة: نحن لا نشرك بالله بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً فضلاً عن غيره من المقصودين. ولكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله بهم ويتوسيطهم.

وهذه الشبهة من أكبر الشبهات التي يتعلّق بها أهل الأهواء - عموماً - ويستدلّون بها على جواز دعاء غير الله تعالى في الشدائيد والاستغاثة به وزعمهم أنهم إذا توجّهوا إلى الأنبياء والصالحين بالدعاء والاستغاثة والتّوسل بهم وتتوسيطهم في العبادات أنهم لا يبعدونهم بذلك وإنما يبعدون الله تعالى وتوجّهون بهؤلاء المحبوبين ليقربوهم إلى الله زلفى.

ولهذه الشبهة صورتان:

١ - صورة فلسفية منطقية كلامية.

٢ - صورة أممية عامية.

أما الصورة الأولى؛ فتقريرها عندهم: أن النّفوس التي فارقت أجسادها أقوى من النّفوس المتعلقة بالأجساد من بعض الوجوه؛ لأنّها حين فارقت تلك الأجساد زالت عنها الغطاء والوطاء، وانكشف لها عالم الغيب. فالزائر إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف عند قبره ساعة، وتأثرت نفسه من

العقيدة خاص [١]

تلك التربية حصل لنفس الزائر تعلق بتلك التربية التي عرفنا أن نفس الميت المزور تعلقاً بها أيضاً، فحينئذ يحصل لنفس الحي ولنفس الميت ملاقة بسبب اجتماعهما على تلك التربية، فصارت هاتان النسان شبيهتين بمرأتين صقلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من كل واحدة منها إلى الأخرى، وبهذا السبب ينعكس النور من نفس الميت المزور إلى نفس هذا الحي الزائر، وبهذه الطريقة الفلسفية تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبيرة، فهذا هو السبب الأصلي في شرعية الزيارة، ولهذا يُنفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الآخيار من الأموات في استمطار الرحمات، ودفع المضرات. هذه سفطنة المفلسفة منهم.

وأما الصورة الثانية للواسطة؛ فتقريرها - عند العامة -: على جواز الاستغاثة بالأموات واستمداد الف gioضات منهم، بل وجوبها عندهم. أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - والأولياء، كما يزعمون واسطة في العون والمدد والإغاثة بين الله تعالى وبين المكروبين المضطرين لعلو شأنهم ورفع منزلتهم عند الله تعالى، وأن المكروب المستغيث يرى نفسه ملطفاً بالذنب فهو بعيد عن الله تعالى لا يصل إليه إلا بواسطة أحبابه من الأولياء المقربين الذين يشفعون له عند الله تعالى، فكما أنه لا يمكن للعامة الوصول إلى الملوك إلا بواسطة الأمراء والوزراء والمقربين، كذلك لا يمكن الوصول إلى الله لقضاء الحوائج وتحقيق الآمال إلا بواسطة المعظمين المقربين من الأنبياء والأولياء.

ثانياً: استعراض الشبهة الثانية:

يقول المدافعون عن الشرك من أهل الأهواء والبدع: إن الشرك لا يقع في هذه الأمة، فكل من شهد بالله ربّاً وبمحمد ﷺ رسولاً لا يتوقع منه الوقوع في الشرك. فمن وجدناه يتلفظ بالشهادتين وهو يعتقد أن الأولياء والصالحين ينفعونه أو

العقيدة خاص [١]

المصادر للناسخ

يضرونه فهو يقصدهم بالدعاء والرجاء والاستعانة والاستغاثة طالباً منهم المدد والعون خاسعاً متذللاً من فعل ذلك ينبغي أن لا نحكم عليه بأنه وقع في الشرك؛ لأن الشرك إنما يحكم به على من قصد الأصنام والأوثان بالدعاء والذبح والنذر وأصناف العبادات الأخرى، أما الأولياء والصالحون فليسوا مثل الأصنام والأوثان فمن يدعوهم أو يقصدهم بشيء من تلك العبادات لا يحكم عليه بالشرك؛ لأنه ليس مثل من يدعو الأصنام والأوثان !!

الجواب المجمل على هاتين الشبهتين

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب # في كتابه : (كشف الشبهات) :

"جواب أهل الباطل من طريقين: محمل، ومفصل، أما المحمل: فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها. وذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ إِيتَتْ مُحْكَمَتُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخَرُ مُتَشَكِّهُتُ فَمَمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهُ بِهِ أَبْتِغَاهُ الْقُتْنَةَ وَأَبْتِغَاهُ تَأْوِيلَهُ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٢٧].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم)). رواه الإمام البخاري ومسلم -رحمهما الله- ، مثل ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: ﴿ أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ اللَّهَ لَا يَخْوِفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرَرُونَ ﴾ [يونس: ٦٢] ، وأن الشفاعة حق ، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله ، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره. فجاوبه بقولك: إن الله ذكر في كتابه: إن الذين في قلوبهم زيف يتركون الحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله تعالى ذكر أن المشركين يقررون بالريبية ، وأن كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴿ هَتُؤَلِّئُ شُفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨] ، هذا أمر محكم بين

العقيدة خاص [١]

لا يقدر أحد أن يغير معناه، وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله.

وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله فلا تستهين به، فإنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَى هَذِهِ إِلَّا لِلَّهِ صَرُورًا وَمَا يُلْقَى هَذِهِ إِلَّا دُحُوقًا حَظِيرًا عَظِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٥]. انتهى كلامه.

وقال الشيخ ابن عثيمين # في تعليقه على هذا الرد المجمل. من شرحه لـ(كشف الشبهات) :

أجاب الشيخ على هذه الشبهات بجوابين: أحدهما مجمل عام صالح لكل شبهة، والثاني مفصل. وهكذا ينبغي لأهل العلم في باب الماظرة والمجادلة أن يأتوا بجواب مجمل حتى يتحمل ما يحتمل أن يورده الملبوسون المشبهون، ويأتي بجواب مفصل لكل مسألة بعينها، قال الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا لِكُلِّ أُنْكَارٍ حِكْمَةً إِيَّاكَنْهُ وَمِنْ فُصْلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١] فذكر في الجواب المجمل # : "أن هؤلاء الذين يتبعون المتشابه هم الذين في قلوبهم زيف كما صرحت ذلك عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ مَا يَكُنْتُ تَعْمَلُ مِنْ حِكْمَةٍ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخُرُ مُتَشَكِّهِنَّ مِنْ قَوْلِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ...﴾ الآية. [آل عمران: ٧]. ولهذا تجد أهل الزيف والعياذ بالله يأتون بالأيات المتشابهات ليلبسوا بها على باطلهم فيقولون مثلًا. قال الله تعالى كذا، وقال في موضع آخر كذا..." فالرجل الذي يتبع المتشابه من القرآن أو من السنة وصار يلبس به على باطله فهو من الذين سماهم الله ووصفهم بقوله: ﴿فَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧] الآية. ثم أمر النبي ﷺ بالحذر منهم فقال: ((احذرُوهُمْ مَنْ أَنْ يُضْلُوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِاتِّبَاعِ هَذِهِ الْمُتَشَابِهِ، وَاحذرُوهُمْ طَرِيقَتِهِمْ أَيْضًا)). فالتحذير هنا يشمل التحذير عن طريقتهم، والتحذير منهم أيضًا، ثم ضرب المؤلف لهم مثلًا، بأن يقول لك المشرك: أليس الله يقول:

العقيدة خاص [١]

﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَهُمْ لَا يَحْوِفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] أو ليس للأولياء جاه عند الله تعالى؟، أو ليست الشفاعة ثابتة بالقرآن والسنة؟ وما أشبه ذلك من هذه الأشياء. فقل : نعم كل هذا حق ، ولكن ليس فيه دليل على أن تشرك بهؤلاء الأولياء أو بهؤلاء الرسل ، أو بهؤلاء الذين عندهم شفاعة عند الله تعالى ، ودعواك له أن هذا يدل على ذلك دعوى باطلة لا يحتاج بها إلا مبطل ، وما أنت إلا من الذين قال الله فيهم : ﴿فَمَاً أَذْنَينَ فِي قُوَّبِهِمْ رَبِيعٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَبَّهُ مِنْهُ أَبْتِغَاهُ الْقِسْطَةُ وَأَبْتِغَاهُ تَأْوِيلُهُ﴾ [آل عمران: ٧] ، ولو أنك ردت هذا المتشابه إلى الحكم لعلمت أن هذا إلا دليل لك فيه". انتهى كلامه.

الجواب المفصل على هاتين الشبهتين

المفصل يتناول كل شبهة على حدة ويدحض أدلةها وينسف حجتها..

ومفصل من جهتين :

الأولى : أنه مفصل ، أي : مميز ببعضه عن بعض.

والثانية : مفصل في تناول الأدلة والتفریعات.

أولاً: الجواب المفصل على الشبهة الأولى:

ولنعد الآن إلى جواب الشيخ المفصل ، حيث قال # :

وأما الجواب المفصل: فإن أعداء الله لهم اعترافات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه - ثم ذكر تقريرهم للشبهة الماضية ، ثم قال : فجاويه بما تقدم ، وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقارن بما ذكرت ، ومقدرون بأن

العقيدة خاص [١]

أو ثانهم لا تدبر شيئاً وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، واقرأ عليهم ما ذكر الله في كتابه ووضحه، فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف يجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف يجعلون الأنبياء أصناماً؟ فجوابه بما تقدم فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وأنهم ما أرادوا من قصدوا إلا الشفاعة، ولكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره فاذكر له أن الكفار منهم من يدعوا الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبٌ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ويدعون عيسى بن مريم وأمه، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ بْنُ مَرِيمٍ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتِ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلُانِ الظَّعَامَ أَنْظَرَ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ أَلَايَاتٍ ثُمَّ أَنْظَرَ أَنَّ يُوقَنُوكَ﴾ [٢٥] ﴿فَلَمْ يَعْبُدُوكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ أَسْمَاعُ الْعَلِيمِ﴾ [الملائكة: ٧٦ - ٧٥]، واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ حَيًّا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتَوْلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [٤١] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنَّتَ وَلَيْسَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكُثُرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَالَ اللَّهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرِيمَ إِنَّكَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَنْخُذُونِي وَأَنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيَسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْعُيُوبِ﴾ [الملائكة: ١١٦]. فقل له: أعرفت أن الله كفر من قصد الأصنام وكفر أيضاً من قصد الصالحين وقاتلهم الرسول ﷺ؟ فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم. فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء، واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَنْهَذُوا مِنْ دُونِهِ آفَلِكَ أَنَّمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾ [الزمر: ٣].

العقيدة خاص [١]

وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَوْنَأَعْنَدَ اللَّهَ ﴾ [يوحنا: ١٨]. واعلم أن هذه الشبه الثلاث ، هي أكبر ما عندهم ، فإذا عرفت أن الله وضحتها لنا في كتابه وفهمتها فهماً جيداً بما بعدها أيسر . فإن قال : أنا لا أعبد إلا الله ، وهذا الاتجاه إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة .

فقل له : أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة لله ، وهو حقه عليك . فإذا قال : نعم . فقل له : بين لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده ، وهو حقه عليك فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها ، فيبينها له بقولك : قال الله تعالى : ﴿ أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥] فإذا أعلمته بهذا ، فقل له : هل علمت هذا عبادة لله فلا بد أن يقول نعم . والدعاء مخ العبادة . فقل له : إذا أقررت أنها عبادة ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً . ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً ، أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره ؟ . فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : إذا علمت بقول الله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْهِرْ ﴾ [الكوثر: ٢] ، وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة ؟ فلا بد أن يقول : نعم . فقل له : إذا نحرت لخلوق :نبي ، أو جني ، أو غيرهما . هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقر ويقول : نعم . وقل له أيضاً : المشركون الذين نزل فيهم القرآن ، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول : نعم ؟ . فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والاتجاه ، ونحو ذلك . وإنما فهم مcroftون أنهم عبيده وتحت قهره ، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ، ولكن دعوهُمْ والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة . وهذا ظاهر جداً . انتهى كلامه .

ثانياً: الجواب المفصل على الشبهة الثانية :

العقيدة خاص [١]

الجواب المفصل على هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول:

إذا قال المشرك: أنا لا أشرك بالله شيئاً حاشا وكلا ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك. يقال له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر أن الله لا يغفره. فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره. فإنه لا يدرى. فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرم الله عليك هذا ويدرك أنه لا يغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أن الله يحرمه ولا بيئنه لنا؟ فإن قال: الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام. فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن، وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجر أو بنية على قبر أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون إنه يقربنا إلى الله زلفي، وينفعنا الله ببركته أو يضرنا ببركته. فقل له: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والآبنية التي على القبور وغيرها. فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، فهو المطلوب، ويقال له أيضاً: قولك الشرك عبادة الأصنام، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا. وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في ذلك؟. فهذا يرده ما ذكر الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة، أو عيسى أو الصالحين، فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحداً من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.

الوجه الثاني:

العقيدة خاص [١]

المصادر المنسوبة

ذكر الشيخ تقى الدين المقرىزى #

أن شرك الأمم كله نوعان: شرك في الإلهية، وشرك في الربوبية. فالشرك في الإلهية والعبادة: هو الغالب على أهل الإشراك، وهو شرك عباد الأصنام وعباد الملائكة، وعباد الجن، وعباد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا إِلِيقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾ [الزمر: ٣]. ويشفعون لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكراهة كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكراهة والزلفى لمن يخدم أعون الملك وأقاربه وخاصته: والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبع أهله وتتنصل على أنهم أعداء الله تعالى، وجميع الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - متفقون على ذلك من أولهم إلى خاتمهم، وما أهلك الله تعالى من أهلك من الأمم السالفة إلا بسبب هذا الشرك، ومن أجله: وأصله الشرك في محبة الله. قال تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْدُ حُبَّ الَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] فأخبر رسول الله أنه من أحب مع الله شيئاً غيره كما يحبه فقد اخذنداً من دونه، وهذا على أصح القولين في الآية أنهم يحبونهم كما يحبون الله، وهذا هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرِبِّهِمْ يَعْدُلُونَ﴾ [الأعراف: ١] والمعنى على أصح القولين: أنهم يعدلون به غيره في العبادة فيسوون بينه وبين غيره في الحب والعبادة. ومعلوم أن هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله تعالى في كونه ربهم وخلوقهم فإنهم كانوا - كما أخبر الله عنهم - مقربين بأن الله تعالى وحده هو ربهم وخلوقهم وأن الأرض ومن فيها لله وحده، وأنه رب السموات السبع ورب العرش العظيم، وأنه رسول الله هو الذي بيده ملکوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، وإنما كانت هذه التسوية بينهم وبين الله تعالى في المحبة والعبادة فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه، وذل له كما يحب الله ويخافه ويرجوه، فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، فكيف بمن كان غير

العقيدة خاص [١]

الله آثر عنده وأحب إليه وأخوف عنده وهو في مرضاته أشد سعيًا منه في مرضاته الله ، فإذا كان المسوبي بين الله وبين غيره في ذلك مشركاً فما الظن بهذا. فعيادةً بالله من أن ينسلخ القلب من التوحيد والإسلام كأنسلاخ الحبة من قشرها ، وهو يظن أنه مسلم موحد ، فهذا أحد أنواع الشرك ، والأدلة الدالة على أنه تعالى يحب أن يكون وحده هو المألوه يبطل هذا الشرك ويدحض حجج أهله ، وهي أكثر من أن يحيط بها إلا الله بل كل ما خلق الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده ، وكذلك كل ما أمر به فخلقه وأمره وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من القوى شاهد بأنه الله الذي لا إله إلا هو ، وأن كل معبد سواه باطل وأنه هو الحق المبين. ولقد أحسن القائل :

فواعجاً كيف يعصي الإله ❁ أم كيف يجده الجاحذ
ولله في كل تعریکة ❁ وتسکینة أبداً شاهذ
وفي كل شيء له آية ❁ تدل على أنه احد

الوجه الثالث :

ما ذكره الأمير الصناعي # حيث قال : "قد عرفت في هذا كله أن من اعتقاد في شجر أو حجر أو قبر أو ملك أو جني أو حي أو ميت ، أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب إلى الله أو يشفع عنده في حاجة من حاجات الدنيا بمجرد التشفع به والتوصيل إلى الرب تعالى ... فإنه قد أشرك مع الله تعالى غيره ، واعتقاد ما لا يحل اعتقاده كما اعتقده المشركون في الأوثان فضلاً عمن ينذر بماله وولده لميت أو حي أو يطلب من ذلك الميت ما لا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات : من عافية مريضه أو قدوم غائبه أو نيله لأي مطلب من المطالب فإن هذا هو الشرك بعينه الذي كان

العقيدة خاص [١]

المصادر المنسع

ويكون عليه عباد الأصنام. والنذر بالمال على الميت ونحوه والنحر على القبر والتوسل به مطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، و فعله القبوريون لما يسمونه ولّياً وقبراً ومشهداً والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني ضرورته لغوية وعقلية وبلاطية وشرعية. فإن من شرب الخمر وسمها ماءً ما شرب إلا خمراً، وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعله يزيد عقابه للتلذيس وللکذب في التسمية كما يعرفه من شم رائحة الكتاب والسنة، وكل ذلك مأخوذ عن إبليس حيث سمى الشجرة المنهي عنها شجرة الخلد، وكذلك تسمية القبر مشهداً ومن يعتقدون فيه ولّياً لا يخرجونه عن اسم الصنم والوثن إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام، ويطوفون بهم طواف الحاج ببيت الله الحرام، ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم: على الله وعليك، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائـد ونحوها، وكل قوم لهم رجل ينادـنه. فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلاني، وأهل التمام لهم في كل بلد ميت يهتفون باسمـه، يقولون: يا زيليـي يا ابن العـجيل، وأهل مـكة والـطائف: يا ابن العـباس، وأهل مصر: يا رفـاعـي وـيا بـدوـيـ، والـسـادـةـ الـبـكـرـيـةـ، وأـهـلـ الـجـبـالـ: يا أـبـاـ طـيـرـ، وأـهـلـ الـيـمـنـ: يا ابن عـلوـانـ، وـفيـ كـلـ قـرـيـةـ أـمـوـاتـ يـهـتـفـونـ بـهـمـ وـيـنـادـونـهـمـ وـيـرـجـونـهـمـ لـجـلـبـ الـخـيـرـ وـرـفـعـ الـضـرـ، وـهـذـاـ هوـ بـعـيـنـهـ فـعـلـ الـمـشـرـكـينـ فـيـ الـأـصـنـامـ كـمـاـ قـلـنـاـ فـيـ الـآـيـاتـ

التجديـةـ :

أعادوا بها معنى سواع ومثله ❖ يغوث وود ليس ذلك من ودي
وقد هتفوا عند الشدائـد باسمـها ❖ كما يهتف المضطـرـ بالـصـمـدـ الفـردـ

العقيدة خاص [١]

وكم نحرروا في سوها من نحرة ❖ أهلت لغير الله جهلاً على عمد وكم من لائف حول القبور مقبلًا ❖ ويلتمس الأركان منهن بالأيدي فإن قال: إنما نحررت لله وذكرت اسم الله عليه. فقل: إن كان النحر لله فلأي شيء قربت؟.

فقل له: هذا النحر لغير الله، بل أشركت مع الله تعالى غيره.. ثم كذلك دعاؤك لهم.

فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب... فإن قلت: أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون في القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين؟ كالذين يعتقدون في الأصنام؟ قلت: نعم قد حصل منهم ما حصل من أولئك، وساووهم في ذلك بل زادوا في الاعتقاد والانقياد والاستبعاد فلا فرق بينهم. فإن قلت: هؤلاء القبوريون يقولون: نحن لا نشرك بالله تعالى ولا نجعل له ندا والاتجاء إلى الأولياء ليس شركاً. قلت: نعم ﴿يَقُولُونَ إِنَّا سَيِّدُهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١] هذا جهل منهم بمعنى الشرك، فإن تعظيمهم الأولياء ونحرهم النحائر لهم شرك فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم هو عين ما فعلوه المشركون وصاروا به مشركين، ولا ينفعهم قولهم: نحن لا نشرك بالله شيئاً، لأن فعلهم أكذب قولهم". انتهى كلامه رفع مقامه.

الوجه الرابع:

ويقال للأصحاب هذه الشبهة: لقد سوى الله تعالى بين من يعبد الأصنام وبين من يعبد الأنبياء والصالحين والملائكة، فإن من الكفار من كان يدعوا الأصنام، ومنهم من كان يدعو الأنبياء، ومنهم من كان يدعوا الأولياء، ومنهم من كان يدعوا الملائكة، ويبدل على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾ [الزمر: ٣]. قال الإمام ابن كثير # في تفسيره: "أخبر تعالى عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾ ،

العقيدة خاص [١]

أي : إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم ، وما ينوبهم من أمور الدنيا".
انتهى كلامه .

ويبدل أيضاً عليه قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بَيْنَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ، وَيَخَافُونَ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء : ٥٧]

وقد فسر هؤلاء المزعومون بالجن ، والملائكة وعيسي والعزيز والشمس والقمر ، وقد بين يشهد ضلال من يعبد عيسى وأمه فقال : ﴿مَا أَلْمَسِيْحُ ابْنُ مَرِيَّمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ حَلَّتِ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمَّهُ، صِدِّيقَةٌ كَانَتْ يَأْكُلُونَ الظَّعَامَ أَنْظَرَ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ شَمَّ أَنْظَرَ أَنَّ يُوقَنُوكُنَّ قُلْ أَعْبُدُوكُنَّ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة : ٧٥ - ٧٦].

كما بين يشهد كيف أن عيسى - على نبينا و # - يربأ إلى الله من فعلهم يوم القيمة فقال : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَكْعِسَى ابْنَ مَرِيَّمَ إِنَّكَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَتَخْذُونِي وَأَمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتَ قُلْتُمْ فَقَدْ عِلْمَتُهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغَيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة : ١١٦ - ١١٧]. ثم بين يشهد ضلال من يعبد الملائكة ، وكيف أنهم يربأون إلى الله من عبادة هؤلاء ، فقال يشهد : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْوَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنَّتَ وَلِيْسَنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ﴾

[سبأ : ٤٠ - ٤١].

العقيدة خاص [١]

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ في رده على شبهات داود بن جرجيس : "ثم هذا القول الذي قاله العراقي رجوع إلى عبادة الملائكة والنجوم والأنفس المفارقة هذا حقيقة دين الصائبية أوقع العراقي فيه ظنه أن العبادة لا تكون عبادة وشركًا إلا إذا اعتقد التأثير من دون الله. وهذا الشرط هو الذي أوقعه فيما وقع فيه من تجويز عبادة الملائكة والنجوم والأنفس المفارقة. وهذه المسألة غلط فيها كثير من الصالين مع أن الله تعالى وضحها في كتابه توضيحاً كافياً شافياً. فالشرك جعل شريك الله تعالى فيما يستحقه ويختص به من العبادة الباطنة والظاهرة؛ كالحب والخضوع والتعظيم والخوف والرجاء والإنابة والتوكيل والنسك والطاعة ونحو ذلك من العبادات. فمتي أشرك مع الله غيره في شيء من ذلك فهو مشرك بربه قد عدل به سواه وجعل له ندًا في خلقه، ولا يشترط في ذلك أن يعتقد له شركة في الريبوية أو استقلالاً بشيء منها، والعجب كل العجب أن مثل هؤلاء يقرءون كتاب الله ويتبعدون بتلاوته، وربما عرفوا شيئاً من قواعد العربية وهم في هذا الباب من أضل خلق الله وأبعدهم عن فهم وحيه وتنزيله. ومن الأسباب المانعة عن فهم كتاب الله أنهم ظنوا أن ما حكم الله عن المشركين وما حكم عليهم به ووصفهم به خاص بقوم مضوا، وأناس سلفو وانقرضوا لم يعقبوا وارثاً. وربما سمع بعضهم قول من يقول من المفسرين : هذه نزلت في عباد الأصنام، هذه نزلت في النصارى، هذه في الصائبية، فيظن الغمر أن ذلك مختص بهم، وأن الحكم لا يتعداهم، وهذا من أكبر الأسباب التي تحول بين العبد وبين فهم القرآن والسنة". انتهى كلامه.

الوجه الخامس :

العقيدة خاص [١]

أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب # كشف هذه الشبهة وذلك بالباب الذي عقده في كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد وهو باب: ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبدون الأوثان. حيث أراد بهذه الترجمة الرد على عباد القبور الذين يفعلون الشرك، ويقولون: إنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية، وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وبين في هذا الباب من كلام الله وكلام رسوله ﷺ ما يدل على تنوع الشرك في هذه الأمة ورجوع كثير منها إلى عبادة الأوثان، وإن كانت طائفة منها لا تزال على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله - تبارك وتعالى. وقد ذكر الله ورسوله ﷺ في الكتاب والسنّة من الحكم بكفر جميع من يدعوه غير الله تعالى مهما كان هذا الغير سواء كاننبياً أو ملكاً من دونهما أو دعا طاغوتاً أو صنماً. فالحكم على من دعا غير الله واحد، ولم يفرق الله ولا رسوله ﷺ بين من يعبد الأصنام وبين من يعبد الصالحين في الحكم. بل الجميع يحكم عليهم بأنهم مشركون بالله تعالى، يقول الشيخ في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَ أَعْبُدُ أَيْمًا الْجَاهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَحْبَطَنَ عَمَلُكَ وَلَا تَكُونَنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٤-٦٥].

فيه مسائل: فيها أنواع من بُطلان الشرك وتقبیحه:

الأولى: الجواب عن قول المشركين: هذا في الأصنام، وأما الصالحون فلا، وقوله: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ ۝ عَامٌ فِيمَا سُوِيَ اللَّهُ سُوَاءٌ بِسَوَاءٍ كَانَ صَالِحًا أَوْ غَيْرَ صَالِحٍ ۝ .

الثانية: أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه في الظاهر كفر، ولو كان باطنه يعتقد الإيمان فإنهم لم يريدوا من النبي ﷺ تغيير عقيدته، ففيه بيان لما يكثر وقوعه من يتسبّب إلى الإسلام في إظهار الموافقة للمشركين خوفاً منهم، ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارهاً له.

العقيدة خاص [١]

يقول الشيخ: فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحين مقربون ونحن ندعوه وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة إلا فنحن نفهم أن الله هو الخالق الرازق المدبر. فقل: كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله، فإنهم يدعون عيسى وعذيراً والملائكة والأولياء يريدون ذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخْدُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَأَ شُفَعَّاتُنَا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ [يونس: ١٨].

ومن الأدلة النقلية على بطلان هذه الشبهة قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِجَّةِ وَالظَّغْفُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُوَ لَأَهْدَى مِنَ الَّذِينَ أَمْنَوْا سِيلًا﴾ [النساء: ٥١] وقوله تعالى: ﴿فُلْ هَلْ أَنِّي كُمْ بِشَرٍ مِّنْ ذَلِكَ مَوْبِدٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ أَقْرَدَهُ وَالخَنَازِيرَ وَعَبْدَ الظَّغْفُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَخَذَّ عَلَيْهِمْ مَسِيْدًا﴾ [الكهف: ٢١].

وعن أبي سعيد الخدري < أن رسول الله ﷺ قال: ((لتتبين سنتَنَ من كان قبلكم حذو القُدُّة بالقدمة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟)). رواه البخاري ومسلم.

وبهذا القدر نكتفي في الرد على هذه الشبهة الواهية كالتي قبلها، ولا يسعنا ونحن ننتهي من الرد على هذه الشبهة إلا أن ندعو الله أن يجنبنا الشرك والوسائل المفضية إليه، ولا يسعنا إلا أن نتمثل بقول الشاعر:

إذا عدد الناس أربابهم ♦ فحن لنا ربنا الواحد
والله أعلم.

العقيدة خاص [١]

الرد على الصورتين الفلسفية والعامية لشبهة الأولى

إن هذه العقيدة هي بعينها عقيدة المشركين الأولين. عباد الأصنام السابقين في تعلقهم بالملائقيين من دون الله تعالى، كما قال الله عنهم: ﴿وَالَّذِينَ أَنْهَدُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا تَعْبُدُ هُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَكَ مِنْ دُونِنِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَوْنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يوسوس: ١٨]، والشفاعة حق، ولكنها ملك الله وحده: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٤].

فلا يجوز طلبها من الأموات سواء كانوا أنبياء أو أولياء ولا من غيرهم. وإنما تطلب من يده الأمر كله.

وقد أخبرنا الله تعالى أنها لا تحصل إلا بشرطين:

الأول: إذن الله للشافع أن يشفع، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا أَلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ٢٥٥].

والثاني: أن يكون المشفوع فيه من رضي الله قوله، وعمله وهو المؤمن الموحد، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشَفَّعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال أيضاً: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

فالله لم يرخص في طلب الشفاعة من الملائكة والأنبياء والأصنام؛ لأنها ملكه وحده، منه تطلب، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع، وإن لم يأذن له لم يتقدم في الشفاعة بين يديه، وليس الأمر كما يحصل عند الملائقيين من تقدم الشفاعة إليهم وإن لم يأذنوا لهم، ويقبلون شفاعتهم ولو لم يرضوا بها، فإن المشفوع

العقيدة خاص [١]

عنه من المخلوقين يحتاج إلى الشافع وتعاونته فيضطر لقبول شفاعته وإن لم يأذن له فيها. وأما الله سبحانه فهو الغني عمّا سواه فليس بحاجة إلى أحد بل كل أحد يحتاج إليه. وأيضاً المخلوق لا يدرى عن كل أحوال الرعية حتى يبلغه عنها الشفاعة لديه ، والله سبحانه بكل شيء علیم لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه فليس بحاجة إلى من يبلغه. وحقيقة الشفاعة عند الله سبحانه أن الله تعالى هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيعفو عنهم ويغفر بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك.

وقد بين الفخر الرازي :

"أن الأشياء التي عبدها الكفار من دون الله تعالى في القديم شيئاً :

أ- عقلاً.

ب- وغير عقلاً.

أما العقلاً؛ فكالْمَسِيحُ، وَعَزِيزُ، وَالْمَلَائِكَةُ، فَإِنْ قَوْمًا مِنْهُمْ عَبَدُوا هُؤُلَاءِ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ كَانُوا يَعْبُدُونَ الشَّمْسَ، وَالْقَمَرَ، وَالنَّجُومَ، وَيَعْتَقِدُونَ فِيهَا أَنَّهَا أَحْيَاءٌ عَاقِلَةٌ نَاطِقةٌ.

وأما الأشياء التي عُبَدَتْ، مع أنها ليست موصوفة بالحياة ولا بالعقل؛ فهي كالأصنام، ومراد الكفار من عبادتها أنها تقربهم إلى الله زلفى ، فالعالق لا يعبد الصنم ، والوثن من حيث إنه خشب أو حجر، وإنما يعبد لاعتقاده أن هذه الأصنام تماثيل الكواكب ، أو تماثيل الأرواح السماوية ، أو تماثيل الأنبياء والصالحين الذين سلقوها ومقصودهم من عبادتها توجيهه تلك القربات إلى تلك الأشياء التي جعلوا هذه التماثيل صوراً لها.

العقيدة خاص [١]

المصادر المنسوبة

وتقدير الجواب : أن هؤلاء الكفار إما أن يطمعوا بتلك الشفاعة من هذه الأصنام أو من أولئك العلماء والزهاد الذين جعلت هذه الأصنام تماثيل لها.

وال الأول باطل : لأن هذه الجمادات وهي الأصنام لا تملك شيئاً ولا تعقل شيئاً، فكيف يعقل صدق الشفاعة عنها؟.

والثاني باطل : لأن في يوم القيمة لا يملك أحد شيئاً ولا يقدر أحد على الشفاعة، فكان الانشغال بعبادته أولى من الانشغال بعبادة غيره" انتهى معناه من التفسير الكبير للفخر الرازي.

إذا تبين هذا، فالمشركون قد كانت عبادتهم لآلهتهم هذا الاتجاه والرجاء والدعاء لأجل الشفاعة معتقدين أنها المقربة لهم. فبسبب هذا الاعتقاد والاتجاه أرتفعت دماءهم واستبيحت أموالهم.

فهذا الاتجاه من أجل طلب شفاعة الأصنام ورجائها هو في واقع الأمر لا تصلح إلا لله عَزَّلَهُ، وهي تعتبر صرفاً لحقوقه تعالى وتعد من الشرك.

وقال العلامة شكري الآلوسي # في رده على هذه الشبهة: "وسمعت من بعض أغبياء الغلاة وجهلتهم من أهل الثياب المعلمة والأقفاء المورمة والألقاب المفخمة، قال: فإذا قال القائل مستغياً بأحد من الأموات: يا فلان افعل كذا وكذا. فالمقصود الطلب من الله أن يقضي حاجته، وبعد أن فرغ من هذا الهذيان وسكت، قلت له: وينبغي على قولك هذا أن يطلب من المخلوق كل شيء يطلب من الخالق، وينبغي ألا يعرض على عبد الأصنام وطلبهم ما يطلب من الله فإنهم أيضاً كانوا يعتقدون أن أصنامهم وسائل وشفاء و كانوا: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاتُنَا إِنَّ اللَّهَ لَا يُقْرِبُ إِلَيْهِ بَشَرٌ﴾ [يونس: ١٨]، ويقولون: ﴿نَعَبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾ [الزمر: ٣]، ونحو ذلك من الكلام، وإذا سئلوا: ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ [يونس: ٣١] ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُمُوهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [القمان: ٢٥]، وقد

العقيدة خاص [١]

سبق بيان أن كلام الغلاة هذا وكلام عبدة الأصنام من واد واحد، وقد تشابهت قلوبهم". انتهى كلامه.

وقد حرق العلامة ابن أبي العز الحنفي # : أن هذا النوع من الشفاعة والتوسل والتوصیط هو أصل شرك العرب وغيرهم من مشركي الهند والترك والبربر.

وهذه الشبهة حصلت نتيجة لتصور أهل الأهواء البدائي للواسطة حيث حارت أئمة كثيرون منهم في تصور إله لا تدركه الأبصار، فالتمسوا الخلاص من هذه الحيرة في حل وسط وشبهة فلسفية تمثل في وجود شخصية بشرية ينسبون إليها الألوهية، وتكون بربحاً بين الطرفين. فكانت هذه الحاجة لوجود إله قريب من الأبصار هي التي أججت النصارى إلى تصور مثل أعلى أطلقوا عليه اسمًا وكتّنه لحماً ودمًا وعبدته بوصفه إلهًا بشريًا.

وبالجملة : فقد أبطل الله تعالى هذه الشبهة وهي بعينها شبهة المشركين.

وذلك ببرهانين عقليين :

أولهما : أنه ليس في آلهم المشركين التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية؛ لأنها مخلوقة، فهي لا تخلق ولا تحجب لعابديها نفعاً ولا تدفع عنهم ضرًا، ولا تملك لهم حياة، ولا موتاً، ولا نشوراً، ولا تملك شيئاً من ملوك السموات والأرض، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْخَذُوا مِنْ دُونِهِءِ الْهَمَّةَ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلُقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نَشُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شُرُكٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَاهِرٍ ﴾ [٢٢]

العقيدة خاص [١]

لِمَنْ أَذْنَكَ لَهُ حَقًّا إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ
قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ [سبأ: ٢٢] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا
رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾٢٦﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
فِرَشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّمْرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَنْجَحُوا
لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْشَمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ
خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَلَمَّا يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال تعالى أيضًا: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَيُخْرِجُ
الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَنْقَنُونَ ﴾٢٧﴿ فَذَلِكُوا اللَّهُ رَبُّكُمُ الْعِزُّ فَمَا ذَا
بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّ تُصْرِفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢] .

خامساً: الرد على الصورة العامة لهذه الشبهة

قدمنا أن ملخص هذه الشبهة من هذه الصورة، يقول: إن الإنسان العادي غير مهيأ لمناجاة ربها والطلب منه؛ لأنّه موقر بالسيئات وملطخ بالمعاصي، فلا بد أن يتوجه إلى من يرى أنه أهل لقضاء حاجاته، وتغريج كرباته، لأن هذا الغير -وليأ- كان أو نبياً - نظيف الظاهر مصقول الباطن ، وهو الذي يصلح لمباشرة المناجاة ودعاء الله تعالى والطلب منه.

وللرد على هذه الصورة وهذه الشبهة، ننقل كلاماً نفيساً للشيخ عبد اللطيف آل الشيخ # حيث يقول: "فالقول بمحوا الاستغاثة بغير الله ودعاء الأنبياء والصالحين وجعلهم وسائل بين العبد وبين الله والتقرب إليهم بالنذر والنحر والتعظيم بالحلف وما أشبهه مناقضة ومنافاة لهذه الحكمة التي هي المقصودة بخلق السموات والأرض وإنزال الكتب وإرسال الرسل وفتح باب الشرك في المحبة والخضوع والتعظيم، ومشافة ظاهرة لله ورسوله ولكل نبي كريم.

العقيدة خاص [١]

والنفوس مجبرة على صرف ذلك المذكور من العبادات إلى من هو أهل لكشف الشدائـد وسد الفاقـات ، وقضاء الحاجـات من الأمـور العـامة التي لا يـقدر عـلـيـها إـلا فـاطـرـ الأرض والسمـوات إـلى أـنـ قال : - الـوجهـ الثـانـيـ : أـنـ هـذـاـ بـعـينـهـ قـولـ عـبـادـ الأـنبـيـاءـ وـالـصـالـحـينـ مـنـ عـهـدـ قـومـ نـوـحـ إـلـىـ أـنـ بـعـثـ إـلـيـهـمـ خـاتـمـ النـبـيـينـ ، وـلـمـ يـزـيدـواـ عـلـىـ مـاـ ذـكـرـهـ هـؤـلـاءـ الغـلـاةـ فـيـمـاـ اـنـتـحـلـوـ مـنـ الشـرـكـ الـوـحـيـمـ ، وـالـقـوـلـ الـذـمـيمـ كـمـ حـكـيـ اللـهـ عـنـهـمـ ذـلـكـ فـيـ كـتـابـهـ الـكـرـيمـ ، قـالـ تـعـالـىـ : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءُ شُفَعَّوْنَاعِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨] ، وـقـالـ تـعـالـىـ : ﴿ وَالَّذِينَ أَخْدُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَنْ عَبَدُوهُمْ إِلَّا لِيَقْرِبُوْنَإِلَى اللَّهِ رُّلْفَعَ ﴾ [الزمر: ٢٣] . فـهـذـهـ النـصـوـصـ الـمـحـكـمـةـ صـرـيـحةـ فـيـ أـنـ الـمـشـرـكـيـنـ لـمـ يـقـصـدـوـاـ إـلـاـ الـجـاهـ وـالـشـفـاعـةـ وـالـتـوـسـلـ بـعـنـىـ جـعـلـهـمـ وـسـائـطـ تـقـرـيـبـهـمـ إـلـىـ اللـهـ وـتـقـضـيـ حـوـائـجـهـمـ مـنـهـ تـعـالـىـ ، وـقـدـ أـنـكـرـ الـقـرـآنـ هـذـاـ أـشـدـ الـإـنـكـارـ وـأـخـبـرـ أـنـ أـهـلـهـ هـمـ أـصـحـابـ النـارـ وـأـنـ اللـهـ تـعـالـىـ حـرـمـ عـلـيـهـمـ الـجـنـةـ دـارـ أـوـلـيـائـهـ الـأـبـرـارـ وـجـمـهـورـ هـؤـلـاءـ الـمـشـرـكـيـنـ لـمـ يـدـعـواـ الـاسـتـقـلالـ وـلـاـ الـشـرـكـةـ فـيـ تـوـحـيدـ الـرـبـوبـيـةـ بلـ أـقـرـواـ وـاعـتـرـفـواـ بـأـنـ ذـلـكـ اللـهـ وـحـدـهـ كـمـ حـكـيـ سـبـحـانـهـ إـقـرـارـهـمـ وـاعـتـرـافـهـمـ بـذـلـكـ فـيـ غـيرـ مـوـضـعـ مـنـ كـتـابـهـ ، فـحـاـصـلـ مـاـ ذـكـرـ مـنـ جـوـازـ الـاستـغـاثـةـ وـالـدـعـاءـ وـالـتـعـظـيمـ بـالـنـذـرـ وـالـحـلـفـ مـعـ نـفـيـ الـاسـتـقـلالـ وـأـنـ اللـهـ يـفـعـلـ لـأـجـلـهـ هـوـ عـيـنـ دـعـوـيـ الـمـشـرـكـيـنـ وـتـعـلـيلـهـمـ وـشـبـهـهـمـ ، لـمـ يـزـيدـواـ عـلـيـهـ حـرـفـاـ وـاحـدـاـ ، إـلـاـ أـنـهـمـ قـالـواـ : قـربـانـ وـشـفـعـاءـ ، وـالـغـلـاةـ سـمـواـ ذـلـكـ تـوـسـلـاـ فـالـعـلـةـ وـاحـدـةـ ، وـالـحـقـيقـةـ مـتـحـدـةـ .

ثم ذـكـرـ الشـيـخـ الـوـجـهـ الثـالـثـ الـذـيـ أـثـبـتـ فـيـهـ أـنـ اللـهـ يـعـلـمـهـ أـمـرـ عـبـادـهـ بـإـفـرـادـهـ بـالـدـعـاءـ وـالـاسـتـغـاثـةـ وـإـنـزـالـ الـحـاجـاتـ وـجـمـيـعـ الـعـبـادـاتـ دـوـنـ غـيـرـهـ كـائـنـاـ مـنـ كـانـ .

وـاسـتـدـلـ بـآـيـاتـ وـأـحـادـيـثـ كـثـيرـةـ تـؤـيـدـ مـاـ ذـكـرـهـ ، ثـمـ قـالـ : " وـعـلـىـ القـوـلـ بـجـعـلـ الـوـسـائـطـ بـيـنـ الـعـبـادـ وـبـيـنـ اللـهـ تـقـطـعـ أـصـوـلـ هـذـاـ الـأـصـلـ الـعـظـيمـ الـذـيـ هـوـ قـطـبـ رـحـىـ الـإـيمـانـ ، وـيـنـهـدـمـ أـسـاسـهـ الـذـيـ رـكـبـ عـلـيـهـ الـبـنـيـانـ ، فـأـيـ فـرـجـ وـأـيـ نـعـيمـ وـأـيـ

العقيدة خاص [١]

فآفة سُدت وأي ضرورة دُفعت ، وأي سعادة حُصّلت ، وأي أنس واطمئنان إذا كان التوجه والدعاء والاستغاثة والذبح والنذر لغير الملك الحنان المنان ؟ ! فصلاح السموات والأرض بأن يكون الله سبحانه هو إلهها دون ما سواه ، ومستغاثتها الذي تفزع إليه وتلتجأ إليه في مطالبها وحاجاتها وأن الشرع الذي جاء به محمد ﷺ والسنة التي سنها في قبور الأنبياء والصالحين وعامة المؤمنين تنافي هذا القول الشنيع ، ومن شم رائحة العلم وعرف شيئاً مما جاءت به الرسل عرف أن هذا الذي قاله الغلاة من جنس عبادة الأصنام والأوثان منافق لما دلت عليه السنة والقرآن ، ولا يسترب في ذلك عاقل من نوع الإنسان". انتهى كلامه #.

ويحسن بنا أن نختتم هذه المحاضرة بأبيات رائعة لأحد علماء السلف المتأخرین تبين فساد هذه الشبهة ، يقول الشيخ حافظ الحكمي # :

وإن دعا المقبور نفسه فقد ❖ أشرك بالله العظيم وجحد
لن يقبل الله تعالى منه ❖ صرفاً وعدلاً فيغفو عنه
إذ كل ذنب موشك الغفران ❖ إلا إنخاذ الند للرحمٰن
وبهذا يتم الرد على الشبهة ، والله أعلم. "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا
أعلم وأستغفر لك لما لا أعلم".

العقيدة خاص [١]

المصادر العاشر

الرد على الشبهتين الثالثة والرابعة في تعلق الغلة بالشرك

عناصر الدرس

- | | |
|-----|--|
| ٢٠٥ | العنصر الأول : استعراض هاتين الشبهتين |
| ٢٠٧ | العنصر الثاني : تعريف التوسل في اللغة والشرع |
| ٢٠٩ | العنصر الثالث : امداد بالتوكيل المشروع والممنوع مع بيان
الواجب نحو الأولياء والصالحين |
| ٢٢٠ | العنصر الرابع : تعريف الشفاعة في اللغة والشرع |
| ٢٢٢ | العنصر الخامس : أنواع الشفاعة المثبتة والشفاعة المنافية |

العقيدة خاص [١]

استعراض هاتين الشهيتين

ما زلنا أمام المعاذير الواهية والتبريرات الخاطئة لما يقع فيه أهل الأهواء من
المخالفات الشرعية والمارسات الشركية ومن ذلك :

أ- (الشبهة الثالثة) :

يقول الغلاة :

نحن إذا قصدنا الأولياء والصالحين بالدعاء ، والرجاء ، والاستغاثة ، والاستعانة ،
والذبح ، والنذر ، والخضوع ، والختنوع ، والتذلل ، والاضطرار ، والانكسار ،
والطواف حول أضرحتهم ، والتمسح بها والعكوف حولها والصلة عندها ،
ونحو ذلك من أصناف العبادات ، وأنواع القربات لا نكون مشركين بتلك
المارسات ، ولا يعد فعلنا شركاً ؛ لأننا وإن قصدناهم بذلك ، وطلبنا منهم تلك
الطلبات ، فإنما نطلب من الله تعالى بشفاعتهم ، وواسطتهم ومنزلتهم ، وقربهم
من الله العلي الكبير ، وهذا هو التوسل بهم وتشفيعهم وتوصيطهم .

ثم قالوا : وكل ما في الأمر أن المتتوسل بهم يرى نفسه ملطخاً بقاذورات
المعاصي ، وقد أبعدته الغفلات عنه تعالى أيماءً بإبعاد ، فصار جديراً بالحرمان من
تحقيق مطالبه وقضاء حاجاته إن دعا الله مباشرة بسبب هذه الذنوب ، فلأجل هذا
يتقدم المتتوسل إليه تعالى بأحبابه الذين لا يعرفون إلا طاعته مبتهلاً إليه بجاههم
عنه ، وحرمتهم لديه أن يقضي له حاجته لأجل هؤلاء الأحباب الذين يدعون

العقيدة خاص [١]

الله تعالى بهم أن لا يردهم خائبين. فإذا كان هذا هو السر في التوسل بهم فلا أثر -إذن- فيه لحياة المتosل بهم أو موتهم؛ فهم أحباب الله تعالى على أي حال وهم ينفعون المتجئ إليهم وطالب المدد منهم؛ لأنهم هم أبواب الله تعالى، وبواسطتهم تحصل الخيرات، وبشفاعتهم تستطر الرحمات، وعن طريقهم يتقرب المقربون، ويدخل الدالفون، ويسترد المستردون.

هذه هي فلسفتهم في عرض هذه الشبهة.

ب- (الشبهة الرابعة) :

يقول الغلاة:

إن قصد الصالحين والأولياء بالدعاء، والرجاء، والاستغاثة، والاستعانة، والذبح، والنذر، والطواف، حول أضرحتهم وقبورهم، ونحو ذلك لا يعد شرّاً؛ لأن قاصدتهم بذلك إنما يطلبون ما أعطاهم الله تعالى وقد أعطاهم الشفاعة والجاه والقرب؛ ولا سيما رسول الله ﷺ، فكيف تحكمون على من أتى شيئاً من ذلك بالشرك؟. والمفروض: أن تحكموا بالشرك على من قصد الأصنام والأوثان بذلك، وأنتم في حكمكم هذا علينا بالشرك لفعلنا هذا تجعلون الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- وكذلك الأولياء والصالحين مثل الأصنام والأوثان. وهم أحباب الله وأصفياؤه والمقربون لديه.

هذه فلسفتهم في عرض هذه الشبهة، وهي كما ترى شبهة واهية كسابقاتها من الشبهات -والحمد لله أولاً وآخراً.

العقيدة خاص [١]

المصادر الاعشر

تعريف التوسل في اللغة والشرع

١ - الرد على شبّهات في الشرك : (الشبّهة الثالثة) :

لما كان المتّشّبون بهذه الشّبّهة - التي سبق استعراضها - يدافعون عن الأفعال والأقوال الشركية ، والممارسات المرفوضة شرعاً التي يقعون فيها - لما كانوا يدافعون عن ذلك بدعوى التوسل بالأولياء والصالحين وجميع أحبّاب الله المقربين - ناسب أن نذكر تعريفاً واضحاً للتوسل في اللغة والشرع ، حتى يتبيّن ما يصح التوسل به وما لا يصح ، فنقول وبالله التوفيق :

أ- التوسل في اللغة :

التوسل : مصدر لتوسله تعالى : توسلت إلى فلانٍ بـكذا ، أي : تقرّبت إليه بذلك الشيء ، وتوسلت إلى الله وسيلة : أي : عملت عملاً أتقرّب به إليه.

فمعناه التقرّب ، ويأتي - أيضاً - بمعنى : الرغبة والطلب ، يقال : وسل فهو واسل ، أي : رغب فهو راغب إلى الله تعالى ، ومنه قول الشاعر :

أرى الناس لا يدرُون ما قدر أمرهم ❖ بل كل ذي لب إلى الله واسل
ويقال أيضاً : وسلَّ فلان إلى ربه وسيلةً ، بمعنى أنه عمل عملاً تقرب به إليه ،
ومنه قول عترة بن شداد - الشاعر الجاهلي - :

إن الرجال هم إليك وسيلة ❖ إن يأخذوك تَكْلِي وَتَخْضُبِي

العقيدة خاص [١]

يعني الوسيلة: القرابة، وفيها معنى الرغبة، وال الحاجة، قال الراغب الأصفهاني **#**: "الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة لتضمنها لمعنى الرغبة". انتهى كلامه.

قال الشاعر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصنا ❖ وعاد التصافي بيننا والوسائل
وتطلق الوسيلة على المنزلة العليّة عند الملك، ومنه الحديث: ((اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ
الدُّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِي مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضْيَلَةَ ...))

الحديث رواه الإمام البخاري **#** ويكن رد معنى الوسيلة هنا أيضاً إلى القرابة.

وجمع التوسل: توسّلات، وتجتمع الوسيلة على وزن فعائل وسائل، وعلى فعل بضمتين: وُسْلُ. وعلى فعال وسیل. فتحصل من هذا أن التوسل يطلق في اللغة على المعاني التالية:

- ١ - القرابة. ٢ - الحاجة. ٣ - الرغبة. ٤ - المنزلة.

ب- التوسل في الشرع :

أما التوسل: فهو مأخذ من المعنى اللغوي، فهو التقرب إلى الله تعالى بالإيمان بنبيه ﷺ وبطاعته أو بدعائه، وشفاعته ﷺ ومعنى ذلك - كما يقول الشيخ محمد نسيب الرفاعي - : التوسل: "التقرب إلى الله بطاعته وعبادته واتباع أنبيائه ورسله، وبكل عمل يحبه الله تعالى ويرضاه". انتهى كلامه.

فالتوسل المشروع الذي شرعه الله تعالى على لسان نبيه ﷺ: إنما هو التقرب إلى الله تعالى بما شرعه من علم أو عمل قلبي أو بدني أو ترك، وكف عن عمل

العقيدة خاص [١]

المصادر العاشر

محظورٍ، فيدخل فيه جميع الطاعات، وترك جميع المعاصي؛ امثلاً لأمر الشارع -جل وعلا.

يقول الشيخ محمد بن عثيمين # "التوسل المشروع: عبادة يراد بها التوصل إلى رضوان الله والجنة. ولهذا نقول: إن جميع العبادات وسيلة إلى النجاة من النار، ودخول الجنة". انتهى كلامه.

فالتوسل الصحيح: هو الطلب من الله تعالى بواسطة مشرعة كقولك مثلاً: اللهم بحبك وحبنا لنبيك ﷺ وحبنا لأوليائك فرج كربنا واغسل حوبنا، واقض حوائجنا، ويسر لنا أمراً.

المراد بالتوسل المشروع والممنوع مع بيان الواجب نحو الأولياء والصالحين

قسم المحققون من العلماء التوسل إلى قسمين:

توسل مشروع: وهو ما كان بوسيلة جاءت بها الشريعة.

وتسل منوع: وهو التوسل إلى الله تعالى بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة صحيحة.

أولاً: التوسل المشروع:

فالمراد به كل توسل جاءت الشريعة به، وهو الذي سبق تعريفه.

وهذا النوع من التوسل أنواع، وإن اختلف العلماء في تعدادها، إلا أنها ترجع عند التأمل إلى ثلاثة أقسام:

العقيدة خاص [١]

- ١ - التوسل بأسماء الله تعالى الحسنى ، وصفاته العليا.
- ٢ - التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه.
- ٣ - التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح.

فانوع الأول : التوسل بأسماء الله وصفاته :

مثاله : قول المسلم في دعاته : "اللهم بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أسألك أن تغفر لي وترحمني". ومثل قوله أيضاً : "يا غفار اغفر لي، ويَا رَزَاقَ ارْزُقْنِي، ويَا نَصِيرَ انصُرْنِي، ويَا حَفِيظَ احْفَظْنِي، والدليل على مشروعيه هذا النوع من التوسل ، قول الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحَسَنَةُ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته يأتي على وجهين :

الوجه الأول : التوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته على سبيل العموم :

مثال ذلك : الحديث الصحيح ، عن ابن مسعود < : أن النبي ﷺ كان يقول في دعاء الهم والغم : ((اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أُمِّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيتَ بِهِ نَفْسِكَ أَوْ عَلِمْتُهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتُهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْتَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَتُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي وَدَهَابَ هَمِّي)). رواه الإمام أحمد ، والحاكم في (المستدرك) ، وصححه ووافقه الشيخ الألباني.

فالشاهد من الحديث قوله : ((أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك)).

العقيدة خاص [١]

وأما الوجه الثاني: فهو التوسل إلى الله باسم خاص أو صفة خاصة: مثال ذلك:

(يا غفار اغفر لي ، يا رحمن ارحمني ، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنِي) ومثاله أيضاً ما جاء في حديث أبي بكر < أنه قال لرسول الله ﷺ علّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي ، قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبُ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)). رواه البخاري ومسلم.

ومن التوسل بالأسماء والصفات ، قول الشاعر مستغياً بها :

بأسمائك الحسني دعوتك سيدى ❖ وجئت بها يا خالقى متوسلا
ومبتهلا ربي إليك بفضلها ❖ وأرجو بها كل الأمور مسهلا
فقابل إلهي بالرضا منك واخفنى صروف زمانى مكثرا ومقللا

وأما النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بدعاة الرجل الصالح الذي ترجى إجابة

دعائه :

قبل أن نشرع في بيان هذا النوع من التوسل المشروع يحسن بنا أن نعرف الدعاء في الشرع ، فنقول :

الدعاء شرعاً هو: الرغبة إلى الله تعالى والتوجه إليه في تحقيق المطلوب ، أو دفع المكره ، والابتهاج إليه في ذلك إما بالسؤال أو بالخضوع والتذلل والرجاء والخوف والطمع. والدعاء من أهم أنواع العبادة، بل هو العبادة نفسها ، كما ثبت في حديث النعمان بن بشير < أن النبي ﷺ قال : ((الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)).

العقيدة خاص [١]

وهو حديث صحيح، وفي رواية فيها، فقال: "الدُّعَاءُ مُنْهُ الْعِبَادَةُ". ولأهمية الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية فقد أمر الله تعالى به ونذر عباده إليه، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ أَذْعُونِي أَسْتَحِبَ لِكُلِّ إِنْذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ عِبَادَتِي سَيَدُّخْلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وما يبين صورة هذا النوع من التوسل الصحيح، وهو التوسل إلى الله تعالى بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن بشرط أن يكون الداعي حيًّا، حاضرًا. فقد صحت هذه الصورة من فعل الصحابة } حيث كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعوه لهم بداعٍ عام وداعٍ خاص، ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك < :

((أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ بَابِ كَانِ وَجَاهَ الْمُنْبِرَ وَرَسُولُ اللَّهِ قَائِمٌ يَخْطُبُ؛ فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ قَائِمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتْ الْمَوَاشِي، وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُغْيِّثَا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ يَدِيهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، قَالَ أَنَسُ: وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ وَلَا قَزْعَةً وَلَا شَيْئًا، وَمَا يَبْيَنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَ السَّمَاءَ، اتَّشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتَّاً ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ الْمُقْبَلَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتْ الْأُمَوَالُ وَانْقَطَعَتْ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكُهَا قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ يَدِيهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ حَوَّالْنَا، وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْأَكَامِ وَالْجِبَالِ وَالْأَجَامِ وَالظَّرَابِ وَالْأَوْدَيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، قَالَ: فَانْقَطَعَتْ وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ))

والظراب: (جمع طرب، وهو الجبل الصغير) رواه البخاري ومسلم

العقيدة خاص [١]

المصادر العاشر

وقد بين الحافظ ابن حجر # : "أن من فوائد هذا الحديث سؤال الدعاء من أهل الخير، ومن يرجى منهم القبول، وإجابتهم لذلك". انتهى.

وتحت هذا النوع من التوسل بدعاء الحي الحاضر صورتان:

إحداهما: أن يطلب المرء من الحي الحاضر الدعاء فيستجيب له، ويدعوه، دون أن يدعو الطالب المتتوسل، ومثال هذه الصورة ما حصل من النبي ﷺ من الدعاء للأعرابي في حديث الاستسقاء السابق.

وثانيةهما: أن يطلب الدعاء من حي حاضر، ثم يدعو هو بنفسه أن يتقبل الله دعاء المتتوسل به، أو يؤمن على دعائه، وفي هذه الصورة يوجد دعاءان:

أحدهما: من الحي الحاضر المطلوب منه الدعاء، والثاني : من المتتوسل نفسه.

ويصح في هذا النوع من التوسل بالدعاء أن يتلو الأفضل بداعه المفضول. فقد طلب النبي ﷺ من عمر بن الخطاب > أن يدعوه لما أراد الخروج لأداء العمرة، وطلب عمر > ومعه السابقون الأولون من العباس بن عبد المطلب الاستسقاء، ومثل ذلك فعل معاوية > مع يزيد بن الأسود الجراشى #.

وأما النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح، فأمر مشروع ووسيلة صحيحة:

لأن الطريق الوحيدة الموصولة إلى رضا الله تعالى ونيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة هي العمل الصالح المبني على وفق ما جاء به النبي ﷺ بإجماع العلماء؛ لأنه لا وسيلة إلى الله تعالى إلا باتباع رسوله ﷺ وهذا هو المراد بالوسيلة في قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا لَهُ وَآتَيْتَهُ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] ، فكل عمل حسن ومشروع قام به المسلم ينفعه التوسل به وهو وسيلة

العقيدة خاص [١]

صحيحة بينه وبين ربه تبارك وتعالى سواء كان العمل الصالح من أعمال القلب أم من أعمال الجوارح.

وإذا كانت الأعمال الصالحة متنوعة فإنها ترجع في الأساس إلى ثلاثة أصناف:

منها ما يختص بالقلب.

ومنها ما يختص بالبدن.

ومنها ما يتشارك فيه البدن والقلب.

والدليل على التوسل بالعمل الصالح قوله الله تعالى: ﴿أَلَّذِينَ يَمْلُؤُنَ رَبَّكَ إِنَّهَا أَمْثَالًا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِتَاعَدَابَ النَّارِ﴾ آل عمران: ١٦، فهو لاء الراسخون في العلم توسلوا إلى ربهم بآيمانهم لمغفرة ذنباتهم، ووقايتهم عذاب النار، وهذه من الوسائل التي يحبها الله تعالى. وقال الله تعالى: ﴿جَيْعَانًا إِلَيْهِ يَصْدُدُ الْكَلْمُ الْطَّيْبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يُرْفَعُ عَلَيْهِ﴾ [فاطر: ١٠]، فالعمل الصالح يرفع مع كلام العبد الطيب فإذا لم يكن للمرء عمل صالح لم يرفع له قول إلى الله تعالى؛ لأن الأعمال الصالحة هي التي ترفع إلى الله تعالى ويرفع الله تعالى صاحبها ويعزه ويقربه.

وما يوضح أن التوسل بالعمل الصالح الذي قام به العبد من أنجع أنواع التوسل، وأنفعها للمتوسل: قصة أصحاب الغار التي رواها البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر { قال: ((بَيْنَمَا تَلَائِةٌ نَفَرُّ يَمْشُونَ أَخْدَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوَّلُهُ غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَأَنْهَطَتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةً مِنْ الْجَبَلِ فَأَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا؛ لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ، قَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالدَّانِ شِيشَانِ كَبِيرَانِ، وَلَيَ صَيْبَيْهُ صِيَارَ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالَّدَيَّ

العقيدة خاص [١]

أُسْقِيَهُمَا قَبْلَ بَنِيٍّ، وَإِنِّي اسْتَأْخِرُ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا نَامًا، فَحَلَّبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُؤُسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوْقِظَهُمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِي الصَّبِيَّةَ وَالصَّبِيَّةَ يَضْنَاغُونَ عِنْدَ قَدْمَيَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا فَرْجَةً تَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَّاجَ اللَّهُ فَرَأَوْا السَّمَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنَّهَا كَائِنَ لِي بِشْتُ عَمَّ أَحَبُّهُمَا كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَّبْتُ مِنْهَا فَأَبَتْ عَلَيَّ حَتَّى أَتَيْتُهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَبَغَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ : يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحْ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَرْجَةً فَفَرَّاجَ، وَقَالَ الْثَالِثُ : اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا يَفْرَقُ أَرْزُ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ، قَالَ : أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَغَبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي، فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ، فَقُلْتُ : ادْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرَعَيَاهَا فَخُذْ، فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئْ بِكَ فَخُذْ فَأَخَذَهُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهِكَ فَافْرُجْ مَا بَقِيَ فَفَرَّاجَ اللَّهُ، وَخَرَجُوا يَمِشُونَ)).

الفرق : بفتح الراء وإسكانها : إناء يسع ثلاثة أصلع.

يتضاغون : أي : ي يكون ويصبحون.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية # : "فهؤلاء الثلاثة سألوا الله بأعمال البر. فال الأول أخبر عن بره بوالديه برأً عاليًا تاماً أكمل البر وأحسنه، والآخر: أخبر عن عفته التامة الكاملة وعن همته العالية، والآخر: أخبر عن أداء الأمانة الأكمل للأئم". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

وقال الحسن البصري # : "إن العبد إذا قال قوله حسناً، وعمل عملاً صالحًا رفع الله تعالى قوله بعمله". انتهى كلامه.

وقال وهب بن منبه # : "مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر". انتهى.

وقال الربيع بن أنس # : "في الحكمة إن العمل الصالح يرفع ربه إذا عشر". انتهى.

ثانياً: التوسل الممنوع:

المراد بالتوكيل الممنوع: وهو التوكيل إلى الله تعالى بوسيلة لا تثمر، أي: بوسيلة لم يثبت في الشرع أنها وسيلة.

وهو نوعان:

النوع الأول: أن يكون بوسيلة سكت عنها الشرع، وهذا من التوكيل المحرم، بل إنه قد يجر إلى الشرك.

ومثاله: أن يتولى إنسان بمحاجة شخص ذي جاه عند الله تعالى؛ كالتوسل بمحاجة الأنبياء - عليهم السلام - لأن إثبات لسبب لم يعتبره الشرع، ولأن جاه ذي المحاجة ليس له أثر في قبول الدعاء، لأنه لا يتعلّق بالداعي، وإنما هو من شأن ذي المحاجة وحده. فالتوسل بمحاجة الشخص توسل بداعي من وجهه، وشركى من وجه آخر، فكونه من البدع؛ لأن لم يكن معروفاً عند النبي ﷺ وأصحابه } وكونه من الشرك؛ لأن كل من اعتقاد في أمر من الأمور أنه سبب في جلب الخير، ودفع الشر فقد أتى نوعاً من أنواع الشرك، من أجل ذلك فإنه يحظر التوكيل بذوات الأولياء والصالحين إلا إذا كان قول الشخص: "أسألك بنبيك محمد ﷺ" على

العقيدة خاص [١]

المصادر العاشر

تقدير أن هذا الشخص يتسلل بالإيمان بالرسول ومحبته؛ فإن ذلك عمل صالح ووسيلة شرعية.

النوع الثاني : هو توسل المشركين بأصنامهم وأوثانهم، وتوسل أهل الأهواء الجاهلين بالأولياء والصالحين.

يقول الشيخ الشقيري في كتابه "القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي": "فالتوسل الممنوع هو الواقع من بعض العوام بسؤاله تعالى بأشخاص الأنبياء والأولياء والصالحين ما لا يعد قربة ولا وسيلة لهم إلى الله تعالى؛ لأنه لا عمل لهم فيه، فإنه بدع من القول وزور، وضلال من اللعين وغرور وهو قطعاً غير مشروع بل هو من عمل المشركين الذي سرى إلى بعض المسلمين من أهل الكتاب كما سرى إليهم من الوثنين، وذلك كقولهم: أسألك بحق النبي عليك، بحق قبره المعظم أو قبته عليك، أو بجاهه أو بركته عليك، يا نبي الله سقتك على ربك". انتهى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية **#**: "ولفظ التوسل يراد به ثلاثة أمور: التوسل بالإيمان بالنبي ﷺ وهذا أصل الإيمان والإسلام. والثاني: دعاؤه وشفاعته، وهذا النوع أيضاً ينفع المتosل الذي يدعوه له النبي ﷺ ويشفع فيه. والثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذات النبي والسؤال بذاته، وهذا النوع من التوسل الممنوع هو المشهور عند كثير من المتأخرین، وقد يُوسعون دائرته؛ فيدخلون فيها غير النبي ﷺ من سائر إخوانه من المرسلين والصالحين، وكل من يعتقد فيه الولاية والصلاح، وهذا النوع لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء، ونحوه لا في حياة النبي ﷺ ولا بعد مماته لا عند قبره ولا قبر غيره، ولا يعرف في شيء من الأدعية المشهورة المروية عنهم". انتهى كلامه **#**.

العقيدة خاص [١]

وعلى منع هذا النوع من التوسل أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالرياض ، حيث ورد إليها تساؤل من بعض الأشخاص : هل يجوز التوسل بجاه بعض الصحابة } أثناء الدعاء ؟ فأجبت اللجنة قائلة :

"الدعاء بجاه رسول الله أو بجاه فلان من الصحابة وغيرهم أو بحياته لا يجوز؛ لأن العبادات توقيقية، ولم يشرع الله ذلك، وإنما شرع لعباده التوسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته وبتوحيده والإيمان به، وبالأعمال الصالحة ، وليس جاه فلان وفلان وحياته من ذلك ، فوجب على المكلفين الاقتصار على ما شرع الله سبحانه ، وبذلك يعلم أن التوسل بجاه فلان وحياته وحقه من البدع المحدثة في الدين ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أُمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)) .. والله أعلم . وبالله التوفيق".

وما رسمخ هذه العقيدة الفاسدة عند الناس أبيات يحفظها الناس ، وهي نماذج لهذه التوصلات البدعية ، والعبارات الشريكة ؛ كقول بعضهم عنه نفسه :

❖ نحن الغياث ملن ضاقت مذاهبه ❖
❖ نحن الذين لهذا الكون ذو مدد ❖ يناله من رأنا أو نأى فعمي
وقال آخر :

❖ أنا مليدي جامع لشتاته ❖ إذا ما سطا جور الزمان بنكبة
❖ وإن كنت في ضيق وكرب ووحشة ❖ فناد بيأ زورق آت بسرعة
وقال آخر وهو يخاطب الشيخ عبد القادر الجيلاني # :

❖ أيدركني ضيم وأنت ذخيرتي ❖ وأظلم في الدنيا وأنت نصيري؟

العقيدة خاص [١]

المصادر العاشر

وعار على راعي الحمى وهو في الحمى ❖ إذا صاع في البداء عقال بغير!

الواجب نحو الأولياء والصالحين :

وبعد أن بينما أن التوسل بهؤلاء الأولياء والصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته لا يجوز، وأنه من القسم الثاني من التوسل الممنوع؛ لأن الله تعالى لم يجعل بينه وبين خلقه حجاباً يتوضطون للناس ويشفعون لهم عند الله تعالى حال الدعاء والتضرع والرجاء.

نقول: إن الواجب نحو الأولياء والصالحين هو محبتهم وزيارة قبورهم الزيارة الشرعية التي تذكر بالآخرة، والدعاء لهم، وعدم التمسح بقبورهم أو استلامها، أو العكوف عندها أو التذلل والخضوع عندها، وندائهم والتشفع والتوكيل بهم في الدعاء، وجعلهم واسطة بينهم وبين الله تعالى، والأشد من ذلك حرمة، وهو من أنواع الشرك الذي حرم الله تعالى أن يتوجه إليهم بالدعاء والاستغاثة والاستعانة والرجاء حال دعائهما وتضرعهما ورجائهما؛ طالباً منهم المدد والفيوضات واستمطار الرحمات؛ فهذه الأشياء المحرمة والممارسات من الداعين للأولياء والصالحين لا يرضى بها الوليُّ الولاية الصحيحة الشرعية ولا يقبلها؛ لأن الأولياء والصالحين عباد الله تعالى، عرفوه حق المعرفة ولا يقبلون الشرك، ولو نطق الولي المقتول تحت الشري، ورأى ما يفعله هؤلاء الذين يقفون عند قبره ويدعونه ويستغيثون به لقال لهم بلسان الحال:

ومن عجب أنى لغيرك شافع ❖ إليك وبي فقر إلى ألف شافع
وبهذا القدر نكتفي في الرد على هذه الشبهة الواهية مثل الشبهات السابقة.

تعريف الشفاعة في اللغة والشرع

٢ - الرد على شبّهات في الشرك : (الشبّهة الرابعة) :

لقد تقدم سالفاً استعراض هذه الشبّهة الواردة من الغلاة المدافعين عن الشرك وهي أن قصد الصالحين والأولياء بالدعاء ، والرجاء ، والاستغاثة ، والاستعاة ، والذبح ، والنذر ، والطواف ، حول أضرحتهم وقبورهم ، ونحو ذلك لا يعد شركاً ؛ لأن قاصدهم بذلك إما يطلبون مما أعطاهم الله تعالى ، وقد أعطاهم الشفاعة والجاه والقرب ولاسيما رسول الله ﷺ.

ولما كان المدافعون عن الشرك بهذه الشبّهة يدعون أن توجههم إلى الأولياء والصالحين بقصد الدعاء والاستغاثة والرجاء والاستعاة بسبب وجاهتهم ، ومنزلتهم والشفاعة التي أعطيت لهم ، وخصوصاً ما ثبت من شفاعة نبينا محمد ﷺ.

لما كان الأمر كذلك يستحسن أن نقدم تعريفاً للشفاعة في اللغة والشرع فنقول ، وبإذن الله التوفيق :

أ) الشفاعة في اللغة :

الشفاعة في اللغة : قال ابن فارس : "الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين . ومن ذلك الشفع خلاف الوتر". انتهى .

والشفع : الزيادة ، فالشفاعة : الوسيلة والطلب ، وشفع الوتر من العدد : صيره زوجاً ، ويقال أيضاً : ناقة شفوع للتي يجمع منها محلبان في حلبة واحدة .

العقيدة خاص [١]

المصادر العاشر

وشاة شافع للتي معها ولدها، ويقال: شفع لي يشفع شفاعة، وتشفع بمعنى طلب، ومعنى استشفعه: أي: طلب منه الشفاعة، وقال له: كن لي شفيعاً، والشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره.

والشافع: الطالب لغيره فيشفع به إلى المطلوب، قال الأعشى:

واستشفعت من سراة الحي ذا شرف ♦ فقد عصاها أبوها والذي شفعا
ويقال: تشفعت بفلانٍ إلى فلانٍ فشفععني فيه، واسم الطالب: شفيع واشفع،
والجمع: شفاء. قال الشاعر:

مضى زمن والناس يستشفعون بي ♦ فهل لي إلى ليلي الغدأة شفيع؟
والمشفعُ: الذي يقبل الشفاعة، والمشفع الذي تقبل شفاعته.

ويتحصل ما تقدم أن الشفاعة في اللغة هي: الانضمام إلى آخر من أجل نصرته، وأن الشفاعة تدل على ضم شيئاً، ومقارنتهما، وأن اشتقاقةها من الشفع الذي هو ضد الورر، وأنها تنقسم إلى عناصر ثلاثة:

١ - شافع: وهو صاحب الشفاعة التي يطلبها لغيره، ويسمى شفيعاً أيضاً، فإن قبلت شفاعته فهو مشفع بفتح الفاء.

٢ - مشفع له: وهو صاحب الطلب، وهو المنتفع بالشفاعة.

٣ - مشفع إليه: وهو من تطلب منه الشفاعة، فإن قبلها فهو مشفع بالكسر.

ب) الشفاعة في الاصطلاح: عرف ابن الأثير # الشفاعة بقوله: "هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم". انتهى. وبمثل ذلك عرف الشريف الجرجاني، حيث قال: "هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع بالجناية في حقه". انتهى.

العقيدة خاص [١]

ونقل السفاريني # في تعريفها أنها: "سؤال الخير للغير". انتهى.

وبتأمل يسير لهذه التعريفات نجد أن التعريفين الأولين حصرَا الشفاعة في جلب المنافع، وأن التعريف الثالث حصرها في درء المفاسد، وكل واحد منها ليس جامعاً، بل الحقيقة أن طلب الشفاعة لا يقتصر على أحد الأمرين، بل يتعلق بأحدهما تارة، وبالآخر تارة أخرى.

وقيل في تعريف الشفاعة هي: "طلب الرسول ﷺ أو غيره من الله في الدار الآخرة حصول منفعة لأحد منخلق". انتهى.

والتعريف المختار للشفاعة أنها: "التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضره". انتهى.

أنواع الشفاعة المثبتة، والشفاعة المنفية

أولاً: الشفاعة المثبتة:

وبعد أن عرفا الشفاعة في اللغة، وفي الاصطلاح يحسن بنا أن نبين: أن الشفاعة، نوعان: شفاعة مثبتة، وشفاعة منفية.

فاما المثبتة: فهي التي ثبتت بالنصوص الشرعية.

واما المنفية: فهي الشفاعة التي يذكرها الغلاة والمدافعون عن الشرك، وهي التي لم يصح شرعاً ثبوتها، وهي التي ذكرها أصحاب هذه الشبهة.

العقيدة خاص [١]

المصادر العاشر

أنواع الشفاعة المثبتة

أما الشفاعة المثبتة: فهي الشفاعة يوم القيمة، فقد ثبت أن النبي محمدًا ﷺ يشفع يوم القيمة، ومرة يشفع غيره من الشفعاء؛ كالملائكة والنبيين، والمؤمنين، وتارة يشفع القرآن والصوم.

ولهذه الشفاعة شرطان: إذن الله للشافع. ورضاه عن المشفوع.

وفيما يلي بيان لهذه الشفاعات الصحيحة:

أ) شفاعات النبي ﷺ:

للنبي ﷺ شفاعات في الآخرة بعضها خاص به ﷺ، ويشاركه الملائكة والنبيون -عليهم السلام - في بعضها الآخر.

وفيما يلي بيان لتلك الشفاعات:

١ - الشفاعة العظمى:

وهذه الشفاعة خاصة بخاتم النبيين ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وذلك حين يجمع الله الخلائق في عرصات القيمة، ويشتند الموقف فتفزع الأمم إلى الأنبياء تطلب منهم التوسل من أجل الشفاعة عند الله تعالى ليقضي بينهم ويريحهم من مقامهم ذلك، وما هم فيه من شدة وكرب، فتفزع إلى آدم، ونوح ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى -عليهم الصلاة والسلام- فيتدافع الشفاعة - بعد آدم - أولو العزم من الرسل -عليهم الصلاة والسلام- حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيقول: ((أنا لهم)) ويشفع لأهل الموقف عند ربه ﷺ، وهذه

العقيدة خاص [١]

الشفاعة هي أعظم الشفاعات ، ولهذا تسمى الشفاعة العظمى ؛ لأنها شاملة لجميع الأمم على اختلاف أديانهم ، وهذه الشفاعة هي المقام المحمود - على رأي جمهور العلماء - الذي وعد الله ﷺ به خاتم النبيين ﷺ في قوله تعالى : ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء : ٧٩] ، والدليل على هذه الشفاعة ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة < قال : ((أَتَيَ رَسُولُ اللهِ بِلَحْمٍ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ الْذِرَاعَ، وَكَانَتْ تَعْجِبُهُ فَنَهَسَ - أَخْذَ اللَّحْمَ بِأَطْرَافِ الْأَسْنَانِ - مِنْهَا نَهْسَةً، فَقَالَ : أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأُولَئِنَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفَذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيُبْلِغُ النَّاسَ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ : أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْتَظِرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ # فَيَقُولُونَ لَهُ : أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيْكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضِبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضِبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ؛ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، ادْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ادْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي بِكَ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضِبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضِبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي ادْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ادْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضِبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضِبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَّابًا كَذَّابًا فَدَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، ادْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ادْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ : يَا

العقيدة خاص [١]

مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لِمَ يَغْضِبُ قَبْلَهُ مِثْلُهُ، وَلَنْ يَغْضِبَ بَعْدَهُ مِثْلُهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ يُقْتَلُهَا؛ نَفْسِي نَفْسِي ادْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ادْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ الْقَاهَا إِلَى مَرِيمَ وَرُوحُ مُنْهُ، وَكَلَمَتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبَّيَا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؛ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضِبُ قَبْلَهُ مِثْلُهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضِبَ بَعْدَهُ مِثْلُهُ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَبِّيَا، نَفْسِي نَفْسِي ادْهَبُوا إِلَى غَيْرِي؛ ادْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَبِّيَا وَمَا تَأْخَرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَأَتَيْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعْ سَاجِدًا لِرَبِّي تَعَالَى ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الشَّاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ ثُعْطَةً، وَاشْفَعْ ثُشَفَعَ، فَارْفَعْ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سَوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمُصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحَمِيرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصَرَى)).

المصراع: أحد شقي الباب، إذا كان له شقان.

هجر: قصبة بلاد البحرين.

٢ - الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها:

ورد في بعض الأحاديث أن النبي ﷺ هو أول من يشفع لأهل الجنة في دخولها من ذلك ما رواه أنس بن مالك < قال: قال النبي ﷺ: ((أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ

العقيدة خاص [١]

لَمْ يُصَدِّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقَتْ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ). رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أيضاً، أن النبي ﷺ قال: ((آتني باب الجنة يوم القيمة، فاستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فاقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لآحد قبلك)). رواه مسلم.

فيستدل بهذه الأحاديث ونحوها على أن النبي ﷺ أول الشفاعة، حيث يشفع لأهل الجنة في دخولها، وعليه فهذه الشفاعة - أيضاً - خاصة به ﷺ. ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن هذه الشفاعة والتي قبلها: "وهاتان الشفاعتان خاصتان به ﷺ". انتهى.

٣- الشفاعة في تخفيف العذاب عنمن يستحق:

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ لعمه أبي طالب، ودليلها ما جاء في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب < قال: ((يا رسول الله، ما أغنثت عن عمك؟ فإنه كان يحوطك، ويغضب لك، قال: هو في ضحضاح من نار، ولو أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)).

ومن أبي سعيد الخدري < أن رسول الله ﷺ تぬعه شفاعتي يوم القيمة؛ فيجعل في ضحضاح من النار يلعن كعبته يغلب منه دماغه)). رواه البخاري ومسلم.

٤- الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة:

ودليل هذا النوع ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري < ((أن أبا عامر عم أبي موسى الأشعري < أمر أبا موسى الأشعري أن يطلب من النبي ﷺ أن يدعوه، فأخبر أبو موسى النبي ﷺ دعاء يماء فتوضاً، ثم رفع

العقيدة خاص [١]

يَدِيهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ أَبْيَ عَامِرٍ، وَرَأَيْتُ يَبْلُو إِبْطَاهُ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقِكَ مِنْ النَّاسِ فَقُلْتُ: وَلَيَ، فَاسْتَغْفِرُ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ ذَبْبَهُ وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخِلًا كَرِيمًا)).

وذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ وقيل: إنها ليست خاصة به؛ لكنه المقدم فيها.

٥- الشفاعة في دخول الجنة بلا حساب:

ودليل هذا النوع من الشفاعة:

ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث عبد الله بن عباس { قال: قال النبي ﷺ: ((عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَّةِ فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانُ يَمْرُونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا أُمَّتِي هَذِهِ؟ قَيْلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قَيْلَ: انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ؛ فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الْأَفْقَ ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأَفْقَ، قَيْلَ: هَذِهِ أُمَّتِكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَغْيِرُ حِسَابِهِ، ثُمَّ دَخَلَ، وَلَمْ يَبْيَسْ لَهُمْ فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ، فَنَحْنُ هُمُ أَوْ أُولَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ، فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَخَرَجَ فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَنْتَطِرُونَ، وَلَا يَكْتُنُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَالَ عُكَاشَةُ بْنُ مَحْصَنٍ: أَمِنْتُهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَامَ آخْرُ فَقَالَ: أَمِنْتُهُمْ أَنَا؟ قَالَ: سَبَقَكَ يَهَا عُكَاشَةً)).

٦- الشفاعة لأهل الكبائر:

المراد بأهل الكبائر: العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بسبب ذنبهم، فيشفع فيهم الرسول ﷺ لإخراجهم من النار بعد دخولها.

العقيدة خاص [١]

ودليل هذا النوع من الشفاعة: حديث أنس بن مالك < قال: حدثنا محمد ﷺ قال: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ: اشْفُعْ لِذُرِّيَّتِكَ؛ فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ # فَإِنَّهُ حَلِيلُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى # فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيُؤْتَى مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى # فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ؛ فَيُؤْتَى عِيسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ # فَأَوْتَى فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُولُ: بَيْنَ يَدِيهِ فَأَحْمَدُ بِيَمَّاحَمِدَ لَا أَقْبِرُ عَلَيْهِ الْآنَ، يُلْهِمِنِي اللَّهُ ثُمَّ أَخْرُلُهُ سَاجِدًا، فَيَقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ شَفَعَ، فَأَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقَالُ: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ بُرْرَةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِّنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا فَأَنْطَلِقْ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتْلِكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخْرُلُهُ سَاجِدًا، فَيَقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ بِيَتْلِكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخْرُجْهُ مِنْ خَرْدَلٍ مِّنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا، فَأَنْطَلِقْ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِيَتْلِكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخْرُلُهُ سَاجِدًا، فَيَقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ وَاشْفَعْ شَفَعَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ مِّنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ فَأَنْطَلِقْ فَأَفْعَلُ)). رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس بن مالك < أن النبي ﷺ قال: ((شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي)) رواه أبو داود والترمذى، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ورواه الإمام أحمد والحاكم في (المستدرك).

العقيدة خاص [١]

المصادر العاشر

قال ابن كثير: إسناده صحيح على شرط الشيفين. وصححه الشيخ الألباني.

يقول ابن أبي العز #:

"ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال:

أ- فالمشركون والنصارى، والمبتدعون من الغلاة في المشايخ، وغيرهم يجعلون شفاعة من يعظامونه عند الله؛ كالشفاعة المعروفة في الدنيا.

ب- والمعتزلة، والخوارج أنكروا شفاعة نبينا ﷺ وغيره في أهل الكبار.

ج- أما أهل السنة والجماعة: فيقررون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبار، وشفاعة غيره، لكن لا يشفع لأحد حتى يأذن الله له ويجد له حدًا. انتهى.

وبعد أن ثبتت شفاعة نبينا وحبينا محمد ﷺ ينبغي التنبيه هنا على أنه لا يجوز أن نتوجه إليه ﷺ الآن بطلبه منه في الدنيا، وإنما نتوجه إلى المولى ﷺ في طلبه فنقول: "اللهم شفع فينا نبيك وخاتمة رسالتك محمداً ﷺ واجعلنا ثرداً حوضه، ونشرب منه شربة هنيةً لا نظماً بعدها أبداً، واجزء عنا أفضل ما جزيت نبياً عن أمته، وصلّى اللهم عليه أفضل وأكمل ما صليت على أحد من النبيين والمرسلين من قبله وسلم تسلیماً".

ب) شفاعة غير النبي ﷺ من الملائكة والنبيين والمؤمنين:

والدليل على شفاعة الملائكة الكرام عليهم السلام: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُقْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَبَرَضَه﴾ [النجم: ٢٦]، ونحوها من الآيات.

العقيدة خاص [١]

أما الدليل على شفاعة الملائكة والنبين والمؤمنين من السنة، ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري < الطويل مرفوعاً، وفيه: ((فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: شَفَعْتُ الْمَلَائِكَةَ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَقِنْ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)).

وما يستدل به على شفاعة المؤمنين -أيضاً- ما ورد عن أبي سعيد الخدري < أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفَئَامِ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعَصَبَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ)) ..

الفئام: الطائفـة. والعصبة: ما دون العشرة.

رواه الترمذـي ، وقال: هذا حديث حسن. والإمام أحمد في (مسندـه) وابن خزيمة في (كتاب التوحـيد).

وـعن عبد الله بن أبي الجدعـاء < أنه سمع النبي ﷺ يقول: ((يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بْنِي تَمِيمٍ، قَيْلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سِوَاكَ؟ قَالَ: سِوَايَ)) . رواه الترمذـي ، وقال: حديث حسن غـريب ، وابن ماجـه في سنته والإمام أحمد في المسند والحاكم في (المـستدرـك). وصحـحـه ووافـقه الـذهبـي كما صحـحـه الشـيخ الأـلبـانـي.

ج) شفاعة الشهداء :

جاء في بعض السنة أن الشهداء يـشفـعون يوم الـقيـمة لأـقارـبـهم، فـعن المـقدـامـ بنـ مـعـدـ يـكـربـ < قال: قال رسول الله ﷺ: ((لـلـشـهـيدـ عـنـدـ اللـهـ سـيـثـ خـصـالـ)) وـذكرـ منها: - وـيـشـفـعـ فـيـ سـبـعينـ مـنـ أـقـارـبـهـ)). رـواـهـ التـرمـذـيـ ، وـقـالـ هـذـاـ حـدـيـثـ

العقيدة خاص [١]

المصادر العاشر

حسن صحيح غريب. وابن ماجه في سنته ، والإمام أحمد في (المسند) وصححه الشيخ الألباني.

د) شفاعة أولاد المؤمنين :

أولاد المسلمين إذا ماتوا قبل الْحُلُم شفاء وأفراط لوالديهم يوم القيمة ؛ لطلب المغفرة لهم والتجاوز عنهم ، وبإدخالهم الجنة مع أولادهم. فعن أبي هريرة < ((أن رجلاً قال له: أنه قد مات لي ابنان، فهل أنت محدثي عن رسول الله ﷺ بحديثٍ تطيب له أنفسنا عن موتنا؟ قال: نعم قال: ما من مُسْلِمٍ يَمُوتُ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُنْتَ إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللَّهُ يُفَضِّلُ رَحْمَتَهُ إِيَّاهُمُ الْجَنَّةَ، قال: يُقالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى يَدْخُلَ آباؤُنَا، فَيُقَالُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَئْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ))

رواه الإمام أحمد في (المسند) والنسياني في "سننه" والبيهقي في "الشعب" وصححه الشيخ مقبل الوادعي.

يقول الشيخ السفاريني # : "يجب أن يعتقد أن غير النبي ﷺ من سائر الرسل والأنبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والأولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون وبقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون لثبتوت الأخبار بذلك وترادف الآثار على ذلك هو أمر جائز غير مستحيل فيجب تصديقه والقول بموجبه لثبوت الدليل". انتهى كلامه.

ثانياً: الشفاعة المنفية :

وبعد أن بينا المراد بالشفاعة المثبتة ، وذكرنا أنواعها وشرطها: نذكر هنا المراد بال النوع الثاني من الشفاعة ، وهي الشفاعة المنفية.

العقيدة خاص [١]

أي التي نفاحتها القرآن الكريم ودل النقل الصحيح والعقل الصريح على نفيها. وهي التي يتثبت بها الغلاة من القبوريين ومن شابههم وكذلك الشفاعة التي يدعى بها أهل الشرك لأصنامهم، وهي المذكورة أيضاً في هذه الشبهة التي نحن بقصد دحضها والرد على القائلين بها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية # عند بيان افتراق الناس في مسألة الشفاعة: "وهذا الموضوع افترق الناس فيه ثلاث فرق: طرفان ووسط. فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب؛ كالنصارى، ومبتدعة هذه الأمة أثبتو الشفاعة التي نفاحتها القرآن". انتهى كلامه.

وقد أخبرنا الله تعالى عن المشركين الذين زعموا أن أصنامهم وتماثيلهم تشفع لهم عند الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿مَا عَبَدُوكُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُوكُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [آل عمران: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ سُفَّاكُونَ أَعْنَدَ اللَّهَ﴾ [إيونس: ١٨].

وهذه الشفاعة تختلف عن الشفاعة المثبتة؛ لأن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر؛ لأن الشفاعة عند البشر قد تحصل بدون إذن المشفوع إليه أو دون رضاه عن المشفوع له لسبب من الأسباب بخلاف الشفاعة عند الله تعالى كما سبق بيان ذلك. كما أن الله تعالى نفى هذا النوع من الشفاعة بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ أَلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْسِرُوهُ إِلَيْ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [آل عمران: ٥١]. وبقوله عليه السلام: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْسَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ٤٤]. إلى غير ذلك من الآيات، هذا، والله أعلم.

الرد على الشبهتين الخامسة والسادسة في تعلق الغلة بالشرك

عناصر الدرس

- العنصر الأول** : استعراض هاتين الشهيتين ٢٣٥

العنصر الثاني : امداد بالشفاعة يوم القيمة وصورتها ٢٣٧

العنصر الثالث : قصة إبراهيم حين ألقى في النار مع جبريل - ٢٤٢

عليهما السلام - وبيان الاستغاثة الجائزة
والممنوعة

العنصر الرابع : الرد على الشبهة السادسة من وجوه ٢٤٨

العقيدة خاص [١]

أطروحة الأديب عاطف

استعراض هاتين الشبهتين

أولاً: (الشبهة الخامسة):

"أن النبي ﷺ ذكر أن الناس يوم القيمة يستغيثون بآدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى؛ حتى ينتهوا إلى خاتمهم ﷺ وكذا في قصة إبراهيم حين عرض عليه جبريل الإغاثة لما ألقى في النار؛ فدل هذا على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً".

اعلم أن الغلاة ركزوا في عرضهم لهذه الشبهة على مسألة واحدة: ألا وهي الاستغاثة:

فقالوا: لما كان النبي ﷺ ذكر أن الناس يوم القيمة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى؛ حتى ينتهوا إلى خاتمهم -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- وكذلك في قصة إبراهيم حين عرض عليه جبريل الإغاثة لما ألقى في النار؛ فدل هذا على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً، وبالتالي فالاستغاثة بالأولياء والصالحين، والطلب منهم، ودعاؤهم، ورجاؤهم، والاستمداد منهم لا يُعد من قبيل الشرك؛ لأن الناس ثبت أنهم يوم القيمة يستغيثون بالأنبياء نبياً نبياً، حتى ينتهوا إلى خاتم النبиеين محمد بن عبد الله -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- فيتقدم للشفاعة فيشفع لهم، ثم إن جبريل # عرض على النبي الله إبراهيم # الإغاثة حين ألقى في النار.

العقيدة خاص [ا]

إذن فلماذا تنكرن علينا لجوعنا للأولياء والصالحين، واستغاثتنا بهم وطلبنا للмدد منهم؟ أليس هذا الفعل الذي فعلناه والتوجه الذي قمنا به هو من قبيل الاستغاثة الصحيحة؟!.

هذه هي دعوى أصحاب هذه الشبهة.

ثانية: (الشبهة السادسة):

إن المشركين هم الذين نزل فيهم القرآن أولاً، وهم لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويکذبون الرسول ﷺ وينكرونبعث ويکذبون القرآن ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلّي ونصوم؛ فكيف تجعلوننا مثل أولئك المشركين؟ لأننا قصدنا أولياء الله بالدعاء ليشفعوا لنا عند الله فحسب!.

صورة هذه الشبهة عند الغلاة: أنهم يقولون: إن المشركين هم الذين نزل فيهم القرآن الكريم أيام الجاهلية الأولى، وهم لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ولا يؤمنون برسالة النبي محمد ﷺ بل يکذبون الرسول ﷺ ويرفضون ما جاء به من عند الله تعالى وينكرونبعث والمعاد، ويکذبون القرآن، ويصفونه بالسحر، أما نحن فعكس ذلك كله؛ نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ونصدق القرآن، ونتلوه ونحفظه، ونؤمن بالغيب، ومن ذلك إيماننا بالبعث، ونصلّي ونصوم مثل عموم المسلمين، ونأتي بالشعائر التعبدية، فكيف تجعلوننا مثل عبدة الأصنام المشركين الذين يتقربون إلى الله تعالى بعبادة الأصنام، ويقفون في وجه الدعوة ويفعلون الأفعال من أجل ذلك؟! فالمشركون عبدوا الأصنام،

العقيدة خاص [١]

ونحن إنما قصدنا أولياء الله تعالى المقربين منه المحبوبين لديه بدعائهم ورجائهم واستغاثتهم والاستعانة بهم، والنحر من أجلهم، والنذر لهم، وطلب المدد منهم ليشفعوا لنا عند الله تعالى، فنحن بعيدين عن الله تعالى أوقرتنا ذنوبنا، وتلطفنا بعاصينا، فنحن -إذن- غير مهنيين لمناجاة ربنا ودعائه ورجائه مباشرة، من أجل ذلك توجهنا إلى الأولياء المقربين الذين نظفْتُ ظواهرهم، وصفت بواطفهم، واستغثنا بهم وطلبنا منهم المدد ليشفعوا لنا عند الله تعالى فحسب، ونحن لا نعبدهم من دون الله تعالى، وليس لنا إله غير الله يعْلَم كل ما في الأمر أنهم يُعتبرون واسطة بيننا وبين ربنا تعالى ليجيب دعاءنا ويحقق آمالنا، ويقضي حوائجنا؛ فكيف تحكمون علينا بالشرك، وتقولون: إنه لا فرق بين ما فعلناه، وما فعله المشركون عَبَدُ الأصنام في الجاهلية الأولى؟!.

المراد بالشفاعة يوم القيمة، وصورتها

ما زلنا أمام اعتذارات الغلاة عن الشرك بالشبهات التي يتسبّبون بها مدّعين أن الشرك لا يقع في هذه الأمة، وقد تقدم قبل شبهات في الشرك، وبعد استعراضنا لتلك الشبهات تقوم بالذكر عليها بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة حتى تتلاشى وتضمحل -ولله الحمد- وهكذا كل منها لا يستثير بنور الوحي، ولا يتقييد بمصدري التشريع: الكتاب، والسنة، فتناقضه حتم وتهدمه واجب، وتهافتة لازم.

وكمَا قلنا -سابقاً- في ردنا على بعض تلك الشبهات:

العقيدة خاص [١]

أن الغلاة يستدلون لإثبات شبهاهم بشيئين :

أحدهما: نصوص شرعية صحيحة لا مستند لهم فيها؛ بل إنها عند الاستعراض تكون عليهم وليس لهم.

الثاني: أمور عقلية وخیالات وهمية لا زمام لها ولا خطام ، كما قيل : "من تعلق بالكرامات بالكري مات".

أولاً: المراد بالشفاعة يوم القيمة:

تقديم تعريف الشفاعة وذكر أنواعها، وبيان الشفاعة الجائزة والمنوعة، إلا أن الذي يهمنا الآن هو بيان المراد بالشفاعة يوم القيمة، فنقول :

من المعلوم بالنقل أن الله تعالى يحاسب العباد يوم القيمة بنفسه كما قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوْزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا ظُلْمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبْكَةٍ مِّنْ حَرَدَلٍ أَتَيْنَا يَهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبَنَ ﴾ [الأنباء: ٤٧] إلا أنه ورد في السنة المطهرة أنواع من الواسطة في حالات معينة تقع في ذلك اليوم تكريماً للواسطة، ولتقوم الحجة، ويتم الإعذار بتقدير العزيز الغفار، فقد ورد أن النبي ﷺ يكون واسطة بين الأمم يوم القيمة وبين رب -جل وعلا- وكما كان جبريل # واسطة من الملائكة بين الله تعالى وبين الواسطة من الأنبياء والرسل في تبليغ الرسائلات في الدنيا، فقد ورد كذلك في بعض الأحاديث أن جبريل # يكون واسطة بين الله تعالى وبين خاتم النبيين محمد ﷺ في الآخرة، وذلك في الموقف عندما يشتد الكرب، ويفرق القلب، وتذهب الأمم إلى الأنبياء والرسل تطلب منهم الشفاعة، ثم يعتذر الأنبياء واحداً بعد واحداً حتى ينتهيوا إلى خاتمة الوسائل من النبيين محمد ﷺ وعلى سائر إخوانه المرسلين ؛ فيقول: ((أنا لها))

العقيدة خاص [١]

حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، ثم ينطلق ﷺ ف يأتي تحت العرش ويقع ساجداً لربه ويحمده بـ حمد ﷺ فيفتح الله عليه بها في ذلك اليوم ، عند ذلك يرسل الله ﷺ جبريل ، ويقول له : ((اذهب إلى محمد ﷺ وقل له : ارفع رأسك ؛ سل تعطه ، واسفع تشفع)) فروى الإمام أحمد في "مسنده" من حديث أبي بكر < أن النبي ﷺ قال : ((إني لقائم أنتظر حتى يعبر الصراط إذ جاءني عيسى فقال : هذه الأنبياء جاءتك - يا محمد - يسألونك ويدعون الله أن يفرق جميع الأمم إلى حيث يشاء الله إلى غير ما هم فيه ؛ فالخلق ملجمون بالعرق ، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة ، وأما الكافر فيغشاه الموت ، فقال : انتظرا . فذهب نبي الله ﷺ فقام تحت العرش ، فلقي ما لم يلقَ ملك مصطفى ، ولا نبي مرسلاً ، فأوحى الله إلى جبريل أن اذهب إلى محمد وقل له : ارفع رأسك ؛ سل تعطه ، واسفع تشفع)) فالمراد أن للنبي ﷺ شفاعات في الآخرة بعضها خاص به ﷺ ويشاركه الملائكة والنبيون في بعضها الآخر فيكون واسطة بين الله تعالى وخلقه في تلك الشفاعات ، إلا أن أهم ذلك هو الشفاعة العظمى ، وهذه الشفاعة خاصة بخاتم النبيين ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وذلك حين يجمع الله الخلائق في عرصات القيمة ، ويشتند الموقف ، فتفزع الأمم إلى الأنبياء تطلب منهم التوسل من أجل الشفاعة عند الله تعالى ليقضي بينهم ، ويريحهم من مقامهم ذلك ، وما هم فيه من شدة وكرب فتفزع إلى آدم ونوح ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى - عليهم الصلاة والسلام - فيتدافع الشفاعة - بعد آدم - أولو العزم من الرسل - عليهم الصلاة والسلام - حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيقول : ((أنا لها)) ويسفع لأهل الموقف عند ربه ﷺ وهذه الشفاعة هي أعظم الشفاعات ؛ ولهذا تسمى الشفاعة العظمى ؛ لأنها شفاعة جميع الأمم على اختلاف أديانهم ، وهذه الشفاعة هي

العقيدة خاص [١]

المقام المحمود على رأي جمهور العلماء الذي وعد الله تعالى به خاتم النبيين ﷺ في قوله تعالى : ﴿عَسَى أَن يَعْثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُودًا﴾ [الإسراء : ٧٩].

ثانياً: صورة الشفاعة يوم القيمة :

والدليل على هذه الشفاعة يوم القيمة - وبين صورتها - ما أخرجه البخاري ومسلم في (صحيحيهما) من حديث أبي هريرة > قال : أتَيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِلِحْمٍ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الْذِرَاعَ ، وَكَانَتْ تَعْجِبُهُ ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ، فَقَالَ : ((أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهَلْ تَدْرُونَ لِمَ ذَلِكَ؟ يَجْمِعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأُولَئِنَّ وَالآخَرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفَذُهُمُ الْبَصَرُ ، وَتَدْنُوا الشَّمْسُ ، فَيَلْبِغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يَطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغْتُكُمْ؟ أَلَا تَنْظَرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : ائْتُوا آدَمَ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ : يَا آدَمَ ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلْقُ اللَّهِ بِيْدِهِ ، وَنَفَخَ فِيْكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَمْرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ؛ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟! فَيَقُولُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضِبْ قَبْلَهُ مَثْلَهُ ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ ، فَعَصَيْتُهُ ؛ نَفْسِي ، نَفْسِي ؛ اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ ، فَيَأْتُونَ نُوحًا ، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحَ ، أَنْتَ أَوَّلُ الرَّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ ؛ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟! أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟! فَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ رَبِّي قدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضِبًا لَمْ يَغْضِبْ قَبْلَهُ مَثْلَهُ ، وَلَنْ يَغْضِبْ بَعْدَهُ مَثْلَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دُعْوَةٌ دُعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي ؛ نَفْسِي ، نَفْسِي ؛ اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ

العقيدة خاص [١]

من أهل الأرض؛ اشفع لنا إلى ربك، إلا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم إبراهيم: إن ربى قد غضب اليوم غضب لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله - وذكر كذباته - نفسي، نفسي؛ اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى ﷺ فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله فضلك الله برسالاته، ويتكلمه على الناس؛ اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم موسى ﷺ إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنني قتلت نفساً لم أمر بقتلها؛ نفسي، نفسي؛ اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ﷺ فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه؛ فاشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنبًا - نفسي، نفسي؛ اذهبوا إلى غيري؛ اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون، فيقول: يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربى، ثم يفتح الله عليّ، ويلهمني من حامده، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلى، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك؛ سل تعطه، اشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي، أمتي؛ فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب؛ والذى نفسي بيده إن ما بين المصاعين من مصاريع الجنة لكمابين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى)).

العقيدة خاص [١]

قصة إبراهيم حين ألقى في النار مع جبريل - عليهما السلام - وبيان الاستفادة الجائزة
والمنوعة

أولًا: قصة إبراهيم حين ألقى في النار مع جبريل - عليهما السلام - :

مجمل قصة نبي الله إبراهيم # مع غرود: أن القوم لما أرادوا الخروج في أحد أعيادهم؛ حلف إبراهيم ليفعلن بأصنام ما يسwoهم، ثم بـّ يمينه فكسر أصنامهم إلا صنمهم الكبير علّق عليه الفأس، فلما سأله: من فعل هذا بأصنامنا؟ قال: فعله كيدهم هذا، ثم قالوا له: لقد علمت أن الأصنام لا تسمع ولا تنطق؛ فلما حجّهم رجعوا إلى عقولهم، ثم نكسوا وعاندوا وتماروا على إبراهيم # وقالوا: حرقوه وانصرروا آلهمكم، ويقال: إنهم بنوا بنياناً عظيماً وألقوه في النار وكانت تلك النار عظيمة بحيث إن الطير كلما طار في الجو سقط فيها. وأن كل حيوان شارك في إطفائها إلا وزغ.

وبعض المفسرين يذكرون أنهم لما كتّفوه مجرداً ورموه في النار قال له جبريل:

((هل لك حاجة؟ قال: إما إليك فلا، وأما إلى الله؛ فنعم)) وأن جبريل عرض على إبراهيم الإغاثة، ثم إن الله تعالى أمر النار بأمره الكوني القدري أن تكون برداً وسلاماً، فأنجاه الله من تلك النار، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَنْتَارُ كُوْنِي بِرْدًا وَسَلَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ٦٩ وَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩، ٧٠] وفي القصة أن الله سلط على غرود وقومه خلقاً من أضعف خلقه - وهو البعض - فأهلكهم.

العقيدة خاص [١]

ثانياً: الاستغاثة الجائزة والممنوعة:

الاستغاثة: هي الالتجاء والاعتصام، وطلب الغوث: وهو إزالة الشدة؛ كالاستنصار: طلب النصر، والاستعانا: طلب العون، وقيل: الفرق بين الاستغاثة والدعاة: أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب؛ كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَغْاثَهُ اللَّهُ مِنْ شَيْءِهِ عَلَى اللَّهِ مِنْ عَذَّابٍ﴾ [القصص: ١٦]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ١٠]، والدعاة أعم من الاستغاثة؛ لأنه يكون من المكروب وغيره، وقيل: إن الإغاثة هي الإعانة، فعلى هذا تكون الاستغاثة هي الاستعانا، ولا ريب أن من استغاثك فأغاثته فقد أعتنه، إلا أن لفظ الاستغاثة مخصوص بطلب العون في حالة الشدة، بخلاف الاستعانا. والفرق بين العياذ واللياذ أن العياذ يكون لدفع الشر واللياذ لطلب الخير قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسَانِ يَعُوذُونَ بِرِحَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهْقًا﴾ [الجن: ٦].

والاستغاثة أنواع:

أولها: الاستغاثة الواجبة:

وهي التي تطلب من الله تعالى، ودليلها قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ١٠].

وثانيها: الاستغاثة المحرمة:

وهي التي تطلب من غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كقول بعض الغلاة في الاستغاثة بالأموات والغائبين في جلب نفع أو دفع ضر:

العقيدة خاص [١]

نحو الغياث ملن ضاقت مذاهبه ♦ فاهاطف بنا إن تضق أو إن تكون نضم
نحو الذين لهذا الكون ذو وتد ♦ يناله من رأني أو نأى فعمي

وَالثَّالِثُ: الْإِسْتِغَاةُ الْجَائِزَةُ :

وهي الاستغاثة بالحـي الحاضـر فيما يقدر عليه، ودلـيلها قول الله -تبارـك وتعـالـى- عن موسـى # : ﴿فَاسْتَغْاثَهُ اللَّذِي مِنْ شَيْءِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُؤْمِنٍ فَقَضَى﴾ [القصص: من الآية: ١٦].

قال الشيخ صنع الله الحلبي ﷺ : "وأما قول الغلاة في الأولياء فيستغاث بهم في الشدائيد هذا أقبح مما قبله وأبدع لمصادمه قوله - جل ذكره - : ﴿أَمَّنْ يُحِبِّ
الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾
[النمل: ٦٢] ، ﴿قُلْ مَنْ يُنَحِّيْكُمْ مِنْ ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣] ، ثم قال : فإنه -
جل ذكره - قرر أنه الكاشف للضر لا غيره، وأنه المتعين لكشف الشدائيد
والكرب، وأنه المتفرد بإجابة المضطرين، وأنه المستغاث لذلك كله، وأنه القادر
على دفع الضر، وال قادر على إيصال الخبر؛ فهو المتفرد بذلك كله، والاستغاثة
تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو، أو
سبعين، ونحوه كقولهم : يا لزيد، يا للقوم، يا للمسلمين، كما ذكروا ذلك في
كتب النحو بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل، وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير، أو
في الأمور المعنوية من الشدائيد؛ كالمرض، وخوف الغرق، والضيق، والفقر،
وطلب الرزق ونحوه، فمن خصائص الله فلا يطلب فيها غيره، وأما كونهم
معتقدین التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب، والصوفية،
والجهال، وينادونهم ويستتجدون بهم ؟ فهذا من المنكرات، فمن اعتقد أن لغير

العقيدة خاص [١]

الله من نبي أو ولی، أو روح، أو غير ذلك في كشف كربة، أو قضاء حاجته تأثيراً؛ فقد وقع في وادي جهل خطير، فهو على شفا حفرة من السعير، فإن ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبي أو ولی وغيره على وجه الإمداد منه إشراك مع الله؛ إذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره". انتهى كلامه.

إدأ؛ فالاستغاثة الواردة في هذه الشبهة هي من نوع الاستغاثة المحرمة، وقد روى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذى المؤمنين فقال بعضهم: "قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق". فقال النبي ﷺ: ((إنه لا يستغاث بي؛ وإنما يستغاث بالله)).

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ # في شرحه لهذه الحديث: "فيه التصريح بأنه لا يستغاث بالنبي ﷺ في الأمور؛ وإنما يستغاث بالله، والظاهر أن مراده ﷺ إرشادهم إلى التأدب مع الله في الألفاظ؛ لأن استغاثتهم به ﷺ من المنافق من الأمور التي يقدر عليها، إما بزجره، أو تعزيره، ونحو ذلك، فظهر أن المراد بذلك الإرشاد إلى حسن اللفظ، والحمامة منه ﷺ لجناب التوحيد، وتعظيم الله -تبارك وتعالى- فإذا كان هذا كلامه ﷺ في الاستغاثة به فيما يقدر عليه فكيف بالاستغاثة به أو بغيره في الأمور المهمة التي لا يقدر عليها أحد إلا الله؟ فإن قلت: ما الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُهُ الَّذِي مِنْ شَيْءِنَا عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّنَا﴾ [القصص: من الآية: ١٥]، فإن ظاهر الحديث المنع من إطلاق لفظ الاستغاثة على المخلوق فيما يقدر عليه، وظاهر الآية جوازه؟!.

قيل: تتحمل الآية على الجواز، والحديث على الأدب، والأولى -والله أعلم، وقد تبيّن بما ذكر في هذا الباب وشرحه من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء -: أن دعاء الميت والغائب والحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله، والاستغاثة بغير الله

العقيدة خاص [١]

في كشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر، بل هو أكبر أنواع الشرك؛ لأن الدعاء مخ العبادة؛ ولأن من خصائص الإلهية إفراد الله بسؤال ذلك؛ إذ معنى الإله هو الذي يعبد لأجل هذه الأمور؛ ولأن الداعي إنما يدعو إليه عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك هو خلاصة التوحيد، وهو انقطاع الأمل مما سوى الله؛ فمن صرف شيئاً من ذلك لغير الله؛ فقد ساوي بينه وبين الله، وذلك هو الشرك. انتهى كلامه.

وأما الاستدلال بقصة إبراهيم # لما ألقى في النار وعرض جبريل الإغاثة عليه؛ فالردد عليه من جهة أن المنكر هو استغاثة العبادة التي تفعل عند القبر وسائر القبور، أو تفعل في غيبة المستغاث به، والتي يتطلب بها ما لا يقدر عليه إلا الله وحده من غير الله تعالى، أما استغاثة الناس يوم القيمة بالأئمـاء ليدعوا لهم؛ فهذا جائز، يجوز في الدنيا والآخرة أن يتطلب الشخص من حـي صالح حاضر يسمع قوله، ويقدر أن يدعوا الله له، وكذلك استغاثة إبراهيم بـجبريل - عليهما السلام - لو وقعت؛ فهي في أمر يقدر عليه جـبريل # فهو كما وصفـه الله ﴿شَدِيدُ الْقُوَّى﴾ [النجم: ٥] فـهي مقدورـه أن يغيـث إبراهـيم مثل قويٌّ في مقدورـه أن يغيـث عاجـزاً بـقوـته؛ كما فعل موسـى بالقبطـي "إغاثـة الـذـي من شـيعـتـه".

سؤال المخلوق فيه ثلاثة مفاسد:

أ- مفسدة: الافتقار إلى غير الله تعالى وهي نوع من الشرك.

ب- مفسدة: إيذاء المسئول وهي ظلم للمستغاث به.

ج- مفسدة: التذلل والانكسار لغير الله، وهي ظلم للنفس.

ولقد أحسن القائل:

يا سائلاً غير إله المسما



والرد بالحقيقة شراك

العقيدة خاص [١]

أَصْرَارُ الْأَنْبِيَاءِ بِلَهْر

إن الذي سواك من نطفة ♦ يغريك عن مسألة العبد
قال شيخ الإسلام ابن تيمية # : "استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة العدم
بالعدم". انتهى.

وقيل : "استغاثة المخلوق بالمخلوق ؛ كاستغاثة الغريق بالغريق" ، وقال آخر :
"استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون".

ومن كلام علي السجاد # : "طلب الحاج من الحاج سفه في الرأي وضلة في
العقل".

ويبيّن العلامة ابن القيم # أن المخلوق الذي يسأل مخلوقاً : فقيرٌ يسأل فقيراً،
وشحاذٌ يسأل شحاداً، وسمى الشوكاني # الاستغاثة بالأموات وتقديم
الذبائح والذور لهم عند الحاجة أن ذلك رشوة مقدمة للميت المستغاث به،
والميت لا يحتاج إلى تلك الرشوة، وشبهه الألوسي # بضعف عاذ بقرملة.

وأقول : إن استغاثة الحي بالميت المقبور لقضاء حوائجه ؛ كاستغاثة حوت في قاع
البحر بباز في جو السماء هذا لا يستطيع مفارقته ، وهذا لا يستطيع ملامسته ، وما
أحسن ما قيل :

بِاللَّهِ أَبْلَغُ مَا أَسْعَى وَأَدْرَكَهُ ♦ لَا يَبِي وَلَا بِشْفَعٍ لِي مِنَ النَّاسِ
ثُمَّ إِنَّ الدُّعَوَةَ لِلتَّشْبِيثِ بِالْوَسَائِطِ الْبَدُूِيَّةِ وَالْإِسْتَغَاثَةَ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى يَصَادِمُ دُعَوَةَ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لِلإِيَّانِ بِأَمْرِ الغَيْبِ، وَمِنْ ذَلِكَ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَرِيبٌ مِنَ يَسْمَعُ
كَلَامَنَا وَيَرِي أَحْوَالَنَا، وَكَذَلِكَ أَدْبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فإذا استغثنا بربنا وعلقنا به قلوبنا ؛ حصلت لنا فوائد عظيمة منها :

العقيدة خاص [١]

- ١ - امثالنا لأوامر ربنا عَزَّوجلَّ.
- ٢ - إيماننا بالغيب الذي يميز المؤمنين عن الكافرين.
- ٣ - يقيننا بأن هذه هي الاستغاثة التي تنفع لقضاء الحاجة وتحقيق الأمانة، إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة والمنافع الجسيمة.

الرد على الشبهة السادسة من وجوه

أولاً: تمهيد:

ما زالت شبهات الغلاة المدافعين عن الشرك تتواتي ، فكما تقدم معنا الرد على شبهات: الشفاعة ، والتسل ، والاستغاثة ، نقف الآن أمام شبهة جديدة ، واعتذار جديد يدافع به الغلاة عن الواقعين في الشرك العملي ، والقولي والاعتقادي ؛ ظانين أن الشرك لا يقع في هذا الأمة ، ولا يتصور وقوعه بين المسلمين ، وإذا وجد أحدهم يتسل بصاحب قبر ليشفي مريضه ، ويرد ضالته ، وينزيل كربله ؛ ينبغي أن لا ينكر عليه منكر ذلك الفعل ، ما دام هذا المسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

هذا في اعتقاد الغلاة هو الواجب للمسلم نحو أخيه المسلم ، وهو الذي تستوجبه الحبة والأخوة الإسلامية ، وأن من أنكر هذا التوجه ورفض تلك الممارسات ؛ فقد شارك في الدعوة إلى الفرقة والانشقاق ، وتشتت كلمة المسلمين وتشطير جمعهم ، وكأن الغلاة بهذا التصور ينكرون الردة التي حصلت في عهد الصديق < عقب عصر النبوة مباشرة . وقاتلهم المهاجرون والأنصار ، ولم يغبنهم تلفظهم بالشهادتين ولا كونهم يقرءون القرآن ، ولا كونهم في بيئه لا تعبد

العقيدة خاص [١]

الأصنام، ولا كونهم يصلون ويصومون ويحجون، ويؤمنون بالبعث؛ لأن من أتى بناقض للتوحيد فقد أفسد إيمانه السابق، كما يفسد الوضوء بناقض من نواقض الوضوء الحسية، كما مرّ معنا سابقاً، ولازم قول هؤلاء المدافعين عن الشرك: أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ورأيناهم يصوم ويصلوا ويحج ولا ينكر البعث، ويصدق القرآن، ثم رأينا منه الشر الصراح كالسجود للصنم، والاستمداد من المقربين مدعياً أن لهم تصرفًا في الكون، ومن رأيناهم يفعل ذلك ينبغي -في زعمهم- أن لا نحكم عليه بالكفر! لأن الإيمان -عند أمثال هؤلاء- لا ينقضه شيء! وفي هذا دعوة سافرة إلى الانسلال من الدين -نوعز بالله من مزلات الأقدام، ومزيالت الإسلام.

ثانياً: من نقض توحيد لا ينفعه كونه في بيضة تقرأ القرآن:

لا شك أن من آمن بالله تعالى وصدق الرسول ﷺ فيما جاء به واتبع جميع الأوامر ووقف عند جميع النواهي، محققاً التوحيد -توحيد العبادة- الذي هو أساس الإسلام وروح العقيدة، ولب الرسالة المحمدية، لا شك أن من اتصف بذلك فهو المؤمن حقاً الذي حقن دمه وعرضه وما له، وصار في كنف الله تعالى، أما من أتى بناقض من نواقض التوحيد؛ فقد أفسد أعماله كلها، وصارت هباءً منثوراً. قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَنَّا لِلَّذِينَ عَمَلُوا مِنْ حَسَدٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢]، ولم ينفعه -عند ذلك- إسلامه السابق ولا كونه يقرأ القرآن ولا في بيضة مسلمة؛ لأنه أتى بما ينقض شهادة أن لا إله إلا الله؛ فلم تنفعه بعد نقضه لها؛ لأنه أفسد إيمانه بذلك الناقض كما يفسد الوضوء بناقض من نواقضه الحسية.

العقيدة خاص [١]

ثم إن الفقهاء في جميع المذاهب قرروا في باب المرتد: أن المسلم مهما بلغ من درجة الصفاء والنقاء، وترقى في منازل الإيمان والإحسان، وأتى بعلامات المؤمن الظاهرة، ثم أتى بشيء من نواقض الإسلام العشرة؛ فإنه يحكم بكفره وردهه وخروجه عن دائرة الإسلام -والعياذ بالله تعالى- حيث إن الشرك يفسد الأعمال، وينقض ما أبرمه العبد من أعمال صالحة في الظاهر، وقد نهى الله ﷺ عن ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ فُورَةٍ أَنْكَثَتَا﴾ [النحل: من الآية: ٩٢].

فنواقض الإسلام لا يصح معها إسلام ولا عمل، كما لا تصح الصلاة مع ناقض من نواقض الوضوء، فالشرك مثلاً يفسد العبادة، ويفسد قول: "لا إله إلا الله" مهما كانت العبادة كثيرة، ولو أمثال الجبال، فالشرك يفسدتها ويحيط بها، ويجعلها هباءً متشارراً؛ لأن الإسلام والشرك لا يجتمعان، فمن ادعى بقاء إسلامه مع ممارسته الشرك؛ فهو كاذب؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِئِنْ أَشْرَكْتَ لِيَحْبَطَنَ عَمَلُكَ وَلَا تَكُونَنَ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فهذه هي شبهة عباد القبور علماء المشركين الذين يقولون: هذا شرك ولكن لا يكفر من فعله؛ لكنه يؤدي الأركان الخمسة، فإذا كان الأنبياء يكفرون إن هم فعلوا ذلك؛ فكيف بغيرهم؟!.

وأن الذي يكفر به المسلم ليس هو عقيدة القلب خاصة، فإن هذا الذي ذكرهم الله لم يريدوا منه ﷺ تغيير العقيدة، بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بنته أو أهله مع كونه يعرف كفرهم ويغضضهم فهذا كافر إلا من أكره قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا الْحِيطَانَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

العقيدة خاص [١]

وقد بيّن الشيخ محمد بن عبد الوهاب # أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدّق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاحة، وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله، وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله، وجحد الحج، ولما لم ينقدُّ أحدٌ في زمان النبي ﷺ للحج أنزل الله في حقهم: ﴿ وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ أَسْطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ومن أقر بهذا كله ولم يؤمن بالبعث، واعتذر بأنه لم يشاهده كفر بالإجماع، وحل دمه وما له كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ تُؤْمِنُ بِعَضٍ وَنَكُونُ كُفَّارٍ بِعَضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [١٥٠] ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء: ١٥١].

فإذا كان الله قد صرّح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض؛ فهو الكافر حقاً، وأنه يستحق ما ذكرت؛ زالت الشبهة.

ثالثاً: فعل الغلة مع أوليائهم شبيه بفعل المشركين مع أصنامهم:

إن توجّه الغلة إلى الأولياء والصالحين بالدعاء، والرجاء، والاستغاثة، والاستعانة، والاستمداد، مدعين أنهم لا يعبدونهم، ولا يطلبون منهم إلا بسبب منزلتهم وقربهم من الله تعالى فهم يستشفعون بهم، ويتوسلون بهم، ويطلبون الله تعالى بواسطتهم هذا الاعتذار بعينه هو اعتذار المشركين الأولين عن

العقيدة خاص [ا]

أصنامهم؛ حيث قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا يُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

ولا فرق بين السجود للأصنام والتمسح بها وإراقة الدماء، وذبح الذبائح لها، وبين دعاء الأولياء والصالحين ورجائهم والذلة والانكسار لهم، وطلب تفريح الكربات، وتحقيق الرغبات منهم؛ لأن في هذا طلبًا لغير الله تعالى ما لا يقدر عليه إلا الله، وهذا بعينه هو الشرك الذي لا يغفره الله تعالى فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى كمن صرف جميع عباداته لغير الله تعالى، وهذا الصرف للعبادة لغير الله تعالى هو الذي كفر الله به المشركين في الجاهلية؛ لأن أولئك المشركين لم ينكروا وجود الله تعالى ولم يدعوا مشاركة أصنامهم لله تعالى في الربوبية؛ بل غاية ما كفر الله به المشركين هو ذلك التوجه والقصد للأصنام بالدعاء، والرجاء، والاستغاثة، والذبح، والنذر، والاستشفاف رافضين توحيد الألوهية بقولهم: ﴿أَجَعَلَ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَجْدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وهذا الخلط في التوحيد هو الذي فعله الغلاة من هذه الأمة؛ حيث قالوا: نحن نؤمن بأن الله تعالى هو الخالق الرازق، المحبي، المميت، إلا أنها نتوجه لأولياء الله تعالى والصالحين من عباده بالدعاء والرجاء والاستغاثة والاستعانة؛ فصرنا لهذه الشعائر التعبدية لأحباب الله المقربين منه لا يعد شركاً ولا يخرجنا بذلك من دائرة الإسلام، غاية ما في الأمر أنها جعلناهم شفعاء ووسائل بيننا وبين ربنا في طلباتنا لتحقيق آمالنا وقضاء حوائجنا.

العقيدة خاص [١]

أَطْرَافُ الْأَيَّامِ بِعَذْرٍ

رابعاً: المؤمن بالله، والرسول، والقرآن، والبعث، لا يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى :

إذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال الله تعالى: ﴿إِذَا
الصَّلَاةُ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فإن شهادة "لا إله إلا الله" تنهى عن نوع خطير من الفحشاء والمنكر، وهو الشرك وأن يتوجه الإنسان إلى غير الله تعالى بأي نوع من أنواع العبادة؛ كالدعاء، والنداء، والرجاء، والذبح، والنذر، والاستغاثة؛ لأن هذا شيء ينقض التوحيد والإسلام ويفسد الأعمال التي سبقت منه؛ لأن كلمة التوحيد وتوبتها من آثارها رفض كل شيء يخدش التوحيد ويؤثر في الإيمان، وينبغي على من عَفَرَ جبينه وخرّ ساجداً لله تعالى، والختن على كتاب الله تعالى يقرؤه ويتلوه آناء الليل وأطراف النهار، ويؤمن بالبعث، وأن الناس يموتون وبيعون ويحاسبون يوم القيمة، ثم يصيرون إلى الجنة أو إلى النار، من كان يؤمن بذلك ينبغي أن يكون من آثاره: إيمانه القوي بالله تعالى وحده، وقوية الصلة بينه وبين الله تعالى، وعدم التوجّه لغير الله تعالى بشيء من أنواع العبادة؛ لأن ذلك يناقض التوحيد، ويفسد الأفعال، ولا يتصور وجود شرك مع إيمان في قلب مؤمن؛ لأن "لا إله إلا الله" تحرق أنواع الشرك - العملي والاعتقادي والقولي - فمن قالها بحق وصدقها بالعمل بمقتضاها؛ فهذا هو المؤمن الذي يرفض أن يصرف شيئاً من عباداته لغير الله تعالى، فأثار ذلك الإيمان

عدم التلبس بشيء من أنواع الشرك أو الإتيان بناقض من نواقض التوحيد، أما من رأيناهم يقرأ القرآن ويصلّي لله تعالى، ويصوم ويؤمن بالبعث، ثم وجدناه

العقيدة خاص [١]

يتوجه لغير الله تعالى بصرف شيء من أنواع العبادة؛ كالدعاء، والنداء، والاستغاثة، فنقول له: من المعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج؛ فكيف إذا جحدت شيئاً من هذه الأمور؟! أليس ذلك يعتبر شركاً؟! ولو عملت بكل ما جاء به الرسول ﷺ ثم إذا جحدت التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا تكون كافراً؟! سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل؟!.

ويقال له أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوابني حنيفة وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويؤذنون ويصلون، فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، فقل: هذا هو المطلوب، إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة؛ فكيف بمن رفع ولیاً أو نبیاً أو صحاییاً إلى مرتبة جبار السماوات والأرض، سبحان الله! ما أعظم شأنه!: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الظَّرِينِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩] ويقال له أيضاً: الذين حرقهم علي بن أبي طالب < بالنار كلهم يدعون الإسلام وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقادوا في علي مثل الاعتقاد في الأولياء والصالحين، فكيف أجمع الصحابة } على قتلهم وكفرهم؟! تظن أن الصحابة يكفرون المسلمين؟! أم تظن أن الاعتقاد في الأولياء والصالحين لا يضر، والاعتقاد في علي < يُكفر؟!.

ويقال له أيضاً: الفاطميون أبناء عبد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمانبني العباس كلهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول ويدعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفـة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين، فإذا كان الأولون لم يُكفروا إلا

العقيدة خاص [١]

أطروحات الأستاذ عاشور

أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك ؛ فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب، وهو باب "حكم المرتد" وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة كل نوع يكفر ويحل دم الرجل وما له وعرضه، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على سبيل المزاح واللعب، قال تعالى: ﴿ يَمْلُفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفَرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ [التوبه: ٧٤]، وقال ﷺ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقَى لَهَا بَالًا، يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقَى لَهَا بَالًا يَهُوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)) ولقد كفر الله تعالى المنافقين بكلمة مع كونهم في زمن النبي ﷺ ويخاهمون معه ويصلون ويذكرون ويحجون، وكذلك الذين قال الله فيهم: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَمَائِنَهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهِنُونَ ﴾ ﴿ لَا تَعْنِذُ رُوَافِدَ كُفَّارِمُ بَعْدَ إِيمَانِكُوْنَ ﴾ [التوبه: ٦٥، ٦٦].

فهؤلاء الذين صرخ الله فيهم أنهم كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزاح ؛ فتأمل هذه الشبهة، ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع هذه الردود.

خامساً: كيف يتصور من صلى وصام لله خالصاً من قلبه: إشراك غيره معه في الذبح، والنذر، والدعاء، والرجاء، والاستغاثة، والاستعاة؟!

وهذا الأمر - كسابقه - يفيد أن من صرف الله تعالى عبادة من العبادات خالصة من قلبه لم تشبعها شائبة إشراك غير الله تعالى مع الله !.

العقيدة خاص [١]

من فعل ذلك ينبغي أن يكون توحيده لله تعالى خالصاً من قلبه؛ لأن الإيمان الصحيح إذا استقر في قلب مؤمن يصلى الله تعالى ويصوم لا يتصور منه أن يعمد إلى مخلوق فقير عاجز بالذات من كل وجه ويصرف إليه شيئاً من أغلى العبادات وهو الدعاء والرجاء والذبح والنذر.

فالإخلاص لله تعالى في جميع العبادات هو أساس الدين وقوامه وروح العبادة الذي ينبغي، فإذا خُدش هذا الإخلاص، أو فقد؛ حبط العامل والعمل، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِّمَنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

وذكر العلامة ابن القيم # : أن هناك تجريدين لا بد منهما لتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وهم:

أن تسقط الوسائل والوسائل بينك وبين الله تعالى، ولا ثبت وساطة إلا في وصول أمره ونهيه ورسالته إليك كما تسقط الوسائل بينك وبين الرسول ﷺ في الطاعة والاتباع، ثم قال: "وهذا التجريدان هما حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

المقرر الثالث عشر

الرد على الشبهة السابعة في تعلق الغلاة بالشرك

عناصر الدرس

٢٥٩ العنصر الأول : استعراض هذه الشبهة

٢٦٠ العنصر الثاني : معنى الإله والإلهية، وكون لا إله إلا الله مفتاح الجنة

٢٦٤ العنصر الثالث : شروط لا إله إلا الله، والجمع بين الأحاديث التي ظاهرها أن مجرد النطق بالشهادتين يكفي لدخول

العقيدة خاص [١]

المجلد الثاني عشر

استعراض هذه الشبهة

أن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال "لا إله إلا الله" وأحاديث أخرى في الكف عنهم قالها، فمن قالها لا يكفر ولا يقتل ولو فعل ما فعل.

يقول الغلاة المدافعون عن الشرك في هذه الشبهة: أن من قال "لا إله إلا الله"؛ فقد صار مؤمناً كامل الإيمان، وأصبح في حصن المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ولو ظهر منه ما ظهر، وليفعل ما يشاء بعد ذلك؛ لأن "لا إله إلا الله" تدرأ عنه كل حكم آخر، وتحميء من كل وصف مضاد، فلو وقف أمام قبر وسائل صاحبه واستنجد به لقضاء حاجة أو دفع مكروره أو استغاث به من عدوه، وخفاف منه خوف السرّ، لو فعل ذلك لا يحكم عليه بالكفر، ولا يجوز وصف فعله ذلك بالشرك؛ لأنه يقول "لا إله إلا الله" فصرفه ليسير من تلك العبادة لغير الله تعالى من الأولياء والصالحين لا يخدش إيمانه ولا يؤثر في إسلامه، والدليل على ذلك أن أسامة بن زيد -الحب ابن الحب، { لما قتل رجلاً حين هوى عليه باليسيف فقال الرجل: "لا إله إلا الله" ، ظن أسامة أن الرجل ما قالها إلا خوفاً من السيف ، فقال له النبي ﷺ: ((هلا شققت عن قلبه)) منكراً على أسامة قتله للرجل في تلك الحالة ، كما استدلوا أيضاً بقول النبي ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)) ، وأحاديث أخرى في الكف عنهم قالها، فمن قالها لا يكفر، ولا يُحكم عليه بالشرك، ولا يُقتل، ولا يحمل دمه وماليه، ولو فعل ما فعل؛ فلماذا تنكرون على قائل "لا إله إلا الله" توجهه بالدعاء والرجاء والاستغاثة والاستعانة وطلب المدد من الأولياء والصالحين، وعباد الله المقربين؟!. هذه فلسفة الغلاة المدافعين عن الشرك في عرضهم لهذه الشبهة.

العقيدة خاص [١]

معنى الإله والإلهية، وكون "لا إله إلا الله" مفتاح الجنة

أولاً: معنى الإله والإلهية:

لقد اهتم علماء السلف - قدِيماً وحديثاً - ببيان معنى "لا إله إلا الله" ، وتوضيح المراد بالإله والإلهية ، ومن ذلك ما ذكره الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ من أن معنى "لا إله إلا الله" : "أي : لا معبد بحق إلا إله واحد ، وهو الله وحده لا شريك له ، والدليل : قول الله - تبارك وتعالى - : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِنَّ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنباء: ٢٥] ، قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا أَللَّهَ وَاجْتَنِبُوا أَطْلَعُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] فصح أن معنى الإله هو المعبد؛ ولهذا لما طلب النبي ﷺ من كفار قريش أن يقولوا : "لا إله إلا الله" ؛ قالوا - مستنكرين - : ﴿أَجْعَلَ الْآلهَةَ إِلَهًا وَجَدًا إِنَّ هَذَا لَشَفَاعَ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥] ورد قوم هود # على نبيهم : ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠] وهو دعا قومه إلى "لا إله إلا الله" فهذا هو معنى "لا إله إلا الله" وهو عبادة الله وترك عبادة ما سواه وهو الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله ، فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله تعالى ليس باليه ، وإن إلهية ما سوى الله تعالى من أبطل الباطل ، وإثباتها من أظلم الظلم ، فلا يستحق العبادة سواه ، كما لا تصلح الإلهية لغيره ، فتضمنت نفي الإلهية عما سواه وإثباتها له وحده لا شريك له ، وهذا يستلزم الأمر بالتخاذله وحده ، والنهي عن التخاذل غيره معه إلهاً وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات ، كما إذا رأيت رجلاً

العقيدة خاص [١]

يستفتني أو يطلب وجه الاستشهاد من ليس أهلاً لذلك، ويدع الراسخين في العلم أهل التقى والفتوى، فتقول له: هذا ليس بمحض ولا عالم، المفتى فلان، والعالم فلان، فإن هذا أمر منه، ونهي. وقد دخل في الإلحادية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله بالحب، والخضوع والانقياد له وحده لا شريك له، فيجب إفراد الله تعالى بها، كالدعاء، والخوف والمحبة، والتوكيل، والإثابة، والتوبية، والذبح، والنذر، والسجود... وجميع أنواع العبادة؛ فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئاً ما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله فهو مشرك، ولو نطق بلا إله إلا الله، إذ لم يعمل بما تقتضيه هذه الكلمة من التوحيد والإخلاص". انتهى.

فالإله كما قال ابن عباس { ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وشهادة أن "لا إله إلا الله" تقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن لا إله إلا الله، كما قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وينبغي أن يكون الناطق بها شاهداً فيها؛ فقد قال الله تعالى: ما أوضح به أن الشاهد بالحق إذا لم يكن عالماً بما شهد به فإنه غير بالغ من الصدق به مع من شهد من ذلك بما يعلمه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهَدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] واقتضى الإقرار بـ"لا إله إلا الله" أن تعلم أن كل ما فيه أمارة من أمارات الحدث والنقض؛ فإنه لا يكون إله إلا، فإذا قلت: "لا إله إلا الله"؛ فقد اشتمل نطقك هذا على أن ما سوى الله ليس بإله؛ فيلزمك إفراده سبحانه بذلك وحده، وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة هي مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلحادية وأثبتت الإيجاب لله تعالى كنت من كفر بالطاغوت وآمن بالله، وقال الإمام القرطبي # في التفسير: "لا إله إلا هو: أي: لا معبود إلا هو"، وقال شيخ

العقيدة خاص [١]

الإسلام ابن تيمية # : "إله": هو المعبد المطاع، وقولنا: "لا إله إلا الله" فيه إثبات انفراده بالإلهية، والإلهية تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته، ففيها إثبات إحسانه إلى العباد، فإن الإله هو المألوه، والمألوه: هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخصوص له غاية الخصوص.

وقال ابن القيم # : "إله": هو الذي تأله القلوب مجده وإجلالاً، وإنابة وإكراماً، وتعظيمًا، وذلة، وخضوعاً، وخوفاً، ورجاءً، وتوكلًا". وقال ابن رجب الحنبلي # : "إله" هو الذي يطاع فلا يعصى؛ هيبة له، وإجلالاً، ومحب، وخوفاً، ورجاء، وتوكلًا عليه، وسؤالاً منه، ودعاً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عَزَّوجَلَّ فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية؛ كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قوله: "لا إله إلا الله" ، ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك". انتهى كلامه.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ: "وهذا كثير في كلام العلماء، وهو إجماع منهم أن الإله هو المعبد خلافاً لما يعتقد عباد القبور وأشباههم في معنى الإله: أنه الخالق أو القادر على الاختراع، أو نحو هذه العبارات، ويظنون أنهم إذا قالوها بهذا المعنى؛ فقد أتوا من التوحيد بالغاية القصوى ولو فعلوا ما فعلوا من عبادة غير الله، كدعاء الأموات، والاستغاثة بهم في الكربات، وسؤالهم قضاء الحاجات، والتنذر لهم في الملمات، وسؤالهم الشفاعة عند رب الأرض والسموات... إلى غير ذلك من أنواع العبادات، وما شعروا أن إخوانهم من كفار العرب يشاركونهم في هذا الإقرار، ويعرفون أن الله هو الخالق القادر على

العقيدة خاص [١]

المصادر: الثالثة عشر

الاختراع، ويعبدونه بأنواع من العبادات، فلَيَهُنَّ أَبُو لَهْبٍ وَأَبُو جَهْلٍ وَمِنْ تَبَعِهِمَا بِحُكْمِ عَبَادِ الْقَبُورِ، وَلَيَهُنَّ أَيْضًا إِخْوَانَهُمْ عَبَادُ سَوَاعٍ، وَيَغُوثُ، وَنَسْرٌ؛ إِذْ جَعَلَ هُؤُلَاءِ دِينَهُمْ هُوَ الْإِسْلَامُ الْمُبَرُّ.

ولو كان معنى "لا إله إلا الله" ما زعمه هؤلاء الجهال؛ لم يكن بين الرسول ﷺ وبينهم نزاع، بل كانوا يبادرون إلى إجابته، ويلبون دعوته؛ إذ يقول لهم: قولوا "لا إله إلا الله" ، بمعنى أنه لا قادر على الاختراع إلا الله، فكانوا يقولون: سمعنا وأطعنا. قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقُوهُمْ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٩] ، لكن القوم أهل اللسان العربي؛ فعلموا أنها تهدم عليهم دعاء الأموات والأصنام من الأساس، وتكتب بناء سؤال الشفاعة من غير الله وصرف الإلهية لغيره لأم الرأس، فقالوا: ﴿ مَا عَبَدُوكُمْ إِلَّا لِيَقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٢] ﴿ هَتُؤْلَئِكُمْ شُفَعَّوْنَ أَعْنَدُ اللَّهَ ﴾ [يوسوس: ١٨] ، ﴿ أَجْعَلَ اللَّهُمَّ إِلَهَهَا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ [ص: ٥] فتبأً لمن كان أبو جهل ورأس الكفر من قريش وغيرهم أعلم منه بـ"لا إله إلا الله". انتهى بمعناه من (تيسير العزيز الحميد).

ثانية: "لا إله إلا الله مفتاح الجنة" ولكن!

ما من شك في أن الجنة لا يدخلها إلا المسلم الذي سبق في إسلامه أن قال: "لا إله إلا الله" وهذه الكلمة هي مفتاح باب الجنة الذي يدخله المؤمن إلى رضوان الله تعالى والنعيم المقيم. إلا أن لهذا المفتاح أسناناً كما أن لكل مفتاح من مفاتيح الدنيا أسناناً، فإذا أردت أن تفتح باباً من أبواب الدنيا بمفتاح ليس له أنسان <فلن ينفتح لك ذلك الباب، فكذلك مفتاح الجنة وهو: "لا إله إلا الله" إذا لم يأت أحد

العقيدة خاص [١]

بأسنانه لم ينفعه مجرد المفتاح ، والمراد بأسنان هذا المفتاح هو الإيمان بهذه الكلمة بعد النطق بها ، ومعرفة معناها ، واعتقاده في القلب ، والعمل بمقتضاها ، والإتيان بلوازمها ، والحذر من التلبيس بناقض من نوافضها ، فمع النطق بها واعتقاد معناها في القلب يأتي المؤمن بأركان الإسلام الأخرى وواجباته ومستحباته ومندوبياته ، فيأتي بكل ما أمر به مع قوله : لا إله إلا الله ، ويبتعد عن جميع النواهي التي تنهى عنها لا إله إلا الله .

شروط لا إله إلا الله والجمع بين الأحاديث التي ظاهرها أن مجرد النطق بالشهادتين يكفي لدخول الجنة

أولاً: شروط "لا إله إلا الله" :

لا شك أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام ، وهي كلمة التقوى ، وهي العروة الوثقى ، وهي التي جعلها إبراهيم - على نبينا و # - كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ، كلمة عظيمة يدخل بها الإنسان في الإسلام ، ويخرج بها من دائرة الكفر إلى ساحة الإيمان ، وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها ، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار ، مع كونهم يصلون ويتصدقون ، بل المراد قولها مع معرفتها بالقلب ، ومحبتها ومحبة أهلها ، وبغض من خالفها ، ومعاداتها .

ولكلمة : "لا إله إلا الله" أركان وشروط ؛ فأركانها : اثنان نفي وإثبات ، وحد النفي من الإثبات : "لا إله" أي : نافيًا جميع ما يعبد من دون الله ، وحد الإثبات :

العقيدة خاص [١]

المراحل الـ١٠ في عشر

"إِلَّا اللَّهُ، أَيْ : مُثِبًا العِبَادَةَ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ ."

وَأَمَّا شُرُوطُهَا فَسَبْعَةٌ لَا تَصْحُ هَذِهِ الْكَلْمَةُ، وَلَا تَنْفَعُ قَائِلَهَا إِلَّا إِذَا اسْتَجَمَعَتْ لَهُ تِلْكُ الشُّرُوطُ وَهِيَ :

١ - الْعِلْمُ بِعِنَاهَا نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا . وَهَذَا يَنْفِي الْجَهْل . قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدَ ﷺ :

﴿فَأَعْمَلَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [مُحَمَّدٌ: ١٩] ، وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا : ﴿إِلَّا مَنْ شَهَدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّخْرُفٌ: ٨٦] ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ)).

٢ - الْيَقِينُ الْمَنَافِي لِلشُّكُوكِ ، أَيْ : اسْتِيقَانُ الْقَلْبِ بِهَا قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الْحَجَرَاتٍ: ١٥] ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي هَرِيرَةَ < كَمَا فِي "الصَّحِيفَةِ" : ((مَنْ لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ يَشَهِّدُ أَنَّ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" مُسْتِيقَنًا بِهَا قَلْبَهُ ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ)).

٣ - الْإِحْلَاصُ الْمَنَافِي لِلرِّيَاءِ وَالشُّرُكِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَأَعْبُدُ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الَّذِينَ﴾ [الْزُّمُرٌ: ٢] ، وَقَالَ ﷺ : ((أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَنْ قَالَ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ)).

٤ - الصَّدْقُ الْمَنَافِي لِلْكَذْبِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذَّابِينَ﴾ [الْعِنكَبُوتُ: ٢٣] ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((مَا مَنْ أَحَدٌ يَشَهِّدُ أَنَّ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ" صَدِقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ)). مُتَفَقُ عَلَيْهِ.

العقيدة خاص [١]

٥- المحبة المنافية للبغض ، قال الله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقال ﷺ : ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله رسوله أحب إليه مما سواهـا ...)). الحديث متყـع عليه.

٦- الانقياد المنافي للترك ، أي : الانقياد لها ظاهراً وباطناً. قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعَرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [القمان: ٢٢] ، وقال النبي ﷺ : ((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)).

٧- القبول المنافي للرد ، فلا يرد شيئاً من لوازمهـا ومقتضياتها. قال الله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَلُّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ٢٥ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُونَا إِلَهِنَا لَشَاعِرٍ مَجْهُونَ﴾ [الصفات: ٣٦، ٢٥]

وقد جمع بعض العلم هذه الشروط السبعة في قوله :

علم يقين وإخلاص وصدقـ مع ♦ محبة وانقياد والقبول لها

ثانياً: الجمع بين الأحاديث التي ظاهرها أن مجرد النطق بالشهادتين يكفي لدخول الجنة :

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب # : " وهذا التوحيد هو معنى قولك : " لا إله إلا الله " فإن الإله عندهم : هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور ، سواء كان ملكاً ، أو نبياً ، أو ولـياً ، أو شجرة ، أو قبراً ، أو جنـياً ، لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبـ؛ فإنـهم يـعلمون أن ذلك للـه وحده - كما قدمـت لك - وإنما يـعنـون بالإله ما يعنيـ المـشرـكونـ في زـمانـناـ بلـفـظـ : "الـسيـدـ" فـأـتـاهـمـ النـبـيـ ﷺـ يـدعـوهـمـ إلىـ كـلـمـةـ التـوـحـيدـ وـهـيـ : " لا إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ " ، وـالـمـرـادـ منـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ معـناـهاـ ، لاـ مجـرـدـ لـفـظـهـ ، وـالـكـفـارـ الـجـهـالـ يـعـلـمـونـ أـنـ مرـادـ النـبـيـ ﷺـ بـهـذـهـ الـكـلـمـةـ : هوـ إـفـرـادـ اللـهـ

العقيدة خاص [١]

تعالى بالتعلق به ، والكفر بما يعبد من دون الله ، والبراءة منه ؛ فإنه لما قال لهم قولوا : " لا إله إلا الله ". قالوا : ﴿ أَجْعَلَ الْأَنْهَمَةَ إِلَيْهَا وَاجْدًا إِنَّ هَذَا لِشَيْءٍ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥] فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك ، فالعجب من يدعى الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد لشيء من المعاني ، والحاذق منهم يظن أن معناها : " لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله "؛ فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى : " لا إله إلا الله ". انتهى كلامه.

فاستدلل الغلاة بظاهر الأحاديث التي فيها أن من قال : " لا إله إلا الله " دخل الجنة ؛ كاستدلل الفسقة بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣] عندما يؤنبهم أحد على ذنب وقعوا فيه ، وكاستدلل أحدهم في القديم على إباحة الخمر قائلًا : إن الله تعالى قال في كتابه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّيْنَ ﴾ [الماعون: ٤] ولم يقل " ويل للسكارى " ثم نظم هذا المعنى بقوله :

دع المساجد للعياد تسكنها ❖ وقم بنا إلى حانة الخمار يسكنينا
لم يقل رب ويل للأولى سكرروا ❖ وإنما قال ويل للمصلينا
فالاستدلل بظاهر الأحاديث التي فيها أن مجرد النطق بالشهادة يكفي ، معارض بما في كثير من الأحاديث الأخرى التي فيها أن المسلم لا يكفي أن ينطق بالشهادة ؛ بل يجب عليه أن يعتقد معناها ، ويعمل بمقتضها ، ويأتي بلوازمها ، ويختبر من نواقضها ويستمر على ذلك حتى الموت .

تنبيه :

إن المسلم في بداية الإسلام كان يدخل في الإسلام بهذه الكلمة ولم تنزل الأوامر الشرعية الأخرى ؛ كالجهاد ، والحج ، والزكاة... ثم يموت هذا المسلم ، فنقول : هذا المسلم يدخل الجنة بقول : " لا إله إلا الله " لأنه لم يؤمن بغيرها ، وهذا ما

العقيدة خاص [١]

حصل للتابعى الجليل الذى دخل فى الإسلام ، ونطق بهذه الشهادة ، ثم دخل المعركة مجاهداً فاستشهد في ذلك اليوم فقيل فيه : رجل دخل الجنة وما صلى وما صام لله قط .

وأخيراً أذكر في نهاية الرد على هذه الشبهة ما ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب # في رده على هذه الشبهة ؛ حيث بين أن من قالها ؛ وجب الكف عنه إلا إن تبيّن منه ما ينافق ذلك كدعاء الأولياء وقصدهم فيما هو من حق الله تعالى ، فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفاً على دمه ، وماته ، وأن الرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه ؛ حتى يتبيّن منه ما يخالف ذلك ، وأنزل الله تعالى : ﴿ يَكَانُوا إِذَا ضَرَبُوا فِي سَيْلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [النساء : ٩٤] . أي : فتبّعوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والثبت ، فإذا تبيّن منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتل ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للثبت معنى ، وكل من أظهر التوحيد والإسلام وجوب الكف عنه إلا إن تبيّن منه ما ينافق ذلك ، والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ قال : ((أقتلته بعدما قال "لا إله إلا الله"!)) وقال : ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا "لا إله إلا الله")) هو الذي قال في الخوارج : (((أينما لقيتموه فاقتلوهم ؛ لكن أدركتم لقتلهم قتل عاد)) مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً وتسبيحاً ، حتى إن الصحابة } يحررون صلاتهم مع صلاتهم ، وهم تعلموا العلم من الصحابة ؛ فلم تنفعهم "لا إله إلا الله" ، ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام ؛ لما ظهر منهم مخالفة الشريعة ، وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله : ﴿ يَكَانُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيٌّ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات : ٢٦] ، وكان الرجل كاذباً عليهم .

فكل هذه النصوص تدل على أن مراد النبي ﷺ في هذه الأحاديث التي احتجوا بها وجوب الكف عنمن قالها حتى يتبيّن منه مخالفتها . انتهى بعنه .

العقيدة خاص [١]

المقرر الثالث عشر

من نواقص الإسلام: السحر

عناصر الدرس

- | | |
|-----|---|
| ٢٧١ | العنصر الأول : تعريف السحر: لغة، واصطلاحاً |
| ٢٧٢ | العنصر الثاني : حقيقة السحر، وحكم تعلمه |
| ٢٧٧ | العنصر الثالث : أنواع السحر، وحد الساحر |

العقيدة خاص [١]

المجلد الثالث عشر

تعريف السحر: لغة، واصطلاحاً

أولاً: المراد بالسحر في اللغة: هو إخراج الباطل في صورة الحق كما قال ابن فارس # وهو الخديعة، وقال الرازي #: "والسحر الأخذة وكل ما لطف مأخذة ودق فهو سحر، وقد سحره يسحره - بالفتح - سُحْرًا بالكسر، والساحر العالم" انتهى.

وسمى السحر سحرًا لخفاء سببه؛ ولأنه يفعل خفية، ومن معانيه: اللطف والدقة كما يأتي بمعنى الخداع والتخييلات قال الله تعالى: ﴿سَحْرٌ وَّأَعْيُنٌ أَنَّاسٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿يُخْلِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا شَعْنَ﴾ [طه: ٦٦] وهو ما يحصل بمعونة الشياطين. وقال الزمخشري #: "يقال أرض مسحورة إذا كانت لا تنبت، وعنز مسحورة إذا كانت قليلة اللبن، وسحرت الرجل عن كذا صرفته عنه". انتهى.

فالسحر عبارة عما يخفى ويلطف سببه، ولهذا جاء في الحديث: ((إن من البيان سحرًا)) لأن فيه سرًا بلاجئًا يأخذ بالقلوب وي فعل بها كما يفعل السحر، وسمى السحور سحورًا؛ لأنه يقع خفيًا آخر الليل.

ثانياً: تعريف السحر اصطلاحاً: فهو عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرأة وزوجها، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه. قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ونقل الحافظ في (الفتح) عن القرطبي #: قول القرطبي: "السحر أحيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها" انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

حقيقة السحر، وحكم تعلمه

فذهب قوم إلى أنه مجرد تخيل لا حقيقة له؛ لقول الله تعالى: ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا شَعْنَ﴾ [طه: ٦٦] ولقوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وذهب آخرون إلى أن السحر حق وله حقيقة، ويكون بالقول والفعل، ويؤلم ويعرض، ويفرق بين المرأة وزوجها كما ورد ذلك في القرآن الكريم، ولعل هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف أنواع السحر فإن منه ما هو تخيل، ومنه ما هو حقيقة، والنوع الذي له حقيقة هو الذي حصل للرسول ﷺ، وقد اختلف القائلون بأن للسحر حقيقة اختلفوا هل للسحر تأثير أم لا؟ على قولين:

أولهما: أن السحر ليس له تأثير في نفسه أصلًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارَّينَ بِهِ﴾، من أحَدٍ إِلَّا يَإِذْنُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٣].

والثاني: أن السحر له تأثير، وأصحاب هذا القول انقسموا إلى طائفتين؛ طائفة تقول بالتأثير مطلقاً، وطائفة تقيد به بالتفرقة بين المرأة وزوجها.

واعلم أن علماء التفسير تكلموا على السحر عند هذه الآية من سورة البقرة وهي قول الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنَوَّى الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلَّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزَلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَإِلَهَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّغُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارَّينَ بِهِ﴾، من أحَدٍ إِلَّا يَإِذْنُ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَصْرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا

العقيدة خاص [١]

لَمِنْ أَشْرَكُهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلِئَسْ مَا شَرَّفُوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ
كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومن هذه الآية -ملخصاً- أن سليمان # كان قد تتبع ما في أيدي الشياطين من السحر وذلك بحكم سيطرته على الجن والشياطين كما ملكه الله ذلك فدفنه تحت كرسيه، وفي بيت خزانته، ولا يدنو منه شيطان مارد إلا احترق، وبعد أن مات سليمان أوحت الشياطين إلى بعض الإنس أن سليمان لم يكننبياً ولكن كان ساحراً، وأخبرتهم بموضع السحر المدفون فاستخرجه الإنس منبني إسرائيل، وعلموا به وتناقلوا بينهم أن سليمان كان ساحراً، ولما بعث محمد ﷺ وانقل إلى المدينة وكان اليهود بها، ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله عليه تبرئة سليمان # ما ادعى عليه من السحر، وبين أمر اليهود معه، وبرأته مما ألقوا به من السحر، والكفر، وأن هذا السحر كان من تعليم الشياطين، ومن تعليم هاروت وما روت لمن اختار لنفسه الكفر. انتهى.

يقول الشيخ حافظ الحكمي # مبيناً حقيقة السحر: "والسحر حق؛ يعني متحقق وقوعه وجوده، ولو لم يكن موجوداً حقيقة لم ترد النواهي عنه في الشرع والوعيد على فاعله والعقوبات الدينية الأخروية على متعاطيه والاستعاذه منه أمراً وخبراً، وقد أخبر الله تعالى أنه كان موجوداً في زمن فرعون، وأنه أراد أن يعارض به معجزات النبي الله موسى # في العصا بعد أن رماه هو وقومه به بقولهم: ﴿إِنَّكَ هَذَا لَسَنِيرٌ عَلَيْمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩] إلى قوله: ﴿وَقَالَ فَرَعَوْنٌ أَتَتُونِي
بِكُلِّ سَنِيرٍ عَلَيْمٍ﴾ [يوس: ٧٩] وقال تعالى عن السحرة: ﴿فَلَمَّا آتَقْوَا سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهُبُوهُمْ وَجَاءَهُوَ سِعِيرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأعراف: ١١٦] وقال تعالى
فيهم: ﴿فَإِذَا جَاهُهُمْ وَعَصَيْهُمْ يُخْلِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَ﴾ ٦٦ فَأَوْجَسَ في نفسه

العقيدة خاص [١]

خِيفَةً مُوسَى ﷺ ٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ٦٨ وَالْقَوْمُ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حِيثُ أَنَّهُ ٩٦ [طه: ٦٦] يقال: إنهم كانوا سبعين أَفَّا مَعَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَبْلٌ وَعَصْمٌ فَأَخْذُنَاهُ بِأَبْصَارِ النَّاسِ بِسُحْرِهِمْ وَأَقْوَاهُمْ تَلَقَّفَ الْحَبَالُ وَالْعِصَيِّ فِرَآهَا النَّاسُ حَيَاتٍ عَظَامًا ضَخَامًا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَهُبُوهُمْ وَجَاءَهُمْ وِسْحَرٌ عَظِيمٌ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سُحْرِهِمْ أَنَّهَا شَعْنَى﴾ قال الله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ٦٨ وَالْقَوْمُ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ يعني العصَا ﴿تَلَقَّفَ﴾ تَبَتَّلَعُ ﴿مَا صَنَعُوا﴾ أي: السُّحْرَةُ، أَيْ مَا اخْتَلَقُوا وَائْتَفَكُوا مِنْ الزُّورِ وَالتَّخْيِيلِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿فَإِذَا هُنَّ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ وَهُوَنَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرُهُمْ عَلَى نَبِيِّهِ مُوسَى # بِقَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ مُكْرَهٌ وَخَدَاعُهُ ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حِيثُ أَنَّهُ ١١٨﴾ ﴿فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١١٩﴾ فَغَلِبُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَنَغِيرِنَ ﴿الْأَعْرَافُ: ١١٩، ١١٨﴾، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قَوْمٍ صَالِحٍ وَكَانُوا قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ # أَنَّهُمْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ #: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] وَقَالَ قَرِيشٌ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدَ ﷺ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ عَنْهُمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ بَلْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ الْقَوْلَ تَدَوْلَهُ كُلُّ الْكُفَّارِ لِرَسُولِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَقَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا فَالْأُولُوا سَاحِرُوْنَ أَوْ جَحَّوْنَ ٥٣﴾ أَتَوْاصُوْبِهِ ﴿الذَّارِياتُ: ٥٣﴾ الْآيَةُ، وَقَالَ سَبْحَانَهُ فِي ذِمَّةِ الْيَهُودِ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَأَ وَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وَرَأَهُ ظُهُورِهِمْ كَانُوهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١١٠﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَنَلَّوْا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكِ شُعَيْبَنَ وَمَا كَفَرَ شُعَيْبَنَ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسُ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَأْلَ هَرُوتَ وَمَرْوَتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكُنْ فِي تَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرْءَ وَرَوْحِهِ وَمَا هُمْ

العقيدة خاص [١]

المقالات الثالث عشر

بِضَّارِينَ يِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يُإِذْنُ اللَّهُ وَيَعْلَمُونَ مَا يَصْرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ أَشَرَّهُمْ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَّوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْكَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ الْنَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]. والنفاثات هن السواحر يعقدن وينفسن.

والمقصود أنه ثبت بهذه النصوص وغيرها أن السحر حقيقة في وجوده، وله تأثيره فمنه ما يُمرض، ومنه ما يقتل، ومنه ما يأخذ بالعقول، ومنه ما يأخذ بالأبصار، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، لكن تأثيره ذلك إنما هو بما قدره القدير بِهِمْ؛ أي بما قضاه وقدره في الكون وشاءه، لا أنه أمر به في الشريعة التي أرسل الله بها رسلاه وأنزل بها كتبه المطهرة، من ذلك وغيره - كما تقدم - أن القضاء والأمر والحكم والإرادة كل منها ينقسم على كوني وشرعي، فالكوني يشمل ما يرضاه الله ويحبه ويحبه شرعاً، وما لا يرضاه في الشرع ولا يحبه، والشرع يختص برضاته بِهِمْ ومحابيه ولهذا قال تعالى في الشرعي: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال عَلَيْهِمْ: ﴿وَلَا يَرْضى لِعِبَادِهِ الْكُفُرُ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ٧] فأخبر بِهِمْ أنه يريد بعباده اليسر وأنه يرضى لهم الشكر ولا يرضى لهم الكفر، مع كون كل من العسر واليسر والشكرا واقعاً بقضاء الله وقدره، والمقصود أن السحر ليس بمؤثر لذاته نفعاً ولا ضرراً وإنما يؤثر بقضاء الله تعالى وقدره وخلقه وتقوينه؛ لأنه تعالى خالق الخير والشر، والسحر من الشر، ولهذا قال تعالى: ﴿فَتَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّشُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يُإِذْنُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٠٢] وهو القضاء الكوني القدري، فإن الله تعالى لم يأذن بذلك شرعاً، وقد ثبت في "الصحيفتين" من طرق عن عائشة > قالت: ((سحر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله عَلَيْهِمْ ودعاه ثم

العقيدة خاص [١]

قال : أشعرت أن الله قد أفتاني فيما استفتني فيه ؟ قلت : وما ذاك يا رسول الله ؟
 قال : جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال
 أحدهما لصاحبه : ما وجد الرجل ؟ قال : مطبوّب ، قال : ومن طبّه ؟ قال : لييد
 بن الأعصم اليهودي منبني زريق ، قال : فبماذا ؟ قال : في مشط ومشاطة ،
 وجف طلعة ذكر . قال : فلأين ؟ قال : في بئر ذي أروان ، قال : فذهب النبي ﷺ في
 أنس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ، ثم رجع إلى عائشة فقال :
 والله لكان ماءها نقاعة الحناء ، لكان نخلها رءوس الشياطين . قلت : يا رسول
 الله : فأخرجته ؟ قال : لا ، أما أنا فقد عافاني الله تعالى وشفاني ، وخشيته أن أثور
 على النار منه شرّاً ، وأمر بها فدفت).

قال الإمام النووي # في (شرح مسلم) : "قال المازري # مذهب أهل
 السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأنه له حقيقة حقيقة غيره من
 الأشياء الثابتة خلافاً من أنكر ذلك ونفي حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات
 باطلة لا حقائق لها ، وقد ذكره الله تعالى في كتابه ، وذكر أنه مما يتعلم ، وذكر ما
 فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به ، وأنه يفرق بين المرأة وزوجها ، وهذا كله لا يمكن فيما
 حقيقة له ، وهذا الحديث أيضًا يصرح بإثباته ، وأنه أشياء دفت وأخرجت وهذا
 كله يبطل ما قالوه فإذاً كونه من الحقائق محال ، ولا يستنكر في العقل أن الله تعالى
 يخرق العادة عند النطق بكلام ملتفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على
 ترتيب لا يعرفه إلا الساحر . قلت : - والكلام للحكمي - قول المازري : خلافاً من
 أنكر ذلك . قال ابن هبيرة # أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة
 فإنه قال : لا حقيقة له عنده ، ثم ذكر الاختلاف في حكم الساحر ، وقال القرطبي
 # : وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء خلافاً للمعتزلة
 وأبي إسحاق الأسفرايني حيث قالوا إنه تمويه وتخيل . انتهى كلامه .

العقيدة خاص [١]

فثبت بهذا أن السحر له حقيقة وتأثير في المسحور ولا يمكن إنكاره، والذي ينكره نظر إلى نوع من أنواعه وهو ما يأخذ بالأبصار كالذي فعله سحرة فرعون عندما ألقوا حبالهم في قصة فرعون مع موسى #.

أنواع السحر، وحد الساحر

أنواع السحر:

اعلم أن السحر أنواع كثرة، ولكثرتها وقوعها وخفائها على الناس فقد اعتقد كثير من العوام أن من صدرت عنه هذه الأمور فهو من الأولياء، وعدُوها من كرامات الأولياء، وأآل الأمر إلى أن عبد أصحابها، ورجُي منهم النفع والضر، والحفظ والكلاة والنصر في الحياة والممات، بل اعتقاد كثير في أناس من هؤلاء أن لهم التصرف التام المطلق في الملك.

من أجل ذلك كان من الواجب ذكر شيء من أنواع السحر حتى يتقيها المسلم ويعلم أن المزاول لها مزاول للسحر.

فمن أنواع السحر الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به يكفر، وذلك أن المرأة تذهب إلى الساحر ليعمل لها أموراً ليعطف قلب زوجها على حبها، وأن تكون محظية عنده، ومن أنواع السحر العيافة، والطرق، والطيرة، فعن قطن بن قبيصة، عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: ((إن العيافة والطرق والطيرة من الجب)). قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخبط يخبط في الأرض، والجبت - قال الحسن -: رنة الشيطان. إسناده جيد رواه الإمام أحمد، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في "صحيحة" المسند منه.

العقيدة خاص [١]

إذن فالعيافة وهي زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها ومرها وهو من عادة العرب ويوجد في أشعارهم من السحر، وكذلك الطرق: وهو الخط الذي يخط في الأرض، وقيل: هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء من أنواع السحر أيضاً.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ # قوله: ((من الجبت)) أي من أعمال السحر. قال القاضي: والجبت في الأصل "الجبس" الذي لا خير فيه، ثم استعير لما يعبد من دون الله، وللساحر والسحر، وقال الطيببي: "من" فيه إما ابتدائية أو تبعيضية فعلى الأولى المعنى: الطيرة ناشئة من السحر، وعلى الثانية المعنى الطيرة من جملة السحر والكهانة، أو من جملة عبادة غير الله تعالى، أي: الشرك يؤيده قوله في الحديث الآتي: ((الطيرة شرك))، وفي الحديث دليل على تحريم التجريم؛ لأنه إذا كان الخط ونحوه الذي هو من فروع النجامة من الجبت، فكيف بالنجمة؟! انتهى كلامه.

وعن ابن عباس { قال: قال رسول الله ﷺ: ((من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد)) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في شرحه للحديث: قوله: ((فقد اقتبس شعبة من السحر)) أي المعلوم تحريمه، قال شيخ الإسلام: فقد صرخ رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَنَّ﴾ [طه: ٧٠]، وهكذا الواقع فإن الاستقراء يدل على أن أهل النجوم لا يفلحون في الدنيا ولا في الآخرة. قوله: ((زاد ما زاد)) يعني كلما زاد من علم النجوم زاد له من الإثم مثل إثم الساحر، أو زاد اقتباس شعب السحر ما زاد

العقيدة خاص [١]

المقالات الثالث عشر

اقتباس علم النجوم. قلت : -والكلام للشيخ سليمان - والقولان متلازمان ؛ لأن زيادة الإثم فرع عن زيادة السحر، وذلك لأنه تحكم على الغيب الذي استأثر الله بعلمه ، فعلم أن تأثير النجوم باطل محرم ، وكذا العمل بمقتضاه كالالتقرب إليها بتقريب القرابين لها كفر - قاله ابن رجب -. انتهى كلامه.

وللنسائي من حديث أبي هريرة < أن النبي ﷺ قال : ((من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وكل إليه)).

وذلك أن الساحر إذا أراد عمل السحر عقد الخيوط ونفث على عقده حتى ينعقد ما يريده من السحر، ولهذا أمر الله تعالى بالاستعاذه من شره في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّجَّارِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٥] يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك.

رابعاً : حد الساحر

ما كان السحر من أنواع الشرك وناقضاً من نواقض التوحيد فإن من يشتغل به فحكمه عند جمهور العلماء أنه يُحُدُّ بضربة بالسيف، وذهب بعضهم إلى أنه يقتل بمجرد السحر إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر. يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ # : " حد الساحر ضربة بالسيف بهذا الحديث الذي أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة فقالوا : يقتل الساحر ، وروي ذلك عن عمر وعثمان ، وابن عمرو وحفصة ، وجندب بن عبد الله ، وجندب بن كعب ، وقيس بن سعد ، وعمر بن عبد العزيز ، ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر إلا إن عمل في سحره ما يلغى الكفر ، وبه قال ابن المنذر ، وهو رواية عن أحمد ،

العقيدة خاص [١]

والأخ الأولى أولى للحديث ، ولأثر عمر الذي ذكره المصنف وعمل به الناس في خلافته من غير نكير فكان إجماعاً انتهى .

والدليل على أن الإجماع انعقد على أن حد الساحر ضربة بالسيف ما رواه الترمذى عن جندة مرفوعاً : " حد الساحر ضربة بالسيف " ثم قال الترمذى : الصحيح أنه موقف ، كما رواه الدارقطنى والحاكم وقال : صحيح غريب ، وفي (الصحيح البخاري) عن مجالة بن عبدة قال : " كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال : فقتلنا ثلاثة سواهن ".

وروى الإمام مالك في (الموطأ) : أن حفصة < أمرت بقتل جارية لها سحرتها . قال الإمام أحمد : " وصح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يزيد عمر ، وحفصة ، وجندبًا } والله أعلم .

خامساً : حكم تعلم السحر :

وبعد أن بيننا حد الساحر بقي أمر يتعلق بالسحر والساحر ، وهو حكم تعلم السحر ، وبيان ذلك أن الاتفاق حاصل على حرمة تعلمه ، قال ابن قدامة : " تعلم السحر وتعليمه حرام لا نعلم فيه خلافاً بين أهل العلم ، فاللائمة : أبو حنيفة ومالك وأحمد على أنه يكفر من تعلم السحر واستعمله ، وقد فصل بعض العلماء هذا القول فقال بعض أصحاب الإمام أحمد : يكفر الساحر بتعلمه وفعله ، سواء اعتقد تحريمه أو إباحته .

وقال ابن كثير عن قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ إِلَّا فِتْنَةٌ تُضْلِلُ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ٥٥] ، وقد استدل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر ،

العقيدة خاص [١]

المجلد الثالث عشر

واستشهاد له بأثر عبد الله بن مسعود < قال : ((من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)).

وقال صديق حسن القنوجي : "لا شك أن من تعلم السحر بعد إسلامه كان بفعل السحر كافراً مرتدًا" انتهى.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ # : "وقد نص أصحاب أحمد على أنه يكفر بتعلم وتعليمه. وروى عبد الرزاق عن صفوان بن سليم قال : قال رسول الله ﷺ : "من تعلم شيئاً من السحر قليلاً كان أو كثيراً كان آخر عهده من الله" وهذا مرسل. انتهى.

إذن لما كان السحر من أنواع الشرك إذا لا يتأتى السحر بدونه كان ناقضاً من نواقض التوحيد العشرة.

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك ونحن نعلم ، ونستغفر لك لما لا نعلم.

العقيدة خاص [١]

المصادر [٣٦] إلى [٣٩]

من نواقض الإسلام: عدم تكفير المشركين، أو الشك في كفرهم

عناصر الدرس

العنصر الأول : الآيات والأحاديث الدالة على هذا الناقض ٢٨٥

العنصر الثاني : الكلام على حكم من لم يكفر الكافر، أو شك في كفره ٢٩١

العنصر الثالث : أنواع اموالاة التي تقع مع أهل الكفر، والفرق بين اموالاة المكفرة وغيرها ٣٠٢

العقيدة خاص [١]

الصراط ثالثاً عشر

الآيات والأحاديث الدالة على هذا الناقض

ما لاشك فيه أن محبة المؤمن لأخيه المؤمن ونصرته ومؤازرته ومعاونته ومؤاساته من الإيمان، بل يزيد التأكيد على تلك المحبة حتى تكون شرطاً في الإيمان كما قال المصطفى ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) وهكذا كان الرعيل الأول من أصحاب الرسول ﷺ يحبون بعضهم ويرحمون بعضهم بعضاً، يظهرون الشدة على الكافرين وينشرون الألفة والمحبة والتواضع فيما بينهم، قال تعالى في وصفهم: ﴿مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ رَبِّكَعَسْجَدًا يَتَعَنَّقُونَ فَضَلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩]، ولما هاجر أصحاب رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ظهرت ثمار هذه المحبة وشاعت في جنبات المدينة، وبان للناس أن ذلك الإيشار الذي قدمه الأنصار للمهاجرين عندما وطئت أقدامهم ثرى طيبة الظاهر لم يكن إلا نتيجة منطقية لتلك المحبة والموالاة التي جاء بها الإسلام وركز عليها رسول الهدى ﷺ في دعوته، وربى عليها أصحابه } إذا تقرر ذلك فنقول: إن مظاهرة المشركين وموالاتهم وموافقتهم على دينهم ومعاونتهم على المسلمين يعده العلماء ناقضاً من نواقض التوحيد؛ لأن انتشار الصدر لمن أشرك بالله وموالاته ومعاونته على المسلمين ومحبته يهدم التوحيد وينقضه قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفَّارِ صَدَرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١٠٦] ذلِكَ بِأَنَّهُمْ أَسْتَحْبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٦ - ١٠٧].

لقد حذر الله تعالى نبيه ﷺ من موالاة المشركين الكفنة والرکون إليهم ونصرتهم ومعاونتهم قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُونُنَّ ظَهِيرًا لِلْكُفَّارِ﴾ [القصص: ٨٦]، وقد كثرت

العقيدة خاص [١]

الخطابات القرآنية المحددة من موالاة المشركين ومعاونتهم على المسلمين. فمن ذلك قول الله تبارك وتعالى :

١ - ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ أَوْيَاءً مِّنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيَسْ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَكْفُوا مِنْهُمْ نُفَسْدٌ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال الإمام ابن كثير # في تفسير هذه الآية: "نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين وأن يتخدوهم أولياء يسرورون إليهم بالمؤودة من دون المؤمنين ثم توعد على ذلك فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيَسْ مِنْ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨] أي : ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله ... ثم قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أي : يحذركم نقمته في مخالفته وسطوته وعدابه لمن والى أعدائه وعادى أولياءه" انتهى كلامه #.

٢ - قول الله - تبارك وتعالى - : ﴿يَتَأْيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِرْدُوْكُمْ عَلَى أَعْقَبِكُمْ فَتَنْقِلِبُوا خَسِيرِينَ ﴾ ١٥٠ ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَدُكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩ - ١٥٠] يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي # في تفسير هذه الآية: "وهذا نهي من الله للمؤمنين أن يطعوا الكافرين من المنافقين والمشركين فإنهم إن أطاعوهم لم يريدوا لهم إلا الشر وهم قصدتهم ردتهم إلى الكفر الذي عاقبته الخيبة والخسران، ثم أخبر أنه مولاهم وناصرهم ففيه إخبار لهم بذلك وبشارة بأنه سيتولى أمرهم بلطفة، ويعصمهم من أنواع الشرور، وفي ضمن ذلك الحث لهم على اتخاذه وحده ولِيًّا وناصرًا من دون كل أحد فمن ولائيه ونصره لهم أنه سيلقي في قلوب أعدائهم من

العقيدة خاص [١]

الكافرين الرعب، وهو الخوف العظيم الذي ينعنفهم من كثير من مقاصدهم، وقد فعل تعالى "انتهى كلامه.

٣ - قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلَائِهِ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَهَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾٥١﴿ قَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَرِّعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْنُ أَنَّا دَآتُرُهُ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَذَرِينَ ﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٢].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي # في تفسير هذه الآية : "يرشد تعالى عباده المؤمنين حين بين لهم أحوال اليهود والنصارى وصفاتهم غير الحسنة أن لا يتخدوهم أولياء فإن بعضهم أولياء بعض يتناصرون فيما بينهم ويكونون يدًا على من سواهم، فأنتم لا تتخذوهم أولياء فإنهم الأعداء على الحقيقة، ولا يبالون بضركم، بل لا يدخلون من مجدهم شيئاً على إضلالكم، فلا يتولاهم إلا من هو مثلهم، ولهذا قال : ﴿وَمَنْ يَتَوَهَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]؛ لأن التولي التام يوجب الاتصال إلى دينهم والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئاً فشيئاً حتى يكون العبد منهم" انتهى كلامه.

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي # : "ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض ولكن بين في مواضع آخر أن ولادة بعضهم لبعض زائفة ليست خالصة؛ لأنها لا تستند على أساس صحيح وهو دين الإسلام، فبين أن العداوة والبغضاء بين النصارى دائمة إلى يوم القيمة بقوله : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَى أَخَذْنَا مِنْ ثَقْهُمْ فَسَوْ حَطَا مَمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةَ ﴾ [المائدة: ١٤] ويبين مثل ذلك في اليهود حيث قال فيهم : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ عُلِّتْ أَيْدِيهِمْ﴾

العقيدة خاص [١]

وَلِعِنْوَاهُمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفْقِدُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِدَ رَبُّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
طَغَيْنَا وَكُفَّرُ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿٦٤﴾ [المائدة: ٦٤].

وذكر في هذه الآية الكريمة أن من تولى اليهود والنصارى من المسلمين فإنه يكون منهم بتوليه إياهم، وبين في موضع آخر أن توليهم موجب لسخط الله والخلود في عذابه، وأن متوليهم لو كان مؤمناً ما تولاهم وهو قوله تعالى: ﴿ تَرَى
كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَفْسُسُهُمْ أَنْ سَخَطَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ حَلِيلُونَ ﴾٨٠﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا أَخْذُوهُمْ أَوْلَاهُمْ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُوتُ ﴾
[المائدة: ٨٠ - ٨١] ونهى في موضع آخر عن توليهم مبيناً سبب التغير منه، وهو قوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِيمَانُوا لَا نَتُولُّ قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُلُونَ مَنِ الْآخِرَةُ كَمَا
يَسُؤُلُ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْبَبِ الْقُبُورِ ﴾ [المتحنة: ١٣].

وبين في موضع آخر أن محل ذلك فيما إذا لم تكن الموالاة بسبب خوف وتقىة، وإن كانت بسبب ذلك فصاحبها معذور وهو قوله تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ
الْكَفَرِينَ أَوْلَاهُمْ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ
تَكْتُقُوا مِنْهُمْ تُقْنَةً ﴾ [آل عمران: ٢٨] فهذه الآية الكريمة فيها بيان لكل الآيات
القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقاً وإيضاح أن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما
 عند الخوف والتقىة فيرخص في موالاتهم بقدر المداراة التي يكتفي بها شرهم،
 ويشترط في ذلك سلامه الباطن من تلك الموالاة:

ومن يأتي الأمور على اضطرار ♦ فليس كمثل آيتها اختياراً
ويفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفار عمداً اختياراً رغبة فيهم أنه
كافر مثلهم" انتهى كلامه #.

العقيدة خاص [١]

٤ - قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكُوْا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَئِكَ شَرٌ لَا نُصَرُّوْنَكُمْ ﴾ [هود: ١١٣].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي # في تفسير هذه الآية: "أي: لا تغسلوا إلى **إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا** فإنكم إن ملتم إليهم وافقتموه على ظلمهم أو رضيتم ما هم عليه من الظلم **فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** إن فعلتم ذلك **وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَئِكَ** يعنونكم من عذاب الله ولا يحصلون لكم شيئاً من ثواب الله **شَرٌ لَا نُصَرُّوْنَكُمْ** أي: لا يرفع عنكم العذاب إذا مسكم، ففي هذه الآية التحذير من الركون إلى كل ظالم، والمراد بالرکون الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم، وإذا كان هذا الوعيد في الرکون إلى الظلمة، فكيف حال الظلمة أنفسهم؟!. نسأل الله العافية من الظلم" انتهى كلامه #.

٥ - قوله تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا أَبْأَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

يقول الإمام ابن كثير # في تفسير هذه الآية: "أي لا يوادون المحاذين ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكُفَّارَ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَاتِلْ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَكُونُ مِنْهُمْ تُقْنَأَ وَيُحَمِّدُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ كَانَ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ أَقْرَبَتُهُمُوا وَتَجَنَّرَتْ تَحْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَكِنُ تَرَضَوْنَهَا أَحَبَ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادِ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ يَأْمُرُهُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ وقد قال سعيد بن عبد

العقيدة خاص [١]

العزيز وغيره: أنزلت هذه الآية: ﴿لَا تَحْدُّ فَوْمَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ﴾ إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ولهذا قال عمر بن الخطاب > حين جعل الأمر شوري بعده في أولئك الستة { } : "ولو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته" وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا إِبَاءَهُمْ﴾ نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر، ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن، ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ في مصعب بن عمير قتل أخيه عبيد بن عمير يومئذ ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ في عمر قتل قريباً له يومئذ أيضاً، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ، فالله أعلم" انتهى كلامه.

٦ - قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْتَخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوُّكُمْ أُولَئِكَ تُلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المتحنة: ١].

والآيات في هذا المعنى كثيرة وقد ألف الشیخ سليمان بن عبد الله آل الشیخ رسالة في هذا الناقض سماها (حكم موالة أهل الإشراك) سرد فيها كثيراً من الآيات والأحاديث المحدرة من موالة الكفار وموادتهم.

يقول الدكتور حسن العواجي - حفظه الله - : "وأكثر ما تكلم العلماء عن هذه المسألة عن بيان قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْتَخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوُّكُمْ أُولَئِكَ تُلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ حيث يذكرون أنها نزلت في شأن حاطب بن أبي بلترة وأنه لما عزم النبي ﷺ على غزو مكة كتب بخبره إلى أهل مكة كتاباً وأعطاه امرأة سافرت به إلى مكة، وذلك لينال عند قريش يدأ يحمي بها أهله وما له فأخبر الله نبيه بذلك فأرسل في أثر المرأة رجالاً من أصحابه أحدهم علي > وحدد لهم مكان وجود المرأة فلما وصلوا إليها هددوها حتى

العقيدة خاص [١]

الصراط مأرب الرابع عشر

أخرجت الكتاب ثم أتوا إلى النبي ﷺ فدعا حاطباً فقال له : ما هذا؟ فأخبره أنه لم يكفر ولم يرحب عن الإسلام ، وإنما أراد حماية أهله وماله فصدقه النبي ﷺ فأنزل الله قوله : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْجِدُوا عَدُوّي وَعَدُوّكُمْ أَوْلَاهُمْ مُّلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ...﴾ الآية. انتهى كلامه.

الكلام على حكم من لم يكفر الكافر، أو شك في كفره

من نواقض التوحيد: عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم أو تصحيح مذهبهم :

أولاً: الآيات الدالة على هذا الناقض.

ثانياً: الأحاديث الدالة على هذا الناقض.

ثالثاً: مسألة تكفير من لم يكفر الكافر.

رابعاً: الكلام على حكم من شك في كفر الكافر.

قلب المؤمن لا يتسع لحبة المؤمنين ومحبة الكافرين ، بل إن قلب المؤمن ينبغي أن يتلئ بحب الله تعالى وحب رسوله ﷺ ومحبة إخوانه المؤمنين والميل إليهم ومؤازرتهم وموالاتهم وتصحيح مذهبهم والدفاع عنه ومشاركتهم والتعاون معهم على البر والتقوى لما قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّقْوَى وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِلَّاثِ وَالْعُدُونَ﴾ [المائدة: ٢].

إذا تقرر ذلك ، سنتناول ناقضاً جديداً ذا صلة قريبة بالناقض السابق ألا وهو: تكفير المشركين أو الشك في كفرهم أو تصحيح مذهبهم ، فكل من لم يؤمن بأن

العقيدة خاص [١]

المشركين الذين يجادلون الله ورسوله، ويکفرون بالله، ويطعنون في رسالة نبينا محمد ﷺ أنهم کفار، من لم يؤمن بذلك فهو کافر مثلهم، أو شك في ذلك بأن شك في کفر الكافر الظاهر المعاند للحق، أو شك في أن المشرك الذي يظهر الشرك البواح أنه مشرك فهذا يعد مشركاً، ويعتبر قد نقض توحيده وإيمانه وخرج من دائرة الإسلام إلى دائرة الشرك والکفر؛ لأن المنافقين الذين كانوا يوافقون المسلمين في النطق بالشهادتين، ويظهرون بعض شعائر الإسلام لم ينفعهم ذلك؛ لأن ميلهم الحقيقى وموالاتهم التامة إنما كانت للمشركين.

حكم القرآن الكريم عليهم بالکفر والخروج من دائرة الإسلام في آيات، منها: قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُجَاتِ أَلَا سُفَلَىٰ مِنَ الْأَتَارِ وَلَنْ تَجِدُ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥] وجب على كل مسلم عرف ذلك أن يحكم عليهم بهذا الحكم الذي حكم الله به عليهم وصرحت به الآيات الكريمة، وأحاديث السنة القوية، فمن رفض هذا الحكم، ولم يکفر الكافر أو تسلى إلى ذهنه الشك في کفر الكافر والمشرك أصبح هو مشركاً، ونقض توحيده وإيمانه، وأصبح في دائرة المشركين والکافرين.

أولاً: الآيات الدالة على هذا الناقض:

إذا ظهر من المسلم شرك بالله أو جحود لأمر ثابت في الكتاب أو السنن وتحقق شروط التکفير وانتفت موانعه حكم بکفره وخروجه من دائرة الإسلام وارتداده عن الدين - والعياذ بالله - فيستتاب فإن تاب وإلا حكم بقلته ووجب على الحاكم المسلم تنفيذ ذلك الحكم، أما إن كان کفر ذلك الرجل غير مخرج من الملة أطلقنا عليه ما أطلقه الشرع من الكفر أو الفسق أو نحو ذلك من الاعتقاد بأنه باق على

العقيدة خاص [١]

الصراط ثالث الرابع عشر

الإسلام. والذي يهمنا هو: إذا أظهر العبد القول أو الفعل الذي يحكم عليه بوجبه بالكفر هل يجب علينا أن نحكم عليه بالكفر؟ وما موقفنا من ذلك؟.

فالآيات القرآنية المحددة من موالة الكفار والركون إليهم ، والداعية إلى مبادعتهم والبراءة منهم قاضية بضرورة وأهمية معرفة الكافر والحكم عليه بما آل إليه من الكفر.

فمن الآيات الدالة على ذلك قول الله - تبارك وتعالى - :

١ - ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقَوْكُمْ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾

(المتحنة: ١) فهذا تحذير من الله تعالى لعباده المؤمنين من اتخاذ المشركين أعداء الله أولياء، وهذا من أعظم الدواعي لبيان حال الكافر لاتخاذه عدواً والخذر منه وعدم موالاته.

٢ - ومنها، قوله الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَخِذُوا إِبَاءَكُمْ وَإِخْوَنَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ أَسْتَحِبُّو أَكْفَرَ عَلَى إِلَيْمَنْ وَمَنْ يَوْلَهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبه: ٢٣].

يقول الإمام ابن كثير # في تفسير هذه الآية: "أمر الله تعالى بمباهنة الكفار به وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهى عن موالاتهم إن استحبوا - أي: اختاروا - الكفر على الإيمان وتوعده على ذلك". انتهى كلامه رفع مقامه.

٣ - ومنها، قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ كَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَانُوا إِبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ سَكَّبَ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَيْمَنْ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحِ قِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

العقيدة خاص [١]

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي # في تفسير هذه الآية: "أي: لا يجتمع هذا وهذا فلا يكون العبد مؤمناً بالله واليوم الآخر حقيقة إلا كان عاملاً على مقتضى الإيمان ولو ازمه من محبة من قام بالإيمان وموالاته وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه، وهذا هو الإيمان -على الحقيقة- الذي وجدت ثرته والمقصود منه، وأهل هذا الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان، أي: رسمه وثبته وغرسه غرساً لا يتزلزل ولا تؤثر فيه الشبه والشكوك، وهم الذين قواهم الله بروح منه، أي بوحيه ومعونته ومدده الإلهي وإحسانه الرباني، أما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر وهو مع ذلك مواد لأعداء الله محب من ترك الإيمان وراء ظهره فإن هذا إيمان زعمي لا حقيقة له، فإن كل أمر لا بد له من برهان يصدقه فمجرد الدعوى لا تغير شيئاً ولا يصدق صاحبها". انتهى كلامه.

٤- منها، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُ دِرِيَّعُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرَبِّيٍّ إِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

يقول الإمام ابن كثير # في تفسيره هذه الآية: "يقول تعالى لنبيه ﷺ وإن كذبك هؤلاء المشركين فتبراً منهم ومن عملهم فقل: ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾١﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢] إلى آخرها، وقال إبراهيم الخليل وأتباعه لقومهم المشركين: ﴿إِنَّا بُرَءُوا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المتحدة: ٤] الآية". انتهى كلامه.

٥- منها، قوله: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾١﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾٢﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾٣﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴾٤﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَبِيدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾٥﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون].

العقيدة خاص [١]

الصراط ثالثة عشر

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: "هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالإخلاص فيه فقوله: {قُلْ يَأَيُّهَا الْكَفِرُونَ} يشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن المواجهون بهذا الخطاب كفار قريش". انتهى كلامه.

ثانياً: الأحاديث الدالة على هذا الناقض:

وأما الأدلة من السنة فكثيرة، منها:

- أ- قوله ﷺ: ((من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله)) رواه أبو داود في سننه، والحاكم في (المستدرك) وحسنه الألباني في (صحيح الجامع).
- ب- وفي رواية: ((لا تساكنوا المشركين ولا تجتمعوا بهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا)).
- ج- وقوله ﷺ: ((أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين)) رواه أبو داود في سننه، والترمذى في سننه، وصححه الألبانى في (صحيح الجامع).
- د- وقوله ﷺ: ((لا يقبل الله من مشرك أشرك بعد ما أسلم عملاً حتى يفارق المشركين إلى المسلمين)) رواه ابن ماجه، ومسند الإمام أحمد.
- هـ- وقوله ﷺ: ((لا تبدئوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه)) رواه مسلم.

يقول الدكتور حسن العواجي معلقاً على هذه الأحاديث: "فدللت الآيات الماضية وما بعدها من الأحاديث على لزوم مباعدة الكفار، والبراء منهم، ومقاطعتهم، ولا شك أن هذا يدعونا إلى تبيان معرفة الكافر، واستيضاح حاله ليحكم عليه

العقيدة خاص [١]

بالكفر الذي يمكن بمعرفته أن تم المباعدة، ولهذا فإنه يوجد في كثير من كلام أهل العلم تكفير الكافر، وتكفير من لم يكفره؛ بل تكفير من شك في كفره". انتهى
كلامه.

ثالثاً: مسألة تكفير من لم يكفر الكافر:

ذكر كثير من العلماء في كلامهم حول كفر الكافر مسألة مهمة وهي من لم يحكم على الكافر بالكفر هل يكون كافراً أم لا؟

فذهب كثير من أهل العلم إلى أنه كافر، حتى أصبحت هذه المسألة أصلًا من أصول أهل السنة والجماعة، فقد ذكر الإمام الصابوني # في أول رسالته (عقيدة السلف وأصحاب الحديث).. أنه طُلبَ منه أن يكتب رسالة تحوي أصول الدين التي مضى عليها السلف والعلماء ودعوا إليها ونهاها بما يضادها ووالوا في اتباعها، وكفروا من اعتقد غيرها، وبين # أن أهل السنة يكفرون من لم يعتقد أصول عقيدة السلف، واعتقد غيرها بما يضادها.

وهذا القاضي عياض # نقل الإجماع على كفر من لم يكفر الكافر، وذلك عند كلامه حول تكفير من صوب أقوال المجتهدين في أصول الدين حيث يقول: "وائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحداً من النصارى واليهود، وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك". انتهى كلامه.

ثم ذكر # أن العلماء أجمعوا على كفر الطائفة التي تدعي الإلهية في علي > وأن المخالف في تكفيرهم كافر.

العقيدة خاص [١]

المصادر المأذيع عشر

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية # يقول في حكم سب الصحابة: "أما من اقترب بسبه دعوى أن علياً إله أو أنه كان هو النبي، وإنما غلط جبريل في الرسالة فهذا لا شك في كفره؛ بل لا شك في كفر من توقف في تكفيه". انتهى كلامه.

يقول الدكتور حسن العواجي: "وبهذا يتضح لنا أن السلف كانوا يفهمون أن الآيات والأحاديث الدالة على مباعدة الكفار والبراء منهم دالة على أهمية تكفير الكافر، وإن لم تكن مصريحة به، وذلك لأن ما دلت عليه من المباعدة والمفاسدة لا يحصل إلا بعد الحكم على الكافر بالكافر ومعرفة حاله، وإلا كيف تعادي وتبغض من لم تعرف كفره، ونفاقه؟".

فمسألة الحكم بتكفير الكافر مبنية على أصل كبير وهو أن الله تعالى عقد الأخوة والموالاة والمحبة بين المؤمنين كلهم، ونهى عن موالاة الكافرين كلهم من ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم.

وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين، والأدلة عليه من الكتاب والسنة كثيرة مشهورة فكل مؤمن موحد تارك لجميع المكريات الشرعية فإنه يجب محبه وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك فإنه يجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة، وذلك على قدر ما عنده من مجانية الحق، فالولاء والبراء تابع للحب والبغض، والحب والبغض هو الأصل فإن أصل الإيمان أن نحب في الله أنبياءه وأتباعهم، وأن نبغض في الله من عاده، وعادى رسليه، وعلى هذا فإن كل من حكم الشرع بتكفيه فإنه يجب تكفيه، ومن لم يكفر من كفره الله ورسوله فهو كافر مكذب لله ورسوله، وذلك إذا ثبت عنده كفره بدليل شرعي". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

إذن يتضح بهذا أن جمهور العلماء يؤكدون على أن من صحيحة مذهب الكفار ووالاهم وركن إليهم، وتوقف في تكفيرهم أنه يحكم عليه بالكفر؛ لأن من كان هذا شأنه لا بد أن الإيمان لم يلامس شغاف قلبه، الإيمان الذي لا يتم إلا بالولاء والبراء أي : موالة أهل الإيمان ومحبتهم وتصحيف مذهبهم ، والبراءة من أعدائهم أهل الكفر والعصيان وبغضهم في الله ومناصبتهم العداء ، من أجل كفراهم، وكراهتهم مذهبهم ورفضه ومن ثم الحكم عليهم بالكفر، من كان هذا شأنه لا يشك عاقل في جهله وفسقه بل في كفره.

رابعاً: الكلام على حكم من شك في كفر الكافر:

وأما كلام أهل العلم في حكم من شك في كفر الكافر فكثير جداً أيضاً :
ومن ذلك ما ذكره البغدادي في (أصول الدين) حيث يقول : " وأما الشك في كفر أهل الأهواء فإن شك في أن قولهم هل هو فاسد أم لا؟ فهو كافر وإن علم أن قولهم بدعة وضلال ، وشك في كونه كفراً ، فبين أصحابنا أن في تكفير هذا الشاك خلافاً ، وقد قال أكثر المعتزلة بتكفير الشاك في كفر مخالفاتهم ، ونحن بتكفير الشاك في كفرهم أولى ". انتهى كلامه.

ونحن إذا وقفنا عند قول البغدادي هذا نجد فيه ما يوافق مذهب السلف وما يخالفه.

يقول الدكتور حسن العواجي : " فأما قوله بتكفير من شك في أن قول أهل الأهواء فاسد فهو حق ، وأما قوله بالاختلاف في تكفير من علم أن قولهم بدعة وضلال وشك في كونه كفراً فهو خلاف مذهب السلف ، فإنهم ييدعون ويضللون من ثبت أن قوله بدعة أو ضلال ، ولا يكفرون إلا من ثبت كفره ، وأما حكم

العقيدة خاص [١]

المصدر: المطبع عشر

البغدادي بتکفیر الشاك في کفر المعتزلة في مقابل تکفیرهم لمن شك في کفر مخالفهم من أهل السنة وغيرهم فإنه خطأ؛ لأن السلف لا يکفرون أهل الأهواء لتکفیرهم إياهم، وإنما يکفرونهم إذا ثبت لديهم کفرهم". انتهى کلامه.

قلت: وهذا الذي ذكره الدكتور حسن، هو الصحيح وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو أصل من أصول مذهبهم؛ لأن أهل الأهواء يحكمون في غالب الأحيان على مخالفتهم بمحض الهوى والعصبية، أما السلف - رحمهم الله - فإنهم ضبطوا قواعد مذهبهم بالكتاب والسنة، وكانوا في حكمهم على مخالفتهم من أهل الأهواء والبعد متقيدين بالدليل من الكتاب والسنة، ولم يعطوا فرصة للعصبية أو الهوى للنيل من خصومهم، وهو منهج في غاية العدل، انطلاقاً من قول الله تعالى ﴿ وَلَا يَجِرُ مَنْ كُمْ شَنَعَنْ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدُلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨]. فإذا أخطأ أهل الأهواء - بحكم منهجهم - فأصدروا الحكم بتکفیر على من خالفهم لم يجز لأهل الحق - وهم السلف - أن يفعلوا فعلهم فيحكموا على من حكم عليهم بالکفر شناًناً وبعضاً - يحكموا - عليه بالکفر.

وقد تقدم معنا کلام القاضي عياض # ومنه قوله - مبيناً انعقاد الإجماع من أهل العلم على کفر من لم يکفر الكافر يقول - : "وقائل هذا کله کافر بالإجماع على کفر من لم يکفر أحداً من النصارى واليهود، وكل من فارق دین المسلمين أو وقف في تکفیرهم أو شك". انتهى کلامه.

ومن کلام أهل العلم في کفر من شك في کفر الكافر ما قاله شیخ الإسلام ابن تیمیة # عن أهل وحدة الوجود - بعد أن ذكر مذهبهم الباطل وأنه أشر من

العقيدة خاص [ا]

قول النصارى - فقال : "فهذا كله كفر باطلاً وظاهراً بإجماع كل مسلم ، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ، ومعرفة دين الإسلام فهو كافر كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمرجعى". انتهى كلامه.

فبين الشيخ # أن الشك في كفر من اتضح كفره واستهان كفره بحد ذاته ، لأن من شك في كفر الكافر يدل على أنه يتزدّد بين كونه مسلماً أو كافراً ، والمتردد بين كون الكفر يقبل أو لا يقبل كافراً. ومن الأدلة كذلك على إجماع العلماء على كفر من شك في كفر الكافر : قول شيخ الإسلام ابن تيمية # أيضاً وهو يتكلّم على حكم من سب الصحابة { } : "من زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره؛ لأنَّه مكذب لما نصَّه القرآن في غير موضع من الرضا عنهم، والثناء عليهم؛ بل من يشك في كفر مثل هذا فإنَّ كفره متعين وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام". انتهى كلامه.

وهذا تصريح شيخ الإسلام ابن تيمية # بتکفير الشاك في كفر من ثبت كفره ، وأنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

ومن أقوال العلماء في كفر من شك في كفر الكافر ما ذكره الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ، ونقل معه إجماع العلماء على أن الشاك في كفر الكافر إذا بينت له الأدلة من الكتاب والسنة على كفرهم ، واستمر في شكه وترددته أنه يكفر ، كما نقله عنه الدكتور حسن العواجي في (شرح نواقض التوحيد) ثم قال : "علم من تلك النقول عن أهل العلم - المتفاوتين في الأزمان والأماكن - ومن خلال

العقيدة خاص [١]

المصادر المأذن بمائة عشر

استنادهم إلى أدلة الكتاب والسنة أن من ثبت لديه كفر الكافر، ثم بقي شاكاً في الحكم عليه بالكفر فإنه يكفر". انتهى.

خامساً: التنبية على خطورة التكفير:

بقي هنا أن نشير إلى مسألة مهمة تتعلق بهذا الناقض ألا وهي : التنبية على خطورة التكفير، والحكم على الآخرين ، فإن التكفير وإخراج المرء من دائرة الإسلام أمر ليس بالهين ، فينبغي التنبه له والحذر منه ، فإنه ظهر في الآونة الأخيرة جماعة تتسرع بالحكم بالتكفير على الناس تسمى "جماعة التكفير" حتى إنهم يعتبرون الأمة الإسلامية الآن ليست على شيء ، وأنهم يعتبرون الحكام والمحكمين كفاراً مرتدین ، وأن أمة الإسلام تعيش الجاهلية الأولى ، كل ذلك بسبب الجهل بمقاصد الشريعة وعدم قراءة سيرة العلماء البانيين الذين كانوا ينهون عن التسرع في إصدار أحكام التكفير والتبديع والتفسيق على المخالف ، ما لم يقم دليل شرعي واضح وصريح من الكتاب والسنة على ذلك ؛ لأن التكفير حق من حقوق الله ورسوله ﷺ فلا يجوز أن نكفر إلا من كفره الله ، أو كفره رسوله ﷺ ، لأن هناك موانع من التكفير تردع المرء وتزجره من إصدار حكم التكفير جزافاً على الآخرين.

وقد أكد جمهور أهل العلم ، وتبه عليه شيخ الإسلام ابن تيمية # مراراً في كتبه أن التكفير أمر خطير لا يجوز للمسلم أن يصدره في حق المخالف أياً كان إلا بدليل واضح وقطعي من كتاب الله تعالى ، أو من سنة المصطفى ﷺ وأنه لا يصار إليه إلا بعد بيان الحق ، وإيضاح الدليل ، وإزالة الشبهة ، وإقامة الحجة ؛ لأن

العقيدة خاص [١]

بعض المخالفين قد يكون الذي يمنعه من اتباع الحق عدم وضوح الدليل وبعضهم قد يكون المانع له من الحق شبهة خيمت في ذهنه وعقله فإذا أزيلت عنه تلك الشبهة رجع إلى الحق ، أما صاحب البدعة المكفرة المعاند الذي إن بنت له الحق ، وأوضحت له الدليل ، وأزلت عنه الشبهة ، وأقامت عليه الحجة عاند وكابر ورفض الحق ، وقسك بباطله ، فهذا هو الذي يحكم عليه بالكفر بعينه ولا كرامته بسبب مواليته للكفارة ، أو تصحيح مذهبهم وعدم تكفيرهم ، أو بسبب شكه في كفرهم.

وإذا حكمنا على الموالي للكفارة والارتداد عن دين الإسلام فليس في هذا الحكم تجنٌّ عليه ولا ظلم له. فإنه علم بطريق العقل أن من صادق عدوًّا أمرئ ثم ادعى محبته وصداقته فقد اتصف بالحمامة وأي حمامقة.

ولقد أحسن القائل :

تود عدوِي ثُمَّ تزعمُ أَنِّي ♦ صديقُ لِيْسَ التوكُ عنك بعارِب

أنواع الموالاة التي تقع مع أهل الكفر والفرق بين الموالاة المكفرة وغيرها

لا شك أن الموالاة للكفار لها صور وحالات ، وأن أحکامها تختلف باختلاف أحوالها وأحوال أصحابها ، وقد بين الدكتور حسين العواجي تلك الأنواع في كتابه (شرح نوافع التوحيد) فقال :

أولها: الموالاة للكافرين مع مساكتهم في ديارهم والخروج معهم في قتالهم ونحو ذلك ، وهذه الموالاة يحكم على أصحابها بالكفر كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ ۝ مَنْكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ ۝ ﴾ [المائدة: ٥١] ، وقال النبي ﷺ : ((من جامع المشركين وسكن معهم

العقيدة خاص [١]

فإنه مثلهم) رواه أبو داود والحاكم، وقال : حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه.

وقال ﷺ : ((أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين)) رواه أبو داود.

وهذا الحكم بالكفر بحسب ما يظهر منه من محاربة المسلمين وتوليه للكافرين وحربه معهم، حتى وإن كان يضم إيماناً، إذ لا يعلم ذلك إلا الله وليس لنا إلا الظاهر.

وثانيها : الموالاة للكافرين لأجل دينهم، فمن والاهم لأجل ذلك فهو منهم؛ لأن من أحب قوماً حشر معهم، وقد أجمع العلماء على أن هذا النوع من الموالاة حرام، وهذا النوع من الموالاة كالأول يحكم على صاحبه بالكفر بحسب الظاهر.

وثالثها : الموالاة لهم في ديار الإسلام إذا قدموا إليها كما نرى من ضعاف النفوس المقدسين للحضارة الغربية فإنه يحب ويحترم المهندسين والأطباء منهم ويوقرهم ولا يفعل ذلك مع العلماء والمتزمنين من المسلمين قال تعالى : ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَرِّعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ تَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآبَرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٣] إلا أنه لا يحكم على صاحبه بالكفر الاعتقادي إلا إذا كانت تلك الموالاة حباً في دينهم وتفضيلاً له على الإسلام.

ورابعها : الموالاة للكفار لأغراض شخصية أو دنيوية كقرابة أو مصلحة مالية أو حصول على أمر دنيوي مع البعض والكراهية لما هم عليه من الدين ، وهذه أخف أنواع الموالاة ، ولكن الواجب الحذر منه والتزره عن الوقوف فيه ؛ لأنه قد يسبب عدم إنكار المنكر أو الرضا بالكفر ، وهذا النوع لا يكفر صاحبه ، ولكنه يجلب منه مذمة المخالطة للكفارة.

العقيدة خاص [١]

الفرق بين الموالاة المكفرة وغيرها:

لقد فرق العلماء بين الموالاة التي يحكم على صاحبها بالكفر وبين الموالاة غير المكفرة.

قال ابن حزم # : "من حملته الحمية من أهل الغر من المسلمين فاستعن بالشركين الحربيين وأطلق أيديهم على قتل من خالفه من المسلمين أو على أخذ أموالهم أو سبيهم ، فإن كانت يده هي الغالبة وكان الكفار له كتابة له فهو هالك ، في غاية الفسوق ، ولا يكون بذلك كافراً؛ لأنه لم يأت شيئاً أوجب به عليه كفراً قرآن أو إجماع وإن كان حكم الكفار جارياً عليه فهو بذلك كافر على ما ذكرنا فإن كانوا متساوين لا يجري حكم أحدهما على الآخر فما نراه بذلك كافراً - والله أعلم - ، وإنما الكافر الذي برئ منه رسول الله ﷺ هو المقيم بين أظهر الشركين" انتهى كلامه # .

وقد علق الدكتور حسن العواجي على كلام ابن حزم بقوله : "فظهر من كلام ابن حزم أن من ركن إلى الكفار وقاتل المسلمين منهم أنه أحد اثنين إما أن يكون تابعاً لهم جارياً على حكمهم فهو بذلك كافر ، وإما أن يكون الكفار تابعين له مؤمنين بأمره أو تتساوى طاعتهم له وطاعته لهم فهو لا يكفر ، ولا يخلو الحالان من موالاة بين الطرفين. إدأ لا بد من إيضاح كلام ابن حزم ، وأنه يعني بحكمه بالكافر وعدمه الكفر الاعتقادي ، وإنما الكفر العملي فإنه يطلق عليه وإن كان الكفار تابعين له ، أو تتساوى في الطاعة لبعضهم ، ودليل ذلك أن الرسول ﷺ قد سمى قتال المسلم كفراً ، ومن تلك الأقوال التي فيها التفريق بين الموالاة المكفرة وغيرها ما قاله الشيخ محمد بن عبد اللطيف # : "من عجز عن الخروج من بين ظهري المشركين وأخرجوه معهم كرهًا فحكمه حكمهم في القتل وأخذ المال لا

العقيدة خاص [١]

الصراط ثالثة عشر

في الكفر، وأما من خرج معهم لقتال المسلمين طوعاً و اختياراً وأعانهم ببدنه وما له فلا شك أن حكمه حكمهم في الكفر.

والذي يظهر من خلال شرح هذا الناقض أن الموالاة لأهل الكفر والفسق والفواحش كفراً وفسقاً بعينها، ثم إن الشخص الذي يوالى أصحابها يطلق عليه أنه كافر أو فاسق، ولكن إطلاق الكفر لا يعني حمله على الكفر الاعتقادي فقط، فقد يعنيه، وقد يراد به الكفر العملي، فلا بد من النظر فإن كانت هذه الموالاة من النوع الأول والثاني، اللذين ذكرناهما في أنواع الموالاة، وذلك بأن يسكن معهم أو يخرج لقتال المسلمين إلى جنبهم أو يواليهم لأجل دينهم فيرى أنه يخالف الإسلام أو يفوقه فإنه يحكم عليه حينئذ بالكفر الاعتقادي المخرج من الملة، وإن كانت من الأنواع الأخرى أطلقنا عليه الكفر بالنظر إلى أن عمله من فروع الكفر وشعبه ولم نحكم عليه بالكفر الاعتقادي المخرج من الملة" انتهى كلامه.

هل الكفر الذي يحصل بهذا الناقض كفر عملي أم اعتقادى؟

إذا تقررت تلك الأنواع التي ذكرنا للموالاة فإننا نقول: إن الموالاة التي يحصل بها الكفر العملي لا تخرج من الملة ولا تعد ناقضاً للتوحيد، وإن النوع الأول والثاني من تلك الموالاة هو الذي يعتبر كفراً اعتقادياً مخرجاً من الملة، وبالتالي نقول: إن هذا النوع من الموالاة هو الذي نعنيه بشرحنا لهذا لهذا الناقض وهو الذي إذا أطلقناه يكون هو المراد بالموالاة المكفرة، إلا أنه ينبغي أن نشير إلى أن الأنواع الأخرى للموالاة منها ما هو كفر عملي، ومنها ما هو محروم أو فسق، وعموماً بكل من اتبع غير المسلمين وركن إليهم فقد اتبع غير سبيل المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعُ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

[النساء : ١١٥].

العقيدة خاص [١]

المقرر الفاصل عاشر

من نواقص الإسلام: بغض شيء مما جاء به الرسول أو أن هديه
غيره أفضل منه هديه

عناصر الدرس

- العنصر الأول : منزلة السنة ومكانتها في التشريع وهل السنة
توافق القرآن أو تعارضه؟
٣٠٩
- العنصر الثاني : إنكار السنة وجودها وحكم باغضها
٣١٤
- العنصر الثالث : اعتقاد أن هدي النبي ﷺ أكمل الهدي شرط في
صحة الإيمان، وأن حكم غير الرسول ﷺ لا
يكون أفضل من حكمه أو يساويه
٣١٩
- العنصر الرابع : الرد على من يساوي كلام غير الرسول بكلام
الرسول في تشريع الشرائع، أو يتجرأ على تحريم
ما أحل، أو تخليل ما حرم على لسان الرسول ﷺ
٣٢٧

العقيدة خاص [١]

منزلة السنة ومكانتها في التشريع، وهل السنة تواافق القرآن أو تعارضه؟

أولاً: منزلة السنة ومكانتها في التشريع :

تعتبر السنة شقيقة القرآن، وهي المصدر الثاني للتشريع فهي وحي ثانٍ كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْئِى ۝ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۝ ﴾ [النجم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۝ ﴾ [الإسراء: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَبَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَمَكَ مَا لَمْ تَعْلَمْ ۝ ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَأَذْكُرْ بِمَا يُشَلِّ فِي بُيُوتِكُمْ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ۝ ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. والسنة مرتبطة بالقرآن مفسرة له، ومبينة لمجمله، لا يستغني بالقرآن عنها، ولا يستغني بها عن القرآن، وما يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ ۝ ﴾ [النحل: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَنَاكَ اللَّهُ ۝ ﴾ [النساء: ١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لِهُمُ الَّذِي أَخْنَفُوا فِيهِ ۝ ﴾ [النحل: ٦٤].

يقول الشيخ مصطفى السباعي # في كتابه القيم: (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي): "وكان الصحابة في عهد رسول الله ﷺ يستفيدون أحكام الشرع من القرآن الكريم الذي يتلقونه عن الرسول ﷺ وكثيراً ما كانت تنزل آيات القرآن مجملة غير مفصلة، أو مطلقة غير مقيدة، كالأمر بالصلوة جاء مجملًا لم يُبيّن في القرآن عدد ركعاتها، ولا هيئتها، ولا أوقاتها ولا شروطها، وكذلك كثير من الأحكام التي لا يمكن تفويتها دون الوقوف على شرح ما يتصل بها من شروط وأركان ومقاصد، فكان لا بد لهم من الرجوع إلى رسول الله ﷺ لمعرفة الأحكام معرفة تفصيلية واضحة، وكذلك كانت تقع لهم كثير من الحوادث التي

العقيدة خاص [١]

لم ينص عليها في القرآن، فلا بد من بيان حكمها عن طريقه ﷺ وهو مبلغ عن ربه، وأدرى الخلق بمقاصد شريعة الله وحدودها، ونهجها ومراميها، وقد أخبر الله في كتابه الكريم عن مهمته الرسول ﷺ بالنسبة للقرآن أنه مبين له، وموضع لرميمه، وآياته حيث يقول الله تعالى في كتابه: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالْزُّبُرِ وَأَنَّزَلْنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنفَعُونَ﴾ [النحل: ٤٤] كما يبين أن مهمته إيضاح الحق حين يختلف فيه الناس ﴿وَمَا أَنَّزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي أَخْلَقُوا فِيهِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤] وأوجب النزول على حكمه في كل خلاف: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّونَ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا فَضَيَّتْ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وأخبر أنه أُتي القرآن والحكمة ليعلم الناس أحكام دينهم فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمْ وَيُرَزِّكُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَنِي ضَلَّلِ مُشِّينِ﴾ ، ويدل على ذلك أن الله أوجب على المسلمين اتباع الرسول فيما يأمر وينهى فقال: ﴿وَمَا أَنَّكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا﴾ [آل عمران: ٧] وقرن طاعة الرسول بطاعته في آيات كثيرة من القرآن فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] وتحث على الاستجابة لما يدعو فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَجِيبُ لَهُمْ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاهُمْ لِمَا يَحْسِبُهُمْ﴾ [آل الأنفال: ٣٤] واعتبر طاعته طاعة الله، واتباعه حبّاً لله: ﴿مَنْ يُطِيعَ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال أيضاً ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُجْبِنُ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّبُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبُكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣١] وحذر من مخالفة أمره: ﴿فَلَيَحْذِرَ الَّذِينَ يُخَالِقُونَ عَنْ أَنْرِفَةِ أَنْصِبِيهِمْ فِتْنَةً أَوْ يُصِيبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آل النور: ٦٤]، بل أشار إلى أن مخالفته كفر: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكُفَّارِ﴾ [آل عمران: ٣٢] ولم

العقيدة خاص [١]

يبع للمؤمنين مطلقاً أن يخالفوا حكمه أو أوامره ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣١] انتهى كلامه #.

ونقل الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ # عند قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّونَ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا فَضَيَّتْ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] قول العالمة ابن القيم #:
أقسم سبحانه بأجل مُقسم به، وهو نفسه يَعْلَمُ على أنه لا يثبت لهم إيمان، ولا يكون من أهله حتى يُحَكِّمَ لرسوله ﷺ في جميع موارد النزاع، وفي جميع أبواب الدين، فإن لفظة "ما" من صيغ العموم، ولم يقتصر على هذا حتى ضم إليه انشراح صدورهم بحكمه ويقابلونه بالقبول، ولا يأخذونه على إغماض، ولا يشربونه على قذى فإن هذا منافٌ للإيمان، بل لا بد أن يكون أخذه بقبوله ورضاه، وانشراح صدره، ومتى أراد العبد شاهداً فلينظر في حاله، ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه، وغرضه، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار وما دونها ... ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قوله: ﴿وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ فذكر الفعل مؤكداً له بالمصدر القائم مقام ذكره مرتين، وهو الخضوع والانقياد لما حكم به طوعاً ورضاً وتسلیماً لا قهراً أو مصابرةً، كما يسلم المقهور لمن قهره كرهـا، بل تسليماً عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه، ويعلم أن سعادته، وفلاحه في تسليماته" انتهى.

وما يؤكّد مكانة السنة ومنزلتها، وأنها الوحي الثاني بعد الله تعالى قوله ﷺ ((تركت فيكم شيئاً لن تضلوا بعدهما؛ كتاب الله وسنتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض)) أخرجه الحاكم في (المستدرك)، وقوله ﷺ في الحث على طاعته:

العقيدة خاص [١]

((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)) رواه أبو الفتح المقدسي في كتاب (الحجۃ على تارک الحجۃ).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ناقلاً قول ابن رجب -رحمهما الله- : "أما معنى الحديث فهو أن الإنسان لا يكون مؤمناً كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها؛ فيحب ما أمر به ويكره ما نهى عنه، وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع، وذم سبحانه من كره ما أحبه الله تعالى أو أحب ما كره الله كما قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحَبَّتْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ١٠] وقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحَبَّتْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩] فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه، وأن يكره ما كرهه الله كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه، فازدادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه تنزيهاً كان ذلك فضلاً؛ فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب ذلك له أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى بما يرضى به الله ورسوله ويستخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجواره بمقتضى هذا الحب والبغض" انتهى.

ثانياً: هل السنة توافق القرآن أو تعارضه؟

لقد قدمنا في العنصر الأول أن السنة شقيقة القرآن، وأنها الوحي الثاني، إلا أن هذا الوحي لسنا متعبدين بتلاوته كما تعبدنا بتلاوة القرآن، فسنة المصطفى ﷺ وهي بوحي كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَطِقُ عَنِ الْمُؤْمِنِيْنَ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣، ٤] فالسنة توافق القرآن ولا تعارضه، وقد جاءت أحاديث المصطفى

العقيدة خاص [١]

مُبَيِّنَة لِتعالِيمِ الْقُرْآنِ شَارِحةً مَفْصِلَةً لِجَمْلَهِ، وَمُبَيِّنَةً لِأَحْكَامِهِ، وَمُقيِدةً لِمُطْلَقِهِ، فَالْحِكْمَةُ الَّتِي أُوتِيَهَا الْمُصْطَفَى ﷺ مَعَ الْقُرْآنِ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلِمْتَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النِّسَاء: ١١٣] لِمَ نَجَدُ فِيهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ مَعَارِضَةً لِتَعْلِيمَاتِ الْقُرْآنِ وَتَوْجِيهَاتِهِ، كَمَا بَيْنَ ذَلِكِ عَلَمَاءُ الْأُمَّةِ، وَحُمَّادُ الدِّينِ.

يقول الشيخ مصطفى السباعي # : "من هنا كان المسلمون في حاجة إلى معرفة بيان رسول الله ، مع حاجتهم إلى معرفة كتاب الله ، ولا يمكن أن يفهم القرآن على حقيقته ، وأن يعلم مراد الله من كثير من آيات الأحكام فيه إلا بالرجوع إلى الله ورسوله ﷺ ، الذي أنزل الله عليه الكتاب ليبيّن للناس ما نُزِّلَ إليهم ، ومن هنا اتفق المسلمون قدِيًّا وحدِيثًا إلا من شدّ من بعض الطوائف المنحرفة على أن سنة رسول الله ﷺ من قول ، أو عمل ، أو تقرير هي من مصادر التشريع الإسلامي الذي لا غنى لكتاب مترشّع عن الرجوع إليها في معرفة الحلال والحرام ، وما لا ريب فيه أن متن القرآن قطعي الثبوت ، ثم منه ما هو قطعي الدلالة ، ومنه ما هو ظنيها ."

أما السنة المواترة منها قطعية الثبوت ، وغير المواتر ظني الثبوت في تفصيله ، وإن كان قطعيًا في جملته ، ومرتبة ظني الثبوت في نوعيه قطعي الدلالة ، وظنيها يأتي بعد مرتبة قطعي الثبوت بنوعيه -قطعي الدلالة وظنيها- ، ومن هنا كانت مرتبة السنة بعد مرتبة الكتاب "انتهى".

إذًا فاتضح بهذا أن السنة لم تكن يومًا تعارض القرآن ، بل توافقه وتسايره ، ولهذا كانت مع القرآن الكريم هي المصدر للشريعة ، فمن زعم أنها معارضة

العقيدة خاص [ا]

للقرآن، فهذا إما نتيجة للأخذ بما لم يصح من السنة، أو من فهمه السقيم، وهذه آفة عظيمة كما قال أبو الطيب المتنبي #:

وكم من عائب قوله صحيحاً ❖ وافته من الفهم السقيم

إنكار السنة وجودها وحكم بغضها

لم يكن أحد يتوقع أن مسلماً يأتي في تاريخ الإسلام ويعلن أنه متبع للقرآن منكر للسنة؛ لأن القرون المفضلة فيما بعدها تتابعت على أن سنة المصطفى ﷺ شقيقة القرآن مبينة لبعض أحكامه، ومفسرة لبعضها، ومقيدة لطلاقها حتى ظهرت في العصر الحديث جماعة تسمى نفسها "القرآنين" تزعم أنها على الإسلام، غير أنها لا تؤمن إلا بما جاء في كتاب الله تعالى، وتعارض تعاليم السنة المطهرة، وقد ظهرت هذه الجماعة في دولة باكستان المسلمة، وقد تبيّن أنها من صنع المستشرقين الحاذدين على الإسلام وال المسلمين.

يقول الشيخ مصطفى السباعي #: "منذ بضع سنوات عقد مؤتمر للدراسات الإسلامية في لاهور بباكستان حضره علماء مسلمون من مختلف البلاد الإسلامية، كما حضره عدد من المستشرقين، وقد ظهر للعلماء المسلمين أن هؤلاء المستشرقين هم الذين أوصوا بفكرة عقد هذا المؤتمر، ودعوا إليه عدداً من تلاميذهم الفكريين في الهند وباسستان، وكأن أشدّهم تعصباً، وأكثرهم جهلاً باعترافه هو وبعد أن ألقى بحثه -المستشرق الكندي "سميث" ولعله يهودي، وكان مما ألح عليه المستشرقون يومئذ بحث السنة والوحي النبوى ومحاولة إخضاعهما لقواعد العلم، كما يزعمون، وقد انتهى بعض تلاميذهم إلى إنكار الوحي كمصدر للإسلام واعتبار الإسلام أفكاراً إصلاحية من محمد ﷺ، وفي العالم

الماضي قامت ضجة في باكستان حول جماعة من المثقفين المسلمين بدءوا يدعون إلى إلغاء اعتبار السنة مصدر من مصادر التشريع الإسلامي ، وتبين بعد ذلك أن هؤلاء من تلاميذ المستشرق الكندي "سميث" انتهى كلامه.

وقد نقل الدكتور حسن العواجي في كتابه: (شرح نواقص التوحيد) عن الشيخ ابن باز # أنه قال: "من قال بعدم الاحتجاج بالسنة، وأنه لم يحفظ منها شيء فإن مفهوم كلامه أن الله قد أحال عباده إلى شيء لا وجود له، وهذا من أبطل الباطل، وأعظم الكفر بالله وسوء الظن به" انتهى كلامه #.

ونقول : لم يزعم أنه متبع للقرآن رافض للسنة إن اتباعك للقرآن ناقص ، فلو كنت متبعاً للقرآن حقاً لقبلت السنة ؛ لأن القرآن قد أمر باتباع السنة ، ولم يكن السلف يفرقون بين أوامر القرآن وأوامر السنة ؛ فروى ابن عبد البر # في جامع بيان العلم وفضله) أن عبد الله بن مسعود < قال : ((لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والمتنميات والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله)) قال : فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها "أم يعقوب" فقالت : يا أبا عبد الرحمن بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال : وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله ؟ قالت : إني لأقرأ ما بين الوحيين مما أجده ، قال : إن كنت قرأتيه لقد وجدتنيه أما قرأت : ﴿وَمَا آتَنَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [الحشر: 7] قالت : بلـي . قال : فإنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ انتهى .

ولقد حذرَ الرسول ﷺ من ظهور هؤلاء المنكرين فقال ﷺ: ((يُوشك بأحدكم يقول: هذا كتاب الله ما كان فيه من حلال أحللناه، وما كان فيه من حرام حرمناه، ألا من بلغه عني حديث فكذب به فقد كذب الله ورسوله، والذي حدثه)) رواه ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله)، وعن أبي رافع يرفعه أن

العقيدة خاص [١]

النبي ﷺ قال : ((لا ألفين أحدكم متكتئاً على أريكة يأتيه أمر ما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدرى ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)) رواه الترمذى ، وقال هذا حديث حسن صحيح وأبو داود .

وعن المقداد بن معدى كرب < قال : قال رسول الله ﷺ : ((ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجال شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن مما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه)) رواه أبو داود ، وفي رواية للترمذى : ((إنا حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله)) رواه الترمذى والدارمى .

ونقول لمنكري السنة والجاحدين لتعاليم الرسول ﷺ ما موقفكم من هذه الآية وهي قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْكَرُوا إِنَّمَا تَنْزَلُ مِنْ عَنْ رَبِّهِ فَرِدُوا إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ أَكْثَرُ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحَسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٢٩] كيف يكون الرد إلى الرسول ﷺ في حياته ؟ وبعد وفاته بأبي هو وأمي ﷺ ؟

أما معتقد السلف وهو المنهج الحق فيبين أن الرد عليه بعد وفاته ﷺ ، فمعناه الرجوع إليه في حياته وتحكيمه في موارد النزاع ، وأما الرد عليه بعد وفاته ﷺ فمعناه الرجوع إلى سنته وأخذ الأحكام منها ، وتطبيقها في حياة الأمة وعدم الرغبة عنها إلى شرائع الأمم الأخرى وقوانين البشر الوضعية . بهذا تكون قد فهمنا الآية فهماً صحيحاً ، وفسرناها التفسير السليم كما هو رأي جمهور المفسرين - رحمهم الله - ، ويدخل في بعض السنة وإنكارها السخرية من الأحكام الشرعية الواردة في السنة ، أو السخرية من الملتزمين بها كالسخرية من إعفاء اللحية ، وتقضير الثوب في هذه الأزمان .

العقيدة خاص [١]

المقالات الفتاوى عشر

حكم بأغضن السنة:

مذهب السلف وأهل العلم قديماً وحديثاً هو تكفير بأغضن السنة وجاحدها. يقول الدكتور حسن العواجي: "وفيما يلي بعض النقولات في ذلك: قال ابن عمر < : "من ترك السنة كفر" ، وهذا بلا شك محمول على الترك مع الجحود ؛ إذ لا يتصور أن يقصد أن من ترك السنة لعذر أو لعصيان مع اعترافه بقدرتها وتعظيمها أنه يكفر، فإن السلف لا يكفرون بالمعاصي إلا أن يراد الكفر العملي وقد يعني بالسنة منهج النبي ﷺ مطلقاً فمن تركه إلى غيره من المناهج كفر، وقال ابن بطة: "لو أن رجلاً آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئاً واحداً؛ كان برد ذلك الشيء كافراً عند جميع العلماء" ومعلوم أن السنة من أعظم ما جاء به محمد ﷺ وقد جاء تصريح ابن بطة بذلك في موضع آخر، فذكر أن من رد شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ فهو كافر.

وروي عن الأوزاعي عن مكحول قال: "السنة سنتان: سنة الأخذ بها فريضة وتركها كفر، وسنة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غيره حرج" ، وتفسير ذلك أن السنة إما أن يُراد بها منهج النبي ﷺ وطريقته التي هي خلاف البدعة فإن منكرها كافر، وإما أن يراد بها السنة التي هي خلاف الفريضة، فيُعدّ تركها نقصاً في الدين، وهذا ما عبر عنه بقوله: "حرج" ، وقال ابن القيم: "من ظن أنه يستغني بما يلقى في قلبه من الخواطر والهواجر فهو من أعظم الناس كفراً" ، وقال السيوطي: "اعلموا -رحمكم الله- أن من أنكر كون حديث النبي ﷺ قوله أو فعلًا بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر، وخرج عن

العقيدة خاص [١]

دائرة الإسلام، وحُشر مع اليهود والنصارى، أو مع من يشاء من فرق الكفرة"،
وقال الشيخ عبد العزيز بن باز بعد أن ورد الأدلة على حجية القرآن والسنة على
حد سواء: "وهما أصلان متلازمان من جحد واحداً منها فقد جحد الآخر،
وكذب به، وذلك كفر وضلال، وخرج عن دائرة الإسلام بإجماع أهل العلم
والإيمان".

فأوضح لنا مما سبق -والكلام ما زال للدكتور العواجي- مع الأدلة على حجية
السنة وكونها وحيًا أوحاه الله إلى نبيه، وما أعقبناه من ذكر أقوال أهل العلم في
تكفير من أنكرها أن من ظهر منه إنكار السنة، وهو على علم بما مضى حكم
بكفره، واستتبّ؛ فإن تاب وإلا قتل، ومن أنكرها جهلاً علّم، وأقيمت عليه
الحجّة، فإن أصرّ حكم بكفره، واستحقّ إقامة الحد عليه" انتهى كلامه.

ونقول أخيراً: إن الكفر يعنيه وذكره أهل العلم فيما يخصّ باغض السنة ومنكرها
لا نقصد به من أنكر حديثاً بعينه لعدم صحته عنده، فإن من الأحاديث ما هو
موضوع، أو ضعيف، أو متكلم فيه، فإنكار الأحاديث الضعيفة والموضوعة من
الأعمال الصالحة التي يُتقرّب بها إلى الله تعالى، ولا يُعتبر إنكارها إنكاراً للسنة،
ولا يُعد ناقضاً من نواقض التوحيد، كما أن هناك من العلماء من اشتغل بعلوم
ال الحديث؛ فتجده يردّ أحاديث وينكرها، ويرفض العمل بها لعدم الوقوف بها،
وتوفر شرائط الصحة فيها.

فمنكر هذا لا يُعدّ منكراً للسنة ولا باغضاً لها، وبالتالي لا نحكم عليه بالكفر،
ولا نقول: إنه أتى بناقض من نواقض التوحيد.

العقيدة خاص [١]

المقالات الفتاوى عشر

اعتقاد أن هدي النبي ﷺ أكمل الهدي شرط في صحة الإيمان، وأن حكم غير الرسول
لا يكون أفضل من حكمه أو يساويه

لا زلنا نتابع في بيان ما يضاد عقيدة التوحيد وينقضها، وقد ذكرنا بعضاً من نواقض التوحيد، التي تهدم الإيمان وتُقلِّعُ أركانه، ويخرج بها المرء من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر والردة - والعياذ بالله - كالتالي غزلت صوفها غزلاً قوياً محكماً، ثم رجعت فنقضته، ونفَّسته كما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿كَلَّتِ
نَقْضَتِ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ فُوَّةٍ أَنْكَثَاهَا﴾ [النحل: ٩٢] ونهى عن ذلك، وتحدثنا عن ناقض من نواقض التوحيد، وهو: (عدم تكفير الكافر أو الشك في كفره)، وبيننا أن لم يرض بحكم الله تعالى، أو حكم رسوله ﷺ على المشركين المعاندين المحادين لله ولرسوله بالكفر من لم يرض بذلك الحكم فهو كافر مثلهم؛ لأنَّه طعن في أحكام الله تعالى، وأحكام رسوله ﷺ والطاعن في الشريعة والرّاد لما علم بالاضطرار من دين الإسلام كافر، ثم عرضنا لمسألة الشاك في كفر الكافر هل هو كافر أم لا؟ وذكرنا أن جمهور أهل العلم، وفتاواهم مصرحة بأنَّ من شك في كفر الكافر المعاند المجاهر بكفره، وقد ردَّ أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، وهذا بحد ذاته كفر، وطعن في الدين.

ونحن في هذا الدرس أمام ناقض جديد من نواقض التوحيد، وسبب في زوال الإيمان، والخروج من دائرة الإسلام هذا الناقض هو: اعتقاد أن هدى غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه.

وإذا كان الناقض السابق يقبح في الشريعة، بالطعن في أحكامها؛ فإنَّ هذا الناقض - كما تَرَوْن - يطعن في صاحب الشريعة ﷺ وينقضه، ويخدش مرتبة النبوة ومنزلة الرسالة، وهذا الطعن يؤدّي إلى نقض الإيمان، والكافر بشهادة أن لا

العقيدة خاص [ا]

إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ لأن معنى الجزء الثاني من الشهادة هو اتباع النبي ﷺ وطاعته فيما أمر والاجتناب عما نهى عنه وزاجر، فمخالفته النبي ﷺ طعن في رسالته، والطعن في الرسالة رد للشهادة، ورد الشهادة كفر بالله ورسوله ﷺ. وعناصر هذا الدرس هي :

أولاً: إذا أدعى مدعاً أنه يؤمن بالله تعالى وبرسوله ﷺ ويتلفظ بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، ثم يزعم أن هناك هدياً أحسن من هدي النبي ﷺ وأكمل :

فنقول له : إن تلفظك بالشهادتين لا يكفي وإيمانك ناقض ؛ لأن إيمانك لا يتم إلا باعتقادك أنه ليس هناك في الوجود هدي أكمل ولا أحسن من هدي المصطفى ﷺ وأن تتبعه في كل صغيرة وكبيرة، كما قال بعض السلف : "لو استطعت أن لا تحك رأسك إلا بسنة فافعل". يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ # عند تفسير قول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّاهِرَاتِ...﴾ الآية : (النساء : ٦٠) لما كان التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله مشتملاً على الإيمان بالرسول ﷺ مستلزمًا له وذلك هو الشهادتان، ولهذا جعلهما النبي ﷺ ركناً واحداً في قوله في (ال الصحيح) : ((بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً)) تبليغ الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد، واستلزم منه من حكم الرسول ﷺ في موارد النزاع ؛ إذ هذا هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، ولا زمها الذي لا بد منه لكل مؤمن، فإن من عرف أن لا إله إلا الله فلا بد من الانقياد لحكم الله، والتسليم لأمره الذي جاء

العقيدة خاص [١]

من عنده على يد رسوله محمد ﷺ فمن شهد أن لا إله إلا الله، ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول ﷺ في موارد النزاع فقد كذب في شهادته، وإن شئت قلت: لما كان التوحيد مبنياً على الشهادتين؛ إذ لا تنفك إحداهما عن الأخرى لتلازمهما، وكان ما تقدم من هذا الكتاب -يشير لكتاب (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد) في معنى شهادة أن لا إله إلا الله التي تتضمن حق الله على عباده.

نبه في هذا الباب على معنى شهادة أن محمداً رسول الله التي تتضمن حق الرسول ﷺ فإنها تتضمن أنه عبد لا يعبد، ورسول صادق لا يكذب، بل يطاع ويُتبع؛ لأنَّه المبلغ عن الله تعالى، فله ﷺ منصب الرسالة، والتبلغ عن الله، والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه؛ إذ هو لا يحكم إلا بحكم الله ومحبته على النفس، والأهل والمال، والوطن، وليس له من الإلية شيء، بل هو عبد الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ مَلَّاقٌ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَدْعُهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ٢٠]، وقال ﷺ: ((إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله))، ومن لوازم ذلك محبته ومتابعته، وتحكيمه في موارد النزاع، وترك التحاكم إلى غيره كالمنافقين الذي يدعون الإيمان، ويتحاكمون إلى غيره، وبهذا يتحقق العبد بكمال التوحيد، وكمال المتابعة، وذلك هو كمال سعادته، وهو معنى الشهادتين.

إذا تبين هذا فمعنى الآية المترجم لها: أن الله -بارك وتعالى -أنكر على من يدعى الإيمان بما أنزل الله على رسوله، وعلى الأنبياء قبله، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر المصنف في سبب نزولها، قال ابن القيم: "والطاغوت كل من تعدد به حده من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، فكل ما تحاكم إليه متنازعان غير كتاب الله، وسنة

العقيدة خاص [١]

رسوله ﷺ فهو طاغوت ؛ إذ قد تعدى به حدّه ، ومن هذا كل من عبد شيئاً دون الله ، فإنما عبد الطاغوت ، وجاوز بعبوده حدّه ، فأعطاه العبادة التي لا تنبعي له ، كما أن من دعا إلى تحكيم غير الله تعالى ورسوله ﷺ فقد دعا إلى تحكيم الطاغوت ، وتأمل تصديره سبحانه الآية مُنكراً لهذا التحكيم على من زعم أنه قد آمن بما أنزل الله على رسوله ﷺ ، وعلى من قبله ثم هو مع ذلك يدعوا إلى تحكيم غير الله ورسوله ﷺ ، ويتحاكم إليه عند النزاع وفي ضمن قوله : **﴿يَرْعَمُونَ﴾** نفي لما زعموه من الإيمان ، ولهذا لم يقل : ألم تر إلى الذين آمنوا فإنهم لو كانوا من أهل الإيمان حقيقة لم يريدوا أن يتحاكموا إلى غير الله تعالى ورسوله ﷺ ولم يقل فيهم **﴿يَرْعَمُونَ﴾** ، فإن هذا إنما يقال غالباً لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب ، أو منزلة الكاذب لمخالفته لوجبه ، وعمله بما ينافيها ، قال ابن كثير : "والآية لمن عدل عن الكتاب والسنّة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت ها هنا" انتهى كلامه .

ثم نقل الشيخ عن ابن رجب - رحمهما الله تعالى - قوله : "إن الإنسان لا يكون مؤمناً كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء له الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها فيحبّ ما أمر به ، ويكره ما نهى عنه ، وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع ، وذمّ سبحانه من كره ما أحبه الله تعالى ، أو أحب ما كره الله كما قال : **﴿ذَلِكَ إِنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَلَا حَبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾** [محمد: ٢٩] ، وقال : **﴿ذَلِكَ إِنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَلَا حَبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾** [محمد: ٤٠] ؛ فالواجب على كل مؤمنٍ أن يحبّ ما أحبه الله محبته توجب له الإتيان بما وجب عليه منه ، فإن زادت الحبة حتى أتى بما ندب إليه كان ذلك فضلاً ، فمن أحبّ الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب ذلك له أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله ، ويكره ما كرهه الله ورسوله ، ويرضى بما يرضى به الله ورسوله ،

العقيدة خاص [١]

ويُسخط ما يُسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجواره بمقتضى هذا الحب
والبغض" انتهى كلامه.

فأوضح بهذا أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أن هدي النبي ﷺ أكمل الهدي،
فلا يتبع غيره ولا يطاع غيره من البشر، ولا يتحاكم إلى غيره، ولا تلتزم
السعادة، ولا الحق في غير هديه ﷺ.

ثانياً: من اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أفضل من حكمه، أو أن هديه أحسن
من هديه أو يساويه :

فقد نقل الشيخ حسن العواجي عن الشيخ محمد بن إبراهيم # في كتابه:
(تحكيم القوانين) التفصيل في ذلك : فإن كان تحكيمه لغير حكم الرسول مع
اعتقاده أنه أفضل من حكم الرسول ﷺ ، أو يساويه فهذا كفر اعتقادي مخرج
لصاحبه من الملة، أما إن كان تحكيمه لغير حكم الرسول ﷺ بسبب هوى
النفس ، أو للأغراض الدنيوية مع إيمانه بأن حكم الرسول ﷺ حقّ ، وأن هديه
أكمل وأفضل من غيره من القوانين فهذا كفر عملي يبيّن لصاحبه الحق ، ويوضح
الدليل ، وتقام عليه الحجة ، وتزالت الشبهة عن صاحبه ، فإن أصرّ على اعتقاده
حكم عليه بالكفر الاعتقادي المخرج من الملة.

وكل هذا الأنواع متوعدة بالعذاب ؛ لأنَّه أقدم على الكفر سواء اعتقد كذب
الرسول ﷺ وهو صاحب الهدي التام ، أو لم يعتقد ، ولكن استكبار عن الإيمان
به ، أو لإعراضه عنه اتباعاً لهواه ، أو لارتيابه فيما جاء به المصطفى ﷺ . فكل من
كذب بما جاء به النبي فهو كاره ، فمن لم يتبع الرسول ﷺ وخالف أمره باتباع

العقيدة خاص [١]

غيره وتحكيمه في موارد النزاع ؛ فقد ضيّع حقاً من حقوق الرسول ﷺ ولم يتلزم الأدب الواجب في ذلك.

يقول العلامة ابن القيم # : " ومن الأدب مع الرسول ﷺ أن لا يتقى بين يديه بأمر ولا نهي ، ولا إذن ولا تصرف حتى يأمره هو وينهى ، ويأذن كما قال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا لَأُنْقَدُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] ، وهذا باقي إلى يوم القيمة ولم ينسخ ، فالتقى بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته ، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم ، ومن الأدب معه أن لا يستشكل قوله ، بل يستشكل الآراء لقوله ولا يعارض نصه بقياس ؛ بل تهدر الأقيسة ، وتلقي لنصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولا ؛ نعم هو مجهول ، وعن الصواب معزول ، ولا يوقف قبول ما جاء به ﷺ على موافقة أحد ، فكل هذا من قلة الأدب معه ﷺ وهو عين الجرأة " انتهى .

ويقول صاحب كتاب (التأدب مع الرسول ﷺ) : وما يدخل في هذا المعنى -أي : التقدم بين يدي رسوله ﷺ: القوانين الوضعية على الشريعة الإسلامية في هذا العصر حتى لو لم يصرح واضعوا هذه القوانين ، أو الذين استوردوها أنها أفضل من الشريعة الإسلامية أو لا ؛ لأن مجرد إقصاء الشريعة الإسلامية عن الحياة البشرية ، ووضع القوانين الوضعية مكانها ، وإجبار الناس على التحاكم إليها ، والتوعيد لمن يخالفها بالعقاب الشديد ، وإن خالفت الشريعة الإسلامية صريحة كما هو مشاهد في واقعنا اليوم " انتهى كلامه .

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي # عند تفسير قول الله تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ﴾ [المائدة: ٤٤]: " وهذه الآية الكريمة فيها التصریح بالنهی عن التقدیم بين يدي الله ورسوله ، ويدخل دخولا أوليا

العقيدة خاص [١]

تشريع ما لم يأذن، وتحريم ما لم يحرمه، وتحليل ما لم يحلله؛ لأنه لا حرام إلا ما حرمه الله، ولا حلال إلا ما حلله الله، ولا شرع إلا ما شرع الله" انتهى.

ويقول شارح (الطحاوية) # : "فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره، وتلقى خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نقدم آراء الرجال وزبالة أذهانهم فنوحّده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان كما نوحّد المرسل بالعبادة، والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا نتحاكم إلى غيره، ولا نرضى بحكم غيره. انتهى.

فمن اعتقد أن أحداً غير النبي ﷺ عنده من الهدي والحق ما لم يأت به المصطفى ﷺ، أو أن هديه وحكمه يساوي هدي المصطفى ﷺ فقد نقض إيمانه بالنبي ﷺ لرفضه لركيزة مهمة من ركائز الإيمان ألا وهي: طاعة الرسول ﷺ وحكم الرسول ﷺ هو حكم الله تعالى، والمعرض عنهم إلى حكم آخر مبتغٍ حكم الجاهلية، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمُحْكَمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْعَدُونَ وَمَنْ أَحَسَنَ مِنَ اللَّهِ حَكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقَنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] يقول الإمام ابن كثير # عند تفسير هذه الآية: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله الحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شرٍّ وعدل إلى ما سواه من الآراء، والأهداف، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التيار من السياسات الملكية المأخوذة عن فلكهم، - جنكيز خان- الذي وضع لهم (الياسق): وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام اقتبسها من شرائع شتى من

العقيدة خاص [١]

اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره، فصارت في بيته شرعاً متبناً يقدموها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم في سواه في قليل ولا كثير". انتهى.

وقد بين الدكتور حسن العواجي الفرق بين من أعرض عن حكم الرسول ﷺ معتقداً أن حكم غيره أفضل منه، أو يساويه، أو لا يعتقد ذلك، ولكنه يقدم حكم غيره تبعاً للهوى والأغراض الدنيوية فقال: "ومعلوم أن من أعرض عما أنزل الله فحكم بغيره اتباعاً لهواه وشهوته، غير مرتابٍ في فضل حكم الله على غيره، ولا جاحداً له، فإن كفره ليس مخرجاً من الملة حتى تتحقق فيه شروط التكفير، وتنتفي موانعه كقيام الحجة وإصراره بعد ذلك على فعله فهو به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر، وقال طاووس مثله، وقال عطاء: كفر دون كفر، ونقل ابن عبد البر إجماع العلماء على أن دفع شيئاً أنزله الله مع الاعتراف بما أنزل الله أنه كافر، ومعلوم أن المراد بالكافر هنا إما أن يكون الكفر الاعتقادي أو العملي، فإن كان معتراضاً بما أنزل الله، وأنه حق إلا أنه يحكم بغيره شهوة، أو هدى، أو نحو ذلك؛ فإن كفره كفر عمل يبين له، وتقام عليه الحجة فإن أصر حكم بکفره اعتقادياً، ولنعلم أن الحكم بما أنزل الله في الشريعة الإسلامية يعني الحكم بالكتاب والسنة على السواء. إذا المنزلي يشمل الكتاب والسنة كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْجَحُونَ﴾ فَإِنْ تَنْزَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرُوْدٌ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَإِلَيْهِ الْأَخْرِيَّ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحَسَنُ تَأْوِيلًا ﴿النساء: ٥٩﴾ فأحال ﷺ عباده إذا تنازعوا في شيء إلى الاحتكام إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ انتهى.

العقيدة خاص [١]

المؤلف: الأمام ابن حشر

الرد على من يساوي كلام غير الرسول بكلام الرسول في تشريع الشرائع، أو يتجرأ على تحرير ما أحل، أو تحليل ما حرم على لسان الرسول ﷺ

ثالثاً: لا شك أن من يساوي كلام غير الرسول ﷺ بكلامه في تشريع أمور، أو فرض فرائض، أو ذكر فضائل أن هذا الفعل ناقض من نواقض الإيان، وهو فعل من أفعال أهل البدع من أرباب الطرق وشيوخ الفرق.

فمن اعتقد أن أحداً من البشر بعد محمد ﷺ يأخذ عن الله فشرع للخلق أموراً فيوجب، ويحرم، وبيح ويذكر الفضائل لبعض الأعمال فإنه يكفر، وقد اعتقد هذا بعض من يدعى الإسلام من شيوخ الفرق؛ حيث اعتقدوا أن المشايح يستطيعون أن يشرعوا في دين الله ما لم ينزل تشريعيه في الكتاب والسنّة؛ فتراهم يُوجبون على المريدين أموراً ويحرمون أشياء أخرى، ويضعون الشواب والأجر لبعض الأعمال من تلقاء أنفسهم، يقول الدكتور حسن العواجي: "وهم بذلك قد خالفوا عقيدة السلف من أنه لا أحد من البشر بعد محمد ﷺ يمكنه أن يأخذ عن الله تعالى، فقد انقطع الوحي من السماء بوفاة محمد ﷺ."

ومعلوم أن هؤلاء أكثر ما يأخذون دينهم وشرعنهم عن طريق الرؤى التي يتمثل لهم فيها الشيطان، وقد عرف أن الأخذ عن الله والكلام خلقه لا يكون إلا بإحدى ثلاث كما نصّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِشَرِّيْأَنْ يُكَلِّمُهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِّهِ جَحَّابٌ أَوْ مِنْ رَسُولٍ رَّفِيْعٍ يَأْذِنُهُ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

فاما الكلام من وراء وإرسال الملائكة فهو خاص بالأنبياء، وأما الثالثة وهي الإيحاء، وإن كان فيها نصيب للولي إلا أنه لا بد عن حصولها من عرضها على الكتاب والسنّة، وذلك لما عرف أن الإيحاء أنواع، ومنها وسوسه الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان كما يقول: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُوحِّنُ إِلَىٰ أَوْلَيَّهُمْ

العقيدة خاص [١]

لِيُجَدِّلُوكُمْ ﴿الأنعام: ١٢١﴾، قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيْطَانَ إِلَيْنَا وَالْجِنَّةِ يُوحِي بَعْضُهُمُ إِلَيْهِ بَعْضٌ رُّحْرُقَ الْقَوْلِ عَرِروْرًا﴾ ﴿الأنعام: ١١٢﴾، وقد وجدنا بعض الصوفية يدعى إمكان نزول الملك بعد وفاة النبي ﷺ على الولي. ويقول: إن الفرق بين ذلك وبين نزوله على النبي ﷺ لا يجتمع له الكلام، ورؤيه الملك كما صرّح بذلك الشعراي في (رسالة الفتح في تأويل ما صدر عن الكامل من الشطح)، ونقلها عن الألوسي في (جلاء العينين).

وإذا كان إمام المحدثين عمر > يجوز عليه الخطأ والنسيان فليس في شيخ الصوفية معصوم، بل الخطأ يجوز عليهم كلهم، كما قال أبو الحسن الشاذلي # : " وقد ضمنت لنا العصمة فيما جاء في الكتاب والسنّة، ولم تضمن لنا العصمة في الكشوف والإلهام" انتهى كلامه.

رابعاً: لا شك أن البشر قاصة عقولهم عن إدراك جميع المصالح والمنافع، وبالتالي غير مهيئين لحريم الأشياء وتحليلها من تلقاء أنفسهم؛ لأن الله تعالى خالق البشر وبصير بما ينفعهم فيحله لهم، وما يضرهم فيحرمه عليهم.

ولو لم يرسل الله تعالى الرسل بالبشرارة والندارة لما أوجب على الناس شيء، ولما حرم عليهم شيء قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿الإسراء: ١٥﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَيَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ﴾ ﴿النساء: ١٦٥﴾، وقد أمر الله تعالى الناس بالتسليم والإيمان بحكمه، وتطبيق الأوامر والتواهي التي جاءت في رسالاته التي يبعث بها رسله قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونُ لَهُمْ الْخَيْرٌ مِّنْ أَمْرِهِمْ﴾ ﴿الأحزاب: ٣٦﴾ فالتحليل والحريم من حقوق الله تعالى ورسوله ﷺ فمن خالف أمر ربه بإيجاب أمر على الناس، أو نهيه لهم عن شيء لم يأمر الله به، أو لم ينه عنه كان ذلك موجباً للعقاب والجزاء

العقيدة خاص [١]

من الله تعالى ، وهذه جرأة عظيمة على حدود الله تعالى وأحكامه ، وتزداد هذه الجرأة أكثر عندما يحرم إنسان أمراً من تلقاء نفسه الأمارة بالسوء ، أو يحلّه للناس وينسب ذلك التحرير أو التحليل إلى الرسول ﷺ زوراً وبهتاناً وجراةً.

وقد حذر الله من ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ يَكَانُوا مِنَ الظَّالِمِينَ مَا كُنْتُمْ بِأَعْلَمٍ لَكُمْ وَلَا تَعْنِدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧] و قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا إِلَيْنَا مَا تَصْنَعُونَ إِنَّ اللَّهَ الْكَذِيبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَنَفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِيبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْرُطُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِيبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦].

فمرتبة التحليل والتحرير خاصة بالأئباء الذين آيدهم الله بالوحي من بين جميع الخلق فمن حام حولها كما يفعل واضعوا القوانين في هذا العصر فقد نقض إيمانه وهدم إسلامه ، ودخل في دائرة الكفر. نسأل الله السلامة .

العقيدة خاص [١]

أَنْصَارُ الْإِسْلَامِ لِلْعَمَلِ

من نواقض التوحيد: الاستهزاء بشيء من دين الرسول، أو
الاعتقاد بأن بعض الناس يسعه الخروج على شريعته

عناصر الدرس

العنصر الأول : امراد بالاستهزاء، ومنه الاستهزاء بالله جل وعلا ٣٣٣

العنصر الثاني : الاستهزاء بالرسول ﷺ وبدين الله تعالى ٣٣٨

العنصر الثالث : قام النعمة بكمال الرسالة الإسلامية، وأنه لا يبلغ أحد من الناس مرتبة النبي ﷺ ٣٤٥

العنصر الرابع : الصحيح في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام وأقوال العلماء في تكثير من أجاز الخروج على شريعة خاتم النبيين ٣٥٣

العنصر الخامس : امراد بالإعراض وأنواع الإعراض عن دين الله ٣٥٩

العنصر السادس : تحذير القرآن الكريم والسنة النبوية من هذا النافق ٣٦٥

العقيدة خاص [١]

أَنْصَارُ الْإِسْلَامِ وَلِيُّ اَلْمَاظِنِ

المراد بالاستهزاء، ومنه الاستهزاء بالله جل وعلا

من خلال عناصر الدرس السابق تبين لنا أن السنة النبوية لها مكانة عظيمة في التشريع الإسلامي، فهي شقيقة القرآن والوحى الثاني المبين للقرآن والمفسر له، والمقيد لمطلقه، كما وضحتنا أن منكري السنة والجاحدين لها قد ناقضوا القرآن الذي جاءت آياته بالترغيب في السنة، واتباع الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، بل سنته وحى يوحى؛ إلا أن هذا الوحي لسنا متعبدين بتلاوته كما تعبدنا بتلاوة الوحي الذي جاء في القرآن الكريم.

ثم أشرنا إلى أن القرآن يبين الذين ظهروا بين المسلمين في العصر الحديث كانوا نتاجاً وثرة لجهود المستشرقين، وخصوصاً المستشرق الكندي : "سميث" في الشرق الإسلامي ، حيث كان ظهور تلك الطائفة في دولة الباكستان المسلمة ، كما جلبنا طائفة من آيات الكتاب العزيز ، وأحاديث السنة المطهرة المحدّرة من إنكار السنة ، أو مخالفة أوامر الرسول ﷺ أو نواهيه ، وأن فاعل ذلك باغض للسنة ، ومشاقّ للرسول ﷺ ومن أغض السنة ، وشاق الرسول ﷺ فقد نقض إيمانه ، وخرج من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر ، والرّدة - والعياذ بالله .

إذا تقرّر ذلك فنحن اليوم أمام ناقض جديد من نواقض التوحيد ليس بعيد الصلة عن الناقض السابق ، هذا الناقض هو: "الاستهزاء بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله أو عقابه". لأن الاستهزاء بالشيء ينجم عادة عن بغضه ، ومعاداته ، واستصغراه ، وعدم الإيمان به ، وذلك لا يكون من مسلم دخل الإيمان قبله ، وإنما فكيف نعدّ امراً مسلماً ، وهو يستهزئ بالله تعالى ، أو يستهزئ برسوله ﷺ

العقيدة خاص [١]

أو يسخر من شيء من دين الله تعالى، وكيف تصور منه الإتيان بالعبادات، والأوامر الشرعية.

وهذه الصفة الاستهزائية هي صفة نفافية كان يتمتع بها المنافقون في عصر النبوة، فكانت تنزل آيات الوحي كالصواعق عليهم -نبي الرسول ﷺ والمسلمين بما تقتل به قلوب أولئك المنافقين من السخرية، والاستهزاء بالرسول ﷺ، وبنطاليم القرآن، وبالدين الذي جاء به خاتم النبيين ﷺ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ أَمْنَوْا قَالُوا إِنَّا مَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيْطَنِيهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا تَخْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ١٤ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَصْلَاهُ بِالْهُدَى فَمَا يَنْهَا تَجْهَرُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ١٥ [البقرة: ١٤ - ١٦] فكانوا بذلك الاستهزاء، وتلك السخرية من دين الرسول ﷺ أشدّ كفرًا من المشركين وفي الدّرّك الأسفى من النار ، -والعياذ بالله تعالى .

أولاً: المراد بالاستهزاء وأنواعه :

الاستهزاء في اللغة: يقال : هزئ منه ، وهزئ به هُزُءًا ، وهزوءًا ، ومهزأة ، وتهزأ به ، واستهزا ، استهزاء إذا سخر منه ، ورجل هُزُءَ بالتسكين يهزا به ، وهو هُزُءَة بالتحريك ، يهزا بالناس .

اصطلاحًا: الاستهزاء يراد به السخرية منه ، وتنقيصه وبغضه والطعن فيه ، وعدم احترامه ، والاستهزاء يكون باللسان والقول ، وقد يكون بالحركة والفعل ، فمن نطق بكلمة فيها استهزاء بالله تعالى أو برسوله ﷺ ، أو بدينهם فهو مستهزئ بدين الرسول ﷺ .

العقيدة خاص [١]

أَنْتَ أَنْتَ الْمُسَبَّبُ لِلْمُسَبَّبِ

ثانيًا: الاستهزاء الذي يُعدّ ناقصاً من نواقض التوحيد، ويدخل بأنواعه ضمناً في الاستهزاء بدين الرسول ﷺ أو ثواب الله وعقابه أنواع:

النوع الأول: الاستهزاء بالله تعالى، هو ضربان:

أ- استهزاء يُعدّ كفراً محضاً.

ب- واستهزاء يُعدّ سبّاً وتنقصاً للمولى عَزَّلَهُ.

النوع الثاني: الاستهزاء بالرسول ﷺ وهو ضربان:

أ- استهزاء يُعدّ كفراً محضاً؛ لأنّه يقوم على التكذيب.

ب- واستهزاء فيه شتم وسبّ وتنقيص للرسول ﷺ.

ثانيًا: الاستهزاء بالله جلّ وعلا:

لا شكّ أنّ من يتجرّأ فيتكلّم في ذات الله تعالى كلاماً تشمّ منه رائحة الاستهزاء والسخرية؛ فإنّ كان يعتقد ذلك ويؤمّن به فهذا كفر صريح، وطعن في الذات العلية بكل جرأة وصفاقة.

يقول القاضي عياض # : "لا خلاف أن سبّ الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم، واختلف في استتابته، فقال أبو القاسم في (المبسوط)، وفي كتاب ابن سحنون ومحمد، ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحاق بن يحيى: من سبّ الله تعالى من المسلمين قتل، ولم يستتب إلا أن يكون افتراء على الله بارتداده إلى دين دان به، وأظهره فيستتاب، وإن لم يظهره لم يستتب... وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم، وإن لم يتوبوا قُتلوا ولا بد من

العقيدة خاص [١]

الاستابة، وذلك كالرّدّة... وأفتي أبو محمد بن أبي زيد فيما حكى عنه في رجل لعن رجلاً ولعن الله فقال: إنما أردت أن ألعن الشيطان فزلّ لسانني. فقال: يقتل بظاهر كفره ولا يُقبل عذرها...

فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة: إنه كفر وردة محضة لم يتعلّق بها حق الغير الله، فأشبّه قصد الكفر بغير سب الله وإظهار الانتقال إلى دين آخر من الأديان المخالفة للإسلام، ووجه ترك استتابته أنه لما ظهر منه ذلك بعد إظهار الإسلام قبل اتهمناه، وظننا أن لسانه لم ينطق به إلا وهو معتقد له. لا يتساهل في هذا أحد حكم له بحكم الزنديق، ولم تقبل توبته، وإذا انتقل من دين إلى آخر، وأظهر السب بمعنى الارتداد؛ فهذا قد أعلم أنه خلع رقبة الإسلام من عنقه بخلاف الأول المتمسك به، وحكم هذا حكم المرتّد: يُستتاب على مشهور مذاهب أكثر أهل العلم، وهو مذهب مالك وأصحابه على ما بيناه قبل، وذكرنا الخلاف في فصوله". انتهي كلامه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية # في حكم رجل سب الله تعالى : "إِنْ كَانَ مُسْلِمًا وَجَبَ قَتْلُهُ بِالْإِجْمَاعِ؛ لِأَنَّهُ بِذَلِكَ كَافِرٌ مُرْتَدٌ، وَأَسْوَأُمِنَ الْكَافِرِ إِنْ كَانَ الْكَافِرُ يَعْظِمُ الرَّبَّ، وَيُعْتَقِدُ أَنَّ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ الْبَاطِلِ لَيْسَ اسْتِهْزَاءً بِاللَّهِ وَلَا مُسْبَبَةً لَهُ... ثُمَّ نَقْلُ قَوْلِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ # : "كُلُّ مَنْ ذَكَرَ شَيْئًا يُعَرِّضُ بِذَكْرِهِ الْرَّبَّ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فَعَلَيْهِ الْقَتْلُ، وَلَمْ يَذْكُرْ اسْتِتابَتَهُ، وَذَكْرُ أَنَّهُ قَوْلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. وَأَمَّا الرَّوَايَةُ الثَّانِيَةُ فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ: سُئِلَ أَبِي عَنْ رَجُلٍ قَالَ: "يَا ابْنَ كَذَا وَكَذَا أَنْتَ وَمِنْ خَلْقِكَ" قَالَ أَبِي: "هَذَا مُرْتَدٌ عَنِ الْإِسْلَامِ، قَلْتُ لِأَبِي: "تَضْرِبُ عَنْ قَبْرِهِ؟" قَالَ: "نَعَمْ تَضْرِبُ عَنْ قَبْرِهِ. فَجَعَلَهُ مِنَ الْمُرْتَدِينَ". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - في الصارم المسلول أيضاً - : "قول : إن سب الله أو سب رسوله كفر ظاهراً أو باطناً، سواء كان السب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلاً له ، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده ، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل". انتهى كلامه.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ # معلقاً على باب : من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول : "أي أنه يكفر بذلك لاستخفافه بجناب الربوبية ، والرسالة ، وذلك منافٍ للتوحيد ، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك ، فمن استهزأ بالله ، أو بكتابه أو برسوله ، أو بدينه كفر ولو هازلاً . لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجمالاً..."

قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُنَّ بِإِنَّمَا كُنَّا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبه:٦٥] : يقول تعالى مخاطباً لرسوله ﷺ : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ ﴾ أي : سأله المنافقين الذين تكلموا بكلمة الكفر استهزاء ﴿ لِيَقُولُنَّ بِإِنَّمَا كُنَّا نَخْوَضُ وَنَلْعَبُ ﴾ أي : يعتذرون بأنهم لم يقصدوا الاستهزاء والتکذيب ، إنما قصدوا الخوض في الحديث واللعب : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَإِيَّاهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ لم يعبأ باعتذارهم إما لأنهم كانوا كاذبين فيه ، وإما لأن الاستهزاء على وجه الخوض واللعب لا يكون صاحبه معذوراً ، وعلى التقديررين فهذا عذر باطل فإنهم أخطئوا موقع الاستهزاء ، وهل يجتمع الإيمان بالله وكتابه ورسوله والاستهزاء بذلك في قلب؟ بل ذلك عين الكفر ، فلذلك كان الجواب مع ما قبله : ﴿ لَا تَعْنِذِرُوا قَدْ كَفَرُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبه:٦٦] . انتهى .

وقال الشيخ سليمان # معلقاً على قصة المنافقين في غزوة تبوك حيث نزلت فيهم الآية السابقة موضحة أنهم قد كفروا بعد إيمانهم بسبب الاستهزاء بالله

العقيدة خاص [١]

رسوله والمؤمنين، قال: "في هذا الحديث من الفوائد: أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلّم بها ، أو عمل يعمل به ، وأشدّها خطراً إرادات القلوب فهي كالبحر الذي لا ساحل له". انتهى كلامه.

فتين بهذا أن الإنسان ينبغي أن يكون على حذر من ملابسة شيء من الأقوال والأفعال التي تُعدّ من قبيل الاستهزاء بالله جل جلاله ، وتوقع صاحبها في حفرة الكفر -والعياذ بالله تعالى- .

الاستهزاء بالرسول ﷺ وبدين الله تعالى

ثالثاً: الاستهزاء بالرسول ﷺ :

أمر الله تعالى المؤمنين بتعزير النبي ﷺ وتوقيره ، وتعظيم شأنه فقال تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْزِزُوهُ وَتُؤْقِرُوهُ﴾ الآية (الفتح: ٩)، وقال أيضاً: ﴿فَالَّذِينَ إِذَا آمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَنَصَرُوهُ وَأَتَبْعَاهُمُ الْثُورُ الَّذِي أُنْزَلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

نقل المفسرون عن ابن عباس { في معنى التعزير ، أنه قال: "﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي : حموه ووقروه ، وقال مجاهد: ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ سددوا أمره ، وأعانوا رسوله ونصروه. قال ابن جرير الطبرى # : وهذه الأقوال متقاربـات المعنى وإن اختلفت ألفاظـاتها بها ، ومعنى التعزير في هذا الموضوع : التقويةـةـ بالنصر والمعونة ، ولا يكون ذلك إلاـ بالطاعةـ والتعظيمـ والإجلالـ". انتهىـ كلامـه # . وقالـ شيخـ الإسلامـ ابنـ تيمـية # : "التعـزـيرـ اـسـمـ جـامـعـ لـنصرـهـ وـتأـيـيـدـهـ ، وـمـنـعـهـ منـ كلـ ماـ يـؤـذـيهـ ، وـالتـوقـيرـ اـسـمـ جـامـعـ لـكـلـ مـاـ فـيـهـ سـكـيـنـةـ وـطـمـأـنـيـنـةـ منـ الإـجـالـ".

العقيدة خاص [١]

أَنْصَارُ الرَّسُولِ الْأَمَانِيُّونَ لِلْعَامِ

والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكرير والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حدّ الوقار". انتهى كلامه.

فتعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره شعبة عظيمة من شعب الإيمان، وهذه الشعبة غير شعبة المحبة؛ بل هي أمر زائد على المحبة؛ لأن منزلتها ورتبتها أعلى وأسمى من رتبة المحبة، فليست كل محبة تورث تعظيمًا، ولما قرن الله تعالى في الآيتين السابقتين بين الإيمان بالنبي ﷺ وتعظيمه علمنا أن في ذلك تنبئه وإرشادًا إلى أن القيام بحقوقه ﷺ منها تعزيزه وتوقيره يُعد من الإيمان الواجب الذي لا يتم إيمان المرء إلا به.

يقول القاضي عياض # مبينًا تعظيم الله - جل وعلا - لقدر النبي ﷺ: "لا خفاء على من مارس شيئاً من العلم، أو خصّ بأدنى لحنة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا ﷺ وخصوصه إيه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام، وتنويعه من عظيم قدره بما تكمل عنه الألسنة والأقلام، فمنها ما صرخ به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه، وأثنى عليه من أخلاقه وآدابه، وحضر العباد على التزامه وتقلد إيجابه فكان - جل جلاله - هو الذي تفضل وأولى، ثم طهر وزكي، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأولي، فله الفضل بدءاً وعوداً، والحمد أولى، وأخرى". انتهى كلامه.

إذن: كل من لم يعظم الرسول ﷺ التعظيم الشرعي، وقصد في تعزيزه وتوقيره، بل زاد على ذلك حتى بلغ حد الاستهزاء بالرسول ﷺ من فعل ذلك فقد انتهك حرمة المصطفى ﷺ.

يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية**: "أما انتهاك عرض رسول الله ﷺ فإنه منافٍ لدين الله بالكلية، فإن العرض متى انتهك سقط الاحترام والتعظيم، فسقط ما جاء به من الرسالة، وبطل الدين، فقيام المدح والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام

العقيدة خاص [١]

الدين كله ، وسقوط ذلك سقوط الدين كله ؛ وإذا كان كذلك وجب علينا أن ننتصر له من انتهك عرضه ، والانتصار له بالقتل ؛ لأن انتهاك عرضه انتهاك للدين الله... وبهذا يظهر الفرق بين سبّ الأنبياء وغيرهم من المؤمنين ، فإن سبّ الواحد من الناس لا يختلف بين ما قبل الإسلام وما بعده ، والأذى والفضاضة التي تلحق المسبوب قبل إسلام السّابّ وبعده ؛ سواء بخلاف النبي ﷺ فإنه قد زال موجبه بالإسلام ، وتبدل بالتعزير له والتوقير والثناء عليه والمدحه كما تبدل السبّ لله بالإيمان وتوحيده ، وتقديسه ، وتحميده وعيادته". انتهى:

كما استدل شيخ الإسلام # بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذَنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،
لَنَعْلُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعْدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَمْهِنًا﴾ [٥٧] وَالَّذِينَ يُؤْذَنُونَ الْمُقْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنُونَ بِغَيْرِ مَا أَكَتَ تَسْبِيْهُ فَقَدِ احْتَمَلُوا بِهُنَّا وَأَثْمَامِيْنَا﴾ [الأحزاب: ٥٧ - ٥٨]

ثم يبين أن مؤذن الرسول ﷺ مؤذن الله تعالى، فقال: "وَدَلَالُهَا مِنْ وُجُوهٍ:

أحدها: أنه قرن آذاه كما قرن طاعته بطاعته، فمن آذاه فقد آذى الله تعالى، وقد جاء ذلك منصوصاً عنه، ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم، يبيّن ذلك أن الله تعالى جعل حبّة الله ورسوله وإرضاء الله ورسوله وطاعة الله ورسوله شيئاً واحداً، فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ كَانَ أَبَاكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَنَكُمْ وَأَرْجُوكُمْ وَعَشِيرَتَكُمْ وَأَمْوَالُ أَقْرَفَتُمُوهَا وَتَجْرِي رَبْحَةٌ تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسَكِنُ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبه: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢] في مواضع متعددة، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ [التوبه: ٦٢] فوجد الضمير، وقال أيضاً: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ [الفتح: ١٠]، وقال أيضاً: ﴿ يَسْتَأْنُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ١].

العقيدة خاص [١]

أَنْهَاكُمْ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا شَرِكْتُمْ

وجعل شقاق الله ورسوله ومحادة الله ورسوله، وأذى الله ورسوله ومعصية الله ورسوله شيئاً واحداً، فقال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَأْفُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأنفال: ١٣] ، وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة: ٢٠] ، وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مَنْ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [التوبه: ٦٣] ، وقال : ﴿ وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [النساء: ١٤] ، وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين ، وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة ؛ فمن آذى الرسول ﷺ فقد آذى الله ، ومن أطاعه فقد أطاع الله ؛ لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول ، ليس لأحد منهم طريق غيره ، ولا سبب سواه ، وقد أقامه الله وقام في أمره ونهيه ، وإخباره وبيانه ، فلا يجوز أن يُفرَّق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور". انتهى كلامه.

وقال القاضي عياض # : "قد تقدم من الكتاب والسنّة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق للنبي ﷺ وما يتعمّن له من بر وتوّفير ، وتعظيم وإكرام ، وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه في كتابه ، وأجمعـت الأمة على قتل متنفسـه من المسلمين وسابـه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، لَعَنْهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعْدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَمَّهِينَا ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذِنُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبه: ٦١] ، وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذِنُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ، مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ، وقال الله تعالى في تحريم التعرّض به : ﴿ يَتَأَيَّثُ أَلَّذِي كَيْفَيْتُمْ بِهِ أَمَّنْتُمْ لَا تَقُولُوا رَعْنَاكُمْ وَقُولُوا أَنْظَرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٠٤] ، وذلك أن اليهود كانوا يقولون : راعنا يا محمد. أي : ارعنا سمعك ، واسمع منا ، ويُعرّضون بالكلمة يريدون الرعونة - أي : الحمق - فنهى الله المؤمنين عن التشبيه بهم ، وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصّل بها الكافر والمنافق

العقيدة خاص [ا]

إلى سبّه ، والاستهزاء به ، وقيل : لما فيها من مشاركة اللفظ ؛ لأنها عند اليهود بمعنى : اسمع ، لا سمعت . وقيل : بل لما فيها من قلة الأدب ، وعدم توقير النبي ﷺ وتعظيمه .

إن جميع من سبّ النبي ﷺ أو عابه أو أحق به نقصاً في نفسه ، أو نسبه أو دينه ، أو خصلة من خصاله ، أو عرّض به ، أو شبهه بشيء على طريق السب له ، أو الازدراء عليه ، أو التصغير ل شأنه ، أو الغضّ منه ، والعيب له ، فهو سابٌ له ، والحكم فيه حكم السابّ ، يقتل كما نبيّه ، ولا نُسْتَشِنِي فصلاً من فصول هذا الباب على هذا القصد ، ولا نترى فيه تصريحاً كان أو تلويناً ، وكذلك من لعنه أو دعا عليه ، أو تمنى مضره له ، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الدّمّ ، أو عبث في جهته العزيزة بسخفي من الكلام ، وهجّر ، ومنكر من القول وزور ، أو عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه ، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة ، والمعهودة لديه ، وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتاوى من لدن الصحابة - رضوان الله عليهم - إلى هلمّ جراً ، وقال أبو بكر بن المنذر : أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ يقتل ، ومن قال ذلك : مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي .

وحكى الطبرى مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن تنقصه ﷺ أو برئ منه ، أو كذبه ، وقال سحنون فيمن سبّه : ذلك ردّ كالزندقة ... وقد ذكر غير واحد بالإجماع على قتله وتکفیره ، والمعروف ما قدمناه ، قال محمد بن سحنون : أجمع العلماء أن شاتم النبي ﷺ المت narcissus له كافر ، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله ، وحكمه عند الأمة القتل ، ومن شك في كفره وعدابه كفر . انتهى كلامه رفع مقامه .

العقيدة خاص [١]

أَنْصَارُ اللَّهِ أَلَّا يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ بِعَذَابٍ

رابعاً: الاستهزاء بدین الله تعالى :

يقصد بالاستهزاء بدین الله تعالى : التجربة بكلام فيه الغضّ من الدين والتنقص له ، وقد تكون جهة الكلام ذات الله تعالى ، وقد يكون خاتم النبيين ﷺ ، وقد يكون القرآن الكريم ، أو أي شعيرة من شعائر الدين ، وقد تكون هذه الكلمات صادرة بدون تحكم لحالات تصيب الإنسان من مرض أو غصب أو نحوه ، وقد ذكر الدكتور حسن العواجي بعضًا من أقوال أهل العلم في الحكم على الناطق بكلمة الكفر ، وكيف يستدلّون بنصوص الكتاب والسنة على ذلك لتبين منهجهم ، ونسلم من مزالق الحكم بالتكفير فيقول :

"إن من العلماء من يقول: إن من نطق بكلمة الرّدّة وزعم أنه أضمر تورية كفر ظاهراً وباطناً، وقد تعقب ابن حجر الهيثمي ذلك بأن الحكم بالكفر باطناً فيه نظر، إلا أن يكون معنى إضمار التورية هو اعتقاد مدلول النطق مع التورية على السامع، ومنهم من أضاف إلى ذلك أن يكون القول صادراً عن عناد، أو استهزاء فإنه يحكم على صاحبه بالكفر الاعتقادي بحسب ما ظهر منه، وإن لم يضمر كفراً. وأما من قال كلمات الكفر معتقداً لها، أو قالها مستهزئاً ساخراً فإنه يحكم عليه بالكفر، وهذا مما نقل حكايته عن أكثر العلماء، وفيما يلي بعض هذه الأقوال:

فقد نقل الشافعي # أنه سُئل عن هزل بشيء من آيات الله تعالى أنه قال: هو كافر، واستدل بقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِلَّهُ وَإِيَّنِهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْنِذُ رُوَافِدَ كُفَّارَ تُمْ بَعَدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبه: ٦٥ - ٦٦].

القيمة خاص [١]

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ: أن من شتم النبي ﷺ قتل، وذلك أنه إذا شتم فقد ارتد عن الإسلام، ولا يشتم مسلم النبي ﷺ فتبيّن أن هذا مرتد، وأن المسلم لا يتصرّر أن يشتم وهو مسلم، وقال محمد بن سحنون -وهو من المالكية-: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمنتقص له كافر، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله تعالى له، ومن شك في كفره، وعذابه كفر، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن سب الله، أو سب رسوله كفر ظاهراً وباطناً، وساء كان الساب يعتقد أن ذلك محرّم، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء، وسائل أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل".

وقال النووي : من سب نبياً أو استخفّ به فكل هذا كفر... ولما سُئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن وصف المكررات القولية ووصف الاستهزاء المكفر قال : العلماء استدلّوا عليها بقوله تعالى في حقّ بعض المسلمين المهاجرين في غزوة تبوك : ﴿ وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُضٌ وَنَلَعْبٌ ﴾ [التوبه: ٦٥] فذكر السلف والخلف أن معناها عام إلى يوم القيمة فيمن استهزا بالله والقرآن أو الرسول ، وصفة كلامهم أنهم قالوا : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغم بطوناً ، ولا أكذب أستنّا ، ولا أجبن عند اللقاء ، يعنون بذلك رسول الله ﷺ ، والعلماء من أصحابه ؛ فلما نقل الكلام عوف بن مالك أتى القائل بعتذر أنه قاله على وجه اللعب كما يفعل المسافرون ، فنزل الوحي أن هذا كفر بعد الإيمان ، ولو كان على وجه المزح والذي يعتذر يظن أن الكفر إذا قاله جاداً لا لاعباً ، ثم قال # : إذا فهمت أن هذا هو الاستهزاء فكثير من الناس يتكلم في الله عَنْهُ بالكلام الفاحش

العقيدة خاص [١]

أَنْصَارُ الرَّسُولِ الْأَمَانِيُّونَ لِلْعَامِ

عند وقوع المصائب على وجه الجد، وأنه لا يستحق هذا، وأنه ليس بأكبر الناس ذنبًا.

وقال صديق حسن خان -مشيرًا إلى سب الله ورسوله ودينه- : وكل هذه الأفعال موجبة للكفر الصريح ففاعلها مرتد حده حده". انتهى.

وأخيرًا : نستخلص أنه ينبغي للمسلم التحرّز من ملاسة هذا الناقض ، وأن لا يصدر منه كلام أو فعل تشمّ منه رائحة الاستهزاء والسخرية في جهة الله تعالى، أو جناب رسوله ﷺ أو أي شعيرة من شعائر الدين ، كما يفعل الجهلة والفسقة المستهزئون.

تمام النعمة بكمال الرسالة الإسلامية، وأنه لا يبلغ أحد من الناس مرتبة النبي ﷺ

أولاً: تمام النعمة بكمال الرسالة الإسلامية:

الرسالة السماوية نعمة من نعم الله إلى خلقه يبين لهم فيها أوامره ونواهيه، ومصالح الخلق في معاشهم ومعادهم، يقول الإمام الماوردي # : "لا منزلة في العالم أعلى من النبوة التي هي سفارة بين الله تعالى وعباده، تبعث على مصالح الخلق، وطاعة الخالق، فكان أفضل الخلق بها أخصهم وأكملهم بشروطها أحق بها وأمسّ". انتهى كلامه.

فالرسالة ضرورية للعالم فهي نوره وروحه وحياته كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية # : "الرسالة ضرورية للعباد، ولا بد لهم منها، و حاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته؛ فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ ! والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس

العقيدة خاص [١]

الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها
وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا
فَأَحْيَنَّهُ وَجَعَلَنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَنَّ لَيْسَ بِخَارِجٍ
﴿[آلأنعام: ١٢٢].

فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان
وجعل له نوراً يشي في الناس ، وأما الكافر فميت القلب في ظلمات الكفر .
انتهى كلامه . هذا عن الرسالة السماوية عموماً .

رسالة الإسلام فقد تميزت عن الرسائل السماوية السابقة بشمولها بكل ما ينطوي تحت هذه الكلمة من أبعاد ودلائل زمانية ومكانية، ونظرة مستوعبة للإنسان ولهذا الكون الذي يعيش فيه، وللدار الآخرة التي هو صائر إليها، فالرسالة الإسلامية هي الرسالة السماوية الوحيدة التي امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضاً حتى انتظرت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة، وقد أشار القرآن إلى معنى الشمول في رسالة الإسلام في غير موضع، قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعماق: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكَلَمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

قال الإمام ابن كثير # في تفسير هذه الآية: "أي فارضوه أنتم لأنفسكم؟ فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه ويعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه... وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتته الله فلا ينقصه، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

أَنْذِرُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ

وقال الله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ تِبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٨٩]. نقل الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية عن ابن مسعود < أنه قال : "قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء" ، وقال مجاهد : "كل حلال وكل حرام" ، ثم قال ابن كثير - معلقاً على هذين القولين - : وقول ابن مسعود أعم وأشمل ؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي وكل حلال وحرام ، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهem ومعاشهem ومعادهم". انتهى كلامه .

ومن كلام ابن كثير # في تفسير هذه الآية وبيان نعمة الله بتمام هذا الدين قوله : "هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة ، حيث أكمل الله تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ، ولا إلىنبي غير نبيهم ﷺ ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ؛ فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ، ولا خلف كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥] أي : صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الأوامر والنواهي ، فلما أكمل لهم الدين قلت عليهم النعمة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٢٣] أي : فارضوه أنتم لأنفسكم ، فإنه الدين الذي أحبه الله ورضيه ، وبعث به أفضل الرسل الكرام ، وأنزل به أشرف كتبه . انتهى كلامه .

ثم نقل ابن كثير # ضمن كلامه حول سبب نزول هذه الآية : أن رجلاً من اليهود جاء إلى عمر بن الخطاب < فقال : يا أمير المؤمنين . إنكم تقرءون آية في كتابكم لو علينا - معاشر اليهود - نزلت لاخذنا ذلك اليوم عيداً قال : وأي آية ؟

العقيدة خاص [١]

قال : قوله تعالى : ﴿أَلَيْوَمْ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ نَعْمَى﴾ ف قال عمر : والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ وال الساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ عشية عرفة في يوم الجمعة وكلاهما بحمد الله لنا عيد . انتهى كلامه .

لقد جمعت رسالة الإسلام الخاتمة محسن جميع الرسائلات السابقة وزادت عليها ، وفاقتها كمالاً ، وجمالاً ، وجلالاً ، يقول الحسن البصري # : "أنزل الله مائة وأربعة كتب وأودع علومها أربعة : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان (القرآن) ، ثم أودع علم الثلاثة الفرقان " أخرجه البيهقي في (شعب الإيمان) ، والسيوطى في (الإكيليل في استنباط التنزيل) .

ولله در العالمة ابن القيم # فقد بين معنى الشمول في رسالة الإسلام بياناً شافياً ، فقال : "و عموم رسالته ﷺ بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه العباد في معارفهم ، وعلومهم ، وأعمالهم ، وأنه لم يحوج أمته إلى أحد بعده ، وإنما حاجتهم إلى من يبلغهم عنه ما جاء به ، فرسالته عموماً محفوظان لا يتطرق إليهما تخصيص عموم بالنسبة إلى المرسل إليهم ، وعموم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه من بعث إليه في أصول الدين وفروعه ؛ فرسالته كافية شافية عامة لا تحوج إلى سواها ، ولا يتم الإيمان به إلا بإثباتات عموم رسالته في هذا ، وهذا ... وقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر للأمة منه علماً ، وعلّمهم كل شيء حتى آداب التخلص ، وآداب الجماع ، والنوم ، والقيام والقعود ، والأكل والشرب ... وبالجملة فجاءهم بخيري الدنيا والآخرة برمتها ، ولم يحوجهم الله إلى سواه " . انتهى كلامه .

العقيدة خاص [١]

أَنْتَ رَبُّ الْإِسْلَامِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ

وتتصبح خصيصة الكمال والشمول في رسالة الإسلام ببيان أن الأنبياء أعلنوا من خلال دعواتهم أنهم مسلمون، ودعوا إلى الإسلام، فلقد قال نوح #:

﴿وَأَمْرَتُ أَنَّ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يوسوس: ٧٢]، وإبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- قالا: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: ١٢٨]. ووصى إبراهيم بنيه ويعقوب -عليهما السلام- فقالا:

﴿إِنَّ اللَّهَ أَصَطَّفَ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُؤْنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ويوسف # دعا ربه فقال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّيْنِ بِالصَّدِّيقِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وعن أبي ذر < قال : "لقد تركنا ﷺ وما يحرك طائر جناحه في السماء إلا ذكرنا منه علمًا" أخرجه الإمام أحمد في (المسندي)، فلهذا شملت رسالة الإسلام بأنظمتها نواحي الحياة المختلفة، ومتطلبات المجتمع الإنساني ، فكمال رسالة الإسلام وشمولها يستوعب آباد الزمن ، كما يخنو بجناحه على جميع أمم الأرض ، ويتنظم جميع شئون الحياة في الدنيا والآخرة.

وقد تأتي هذا لرسالة الإسلام بحكم كونها رسالة الخلود التي قدر الله بقاءها إلى أن تقوم الساعة ، فليس بعد الإسلام رسالة ، ولا بعد القرآن كتاب ، ولا بعد النبي ﷺ رسول ، فلا غُرُورًا أن تأتي خاتمة الرسالات بكل معاني الشمول ، وأبعاد الكمالات.

ثانيًا: هل يبلغ أحد من الناس مرتبة النبي ﷺ؟

إن الله تعالى يصطفى رسلاه من البشر كما يصطفى من الملائكة رسلاً ، قال تعالى:

﴿الَّهُ يَصَطَّفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِبْرَاهِيمَ سَمِيعَ بَصِيرٌ﴾

[الحج: ٧٥].

العقيدة خاص [١]

فالنبوة: خبر خاص يكرم الله به من يصطفيه من عباده ليطلعه على شريعته بما فيها من الأوامر والنواهي، والوعظ والإرشاد، والوعد والوعيد.

وهذه الرسالة: سفارة العبد بين الله تعالى وبين ذوي الألباب من خلقه؛ ليصلح بها مناحي حياتهم ومصالحهم الدنيوية والأخروية.

أما الولاية فهي: مرتبة في الدين عظيمة لا يبلغها إلا من قام بالدين ظاهراً أو باطناً، أو نقول:

الولاية في الشرع: الإيمان والتقوى

وللولاية الصحيحة جانبان:

أ- جانب يتعلّق بالعبد: وهو قيامه بأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، ثم التدرج في العبودية بالنواقل، وشّتى صور العبادات.

ب- وجانب يتعلّق بالله تعالى، وهو: محبة هذا العبد، ونصرته، وهدايته، وتشبيهه على الهدایة.

قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾
[يونس: ٦٢] هذه من جانب الرب تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾

وهذه من جانب العبد.

وذكر الإمام ابن كثير # : أن الأولياء هم الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى كما فسرهم ربهم، فكل من كان تقياً كان لله ولينا، ولهذا قال الإمام الشافعي # : "إذا لم يكن العلماء أولياء فليس لله تعالى ولني". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

أَنْصَارُ الْأَسْلَامِ لِلْعَالَمِ

وقد نظم هذا المعنى المختار بن بونة الجككي #، فقال:

وَالْأُولَيَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الْأَتْقِيَاءِ ♦ الْعَالَمُونَ الْعَالَمُونَ
وَمَهْمَا بَلَغَ الْوَلِيُّ - الْوَلَايَةُ الشَّرْعِيَّةُ - مِنَ الصَّلَاحِ وَالْفَلَاحِ، وَمَهْمَا تَرَقَّى فِي مَنَازِلِ
الْوَلَايَةِ حَتَّى يَبْلُغَ ذَرْوَتَهَا فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَنْزِلَةَ النَّبِيِّ، وَلَا يَقْارِبُهَا، وَلَا يَزَحِّمُهَا.

وإذا كان الصوفية يؤمنون بالنبوة حسب تعريفنا السابق في الجملة؛ فإنهم نظروا
إلى الولاية نظرة مخالفة للشرع، ومصادمة للنص، فجعلوها دائرة يدخل فيها
التقي وغير التقى، فكل من ظهر على يديه أمر خارق للعادة أو زعموا أن فيه
سرًّا إليها، أو انتسب إلى سلسلة المشايخ أو أرباب الطرق، ولهذا لما سُئل شيخ
الطريقة التيجانية عن الولاية فقال: "الولي من تولى الله أمره بالخصوصية، مع
مشاهدة الأفعال والصفات". انتهى كلامه.

وقال المرسي -من أئمة الصوفية- : "إن الولي لو كشف للناس لعبدوه؛ لأن
حقيقة الولي أنه يسلب من جميع البشرية ويخلص بالأخلاق الإلهية ظاهراً
وباطناً، ولذا لو كشف الولي للعبد لعبدوه، وقالوا: إن دائرة الولي أوسع من
دائرة النبي، وهذا تفضيل منهم للولي على النبي بأسلوب خفي". انتهى كلامه.

ويقول السرهندي -مبيناً مقام النبوة والولاية عند الصوفية: " وأنه يصح أن
يشارك الولي النبي فيصبح لباساً للوشاحين ومتربعاً فوق المقامين ، فيقول : ينبغي
أن يعلم أنه يصح أن يصل شخص من طريق قرب الولاية إلى قرب النبوة ،
ويكون شريكاً في كلتا المعاملتين ، ويعطى محلاً هناك -أيضاً- بتطفل الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام ، ويجعل معاملة كلا الطرفين مربوطة به ليس على الله به :

العقيدة خاص [ا]

ليس على الله بمستكراً ❖ أن يجمع العالم في واحد ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتَيْهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [المائدة: ٥٤]. انتهى كلامه.

إذن لم يقف غلاة الصوفية عند تعظيم الأولياء وادعاء الحفظ لهم، والعصمة، بل زادوا في الخرافية وتنقيص الأنبياء فادعوا أن مرتبة الولاية أعلى من مرتبة النبوة، وفي ذلك يقول ابن عربي الصوفي :

مقام النبوة في بروز ❖ فوق الرسول ودون الولي
وقال أيضاً :

بين الولاية والرسالة بروز ❖ فيه النبوة حكمها لا يجعل وهذا كله من الغلوّ الفاحش في الأولياء؛ حيث إنهم بالغلو المرفوض شرعاً إذا أرادوا أن يتكلموا عن هؤلاء الأولياء وخوارقهم، وما أعطوا من القدرة والأحوال؛ فإنهم ينسون مقام النبوة، ومنزلة الرسالة، وحقوق النبي ﷺ فيقعون في تنبيه ﷺ كما حصل ذلك عند ثلاث طوائف : هي الفلاسفة، والرافضة، والصوفية.

فإذا خيم هذا الاعتقاد في ذهن المريد سمح له ذلك بأن يعتقد أن هذا الولي يحق له أن يشرع للمربيدين شرائع، ويحل لهم أموراً، ويحرم عليهم أشياء لم ترد في سنة النبي ﷺ فيكون بذلك مسوغين للخروج عن شريعة المصطفى ﷺ. وهذا أمر في الواقع الأمر يؤدي إلى ردّ السنة ومعارضة الشريعة الإسلامية التي أكملها الله تعالى لرسوله ﷺ؛ فيكون معتقد قد وقع في ناقض من نواقض التوحيد، وخرج من دائرة الإسلام ودخل في دوامة الرّدّة، وغسل يده من الشريعة.

العقيدة خاص [١]

أَنْتَ رَبُّ الْأَسْمَاءِ الْمُبِينِ

الصحيح في قصة الخضر مع موسى ﷺ وأقوال العلماء في تكفير من أجاز الخروج على
شريعة خاتم النبيين

ذكر الله تعالى قصة الخضر مع موسى # في سورة الكهف في قول الله تعالى:
﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا إِلَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَمِّنْ هُوَ مِنْ لَدُنَّا عَلَمًا﴾
[الكهف: ٦٥]، وقد اختلف أهل العلم في الخضر هل هونبي ، أو رسول ، أو ولی ،
يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي # : "هذا العبد المذكور في الآية هو الخضر
#إجماع العلماء... والعلماء مختلفون في الخضر هل هونبي ، أو رسول ، أو
ولي ، كما قال الراجز : -

واختلفت في خضر أهل العقول ♦ قيلنبي أو ولی أو رسول؟!
وقيل ملك". انتهى كلامه.

ورجح الشيخ عبد الرحمن السعدي # أنه عبد صالح وليسنبيا - على
الصحيح - "أعطاه الله رحمة خاصة بها زاد علمه ، وحسن عمله... وكان قد
أعطي من العلم ما لم يعط موسى ، وإن كان موسى # أعلم منه في أكثر
الأشياء ، وخصوصاً في العلوم الإيمانية والأصولية ؛ لأنّه من أولي العزم من
المسلمين الذين فضلّهم الله على سائر الخلق بالعلم والعمل ، وغير ذلك فلما
اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة والإخبار عن مطلبـه: ﴿هَلْ
أَتَيْتُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَنِ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] أي: هل أبعـك على أن
تعلمنـي ما علمـك الله ما به أسترشـد وأهـتدـي ، وأعـرف به الحقـ من تلك القضاـيا؟
وكان الخضر قد أعـطـاه الله من الإـلهـام والكرـامة ما به يحصلـ له الاطـلاـع على
بوـاطـنـ كـثـيرـ من الأـشـيـاءـ التـيـ خـفـيتـ - حتـىـ - عـلـىـ مـوـسـىـ #ـ . انتـهىـ كـلامـهـ.

العقيدة خاص [ا]

ثم اتبع موسى الخضر بعد تلك الشروط والعزم على الصبر، فلما رأى موسى من الخضر أشياء تخالف في الظاهر الشرع الذي بعث به لم يستطع الصبر، فأنكر على الخضر ذلك، فأصر الخضر على فراق موسى، ثم يبّين له الأسباب التي دعته إلى فعل تلك الأمور التي رآها موسى #، فعلم موسى أن الخضر على علم عمله الله، ولم يكن موسى # مبعوثاً إلى الخضر حتى يتّبع الخضر موسى، بل كان موسى مبعوثاً إلى قومه بنو إسرائيل خاصة.

أقوال العلماء في تكفيير من أجاز الخروج على شريعة خاتم النبيين:

تقديم أن أصحاب هذا الاعتقاد يحتجون على باطلهم بقصة موسى مع الخضر كما قدمنا، وذلك من وجهين - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - :

أولاً: "أن يقولوا: إن الخضر كان مشاهداً للإرادة الربانية الشاملة والمشينة الإلهية العامة، وهي الحقيقة الكونية؛ فلذلك سقط عنه الملام فيما خالف فيه الأمر والنهي الشرعي، وهو من عظيم الجهل والضلال... وهذا الكفر بجميع كتب الله ورسله، وما جاءوا به من الأمر والنهي... أيضاً فلو كان هذا هو السر في قصة الخضر لبين ذلك لموسى وقال: إني كنت شاهداً للإرادة والقدر، وليس الأمر كذلك بل بين له أسباب شرعية تبيح له ما فعل..."

وأما الوجه الثاني: فإن من هؤلاء من يظن أن من الأولياء من يسوغ له الخروج عن الشريعة النبوية، كما يساغ للخضر الخروج عن متابعة موسى، وأنه قد يكون للولي في المكافحة والمخاطبة ما يستغني به عن متابعة الرسول في عموم أحواله أو بعضها، وكثير منهم يفضل الولي في زعمه إما مطلقاً وإما من بعض الوجوه على

العقيدة خاص [١]

أَنْصَارُ الدِّينِ الْمُسْلِمِينَ لِلْعَامِ

النبي ، زاعمين أن في قصة الخضر مع موسى حجة لهم ، وكل هذه المقالات من أعظم الجهالات والضلالات ؛ بل من أعظم أنواع النفاق والإلحاد والكفر. فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام: أن رسالة محمد ﷺ لجميع الناس ، وأنه ليس لأحد من الخلق الخروج عن متابعته ، وطاعته ، وملازمته ما يشرعه لأمته من الدين ، وما سنه لهم من فعل المأمورات وترك المظورات ؛ بل لو كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعته ، ومطاعنته .

وما يبین الغلط الذي وقع لهم في الاحتجاج بقصة موسى والخضر على مخالفته الشريعة أن موسى # لم يكن مبعوناً إلى الخضر ، ولا أوجب الله على الخضر متابعته وطاعته ؛ بل قد ثبت في الصحيحين: "أن الخضر قال له: يا موسى: إني على علمٍ من علم الله علّمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علّمكه الله لا أعلم، وذلك أن دعوة موسى كانت خاصة، وليس لأحد من أدركه الإسلام أن يقول لحمد: إني أعلم من علم الله علّمنيه الله لا تعلمه، ومن سواع هذا، أو اعتقاد أن أحداً من الخلق: الرّهاد والعباد، أو غيرهم له الخروج عن دعوة محمد ﷺ ومتابعته فهو كافر باتفاق المسلمين، ودلائل هذا من الكتاب والسنة أكثر من أن تذكر هنا، وقصة الخضر ليس فيها خروج عن الشريعة، ولهذا لما بين الخضر لموسى الأسباب التي فعل لأجلها ما فعل وافقه موسى، ولم يختلفا حينئذٍ، ولو كان ما فعله الخضر مخالفًا لشريعة موسى لما وافقه". انتهى كلامه.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي # : "وبالجملة فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه ، وما يتقرب إليه به من فعل وترك - إلا عن طريق الوحي - فمن ادعى أنه غني في الوصول إلى ما

العقيدة خاص [ا]

يرضي ربه عن الرسل ، وما جاءوا به ولو في مسألة واحدة فلا شك في زندقتهم، وبذلك تعلم أن ما يدعوه كثير من الجهلة المدعين التصوف من أن لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله ، ولو كانت مخالفه لظاهر الشرع كمخالفه ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى - زندقة ، وذرية إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام بدعوى أن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره". انتهى كلامه.

وقال العلامة ابن القيم # : "من ظن أنه يستغني عمما جاء به الرسول ﷺ بما يلقى في قلبه من الخواطر والهواجس فهو من أعظم الناس كفراً، وكذلك إن ظن أنه يكتفي بهذا تارة وهذا تارة فما يلقى في القلوب لا عبرة به ولا التفات إليه إن لم يعرض على ما جاء به الرسول ، ويشهد له بالموافقة ، وإلا فهو من إلقاء النفس والشيطان". انتهى كلامه.

وجملة القول : إن كل الطرق مسدودة إلا من أتى خلف رسول الله ﷺ وكل الشرائع ملغاة إلا شريعته ﷺ .

العقيدة خاص [١]

الصراحت المطلقة عشر

الإعراض الكلي عن دين الله تعالى

أو عما لا يصح الإسلام إلا به

عناصر الدرس

- العنصر الأول : امداد بالإعراض، وأنواع الإعراض عن دين الله ٣٥٩
- العنصر الثاني : تحذير القرآن الكريم والسنّة النبوية من هذا الناقض ٣٦٥

العقيدة خاص [١]

المراد بالإعراض، وأنواع الإعراض عن دين الله

ما زالت دروسنا تتوالي في بيان نواقص التوحيد، وهوادم العقيدة، وكما كما جرت العادة فإنه يحسن بي أن أشير إلى شيء مما أخذناه في الدرس السابق؛ حيثتناولنا ناقصاً من نواقص التوحيد: وهو من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى # . وبينما في هذا الدرس شيئاً من تمام النعمة بكمال الرسالة الإسلامية، وأن الله تعالى قد أكمل بنعمة النبي محمد ﷺ الدين، وأتم الرسالة؛ بحيث لم يحوج المؤمنين برسالة الإسلام إلى أي دين آخر، أو نظام غير النظام الذي جاء به الإسلام، وذلك ما وضحته الآية الكريمة التي نزلت يوم الجمع في عرفة، وهي قوله تعالى: ﴿أَكَلَّتْ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْتَمْ عَلَيْكُمْ نَعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِيْنًا﴾ [المائدة: ٣٢].

فبرسالة الإسلام ختم الله تعالى الرسالات وإرسال الرسول محمد بن عبد الله ﷺ ختم الله الرسل، فلذلك كانت رسالة الإسلام مهيمنة على كل الرسالات السماوية السابقة، وزادت عليها كمالاً وجمالاً وجلالاً، ثم تناولنا قضية مهمة تتعلق بحقوق النبي ﷺ على أمته ألا وهي تعزيره وتوقيره وتعظيمه، والإيمان بأنه لا يبلغ أحد مرتبه ولا يزاحمه ولا يقاربه، وإن زعم زاعم من غلاة الصوفية أن الولي قد يصل في الصفاء والمجاهدة منازل الأنبياء، وقد يتعداهم، كما نقلنا التصريح بذلك في شعر ابن عربي الصوفي الذي يقول:

مقام النبوة في بربور فويق الرسول ودون الولي
ثم بينا الصحيح في قصة الخضر مع موسى # وأن الخضر مختلف في كونهنبياً أو رسولًا، أو عبدًا صالحًا، وأنه كان على علم علمه الله لم يعلمه موسى، وأن موسى تبعه ليتعلم منه ذلك العلم، ولم يكن موسى مرسلًا إليه، كما أن الذي

العقيدة خاص [ا]

فعله الخضر لم يكن في الباطن مخالفًا لشريعة موسى، فلذلك اتّضح أن الاستدلال بقصة خروج الخضر على شريعة موسى على أنه يسوغ لبعض الناس الخروج عن شريعة النبي محمد ﷺ؛ لأن القرآن والسنة وأقوال علماء الأمة حذّرت من ذلك، وأمرت بالبعد عما هنالك. إذا تقرّر ذلك فنحن الآن أمام ناقض جديد من نواقض التوحيد، يلتقي مع النواقض السابقة المتعلقة ببعض شيء مما جاء به الرسول ﷺ، أو ثواب الله تعالى أو عقابه، أو اعتقاد أن حكم غير النبي ﷺ أكمل من حكمه، وأفضل، أو اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة نبّيّاً محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى #، أو الاستهزاء بشيء من دين الله تعالى، هذا الناقض الجديد هو: الإعراض الكلي عن دين الله تعالى، أو عمّا لا يصح الإسلام إلا به، لا يتعلمه، ولا يعمل به، وكما ترون فإن القاسم المشترك بين هذه النواقض هو الطعن في الرسالة ودين الإسلام، أو التنبّص والحطّ من رتبة النبي ﷺ، فكل واحد من هذين الأمرين ناقض للتّوحيد، وهادم للعقيدة.

أولاً: المراد بالإعراض عن دين الله تعالى :

المراد بالإعراض عن دين الله تعالى هو معارضته وتركه، واعتباره غير صالح للبشر في معاشهم ومعادهم، وذلك نتيجة حتمية للتّكبر والأففة عن الاستجابة للحق، وقد يكون بتقديم القوانين البشرية الوضعيّة عليه، وادعاء أن هناك شريعة من الشّرائع، أو نظاماً من الأنظمة أفضل من دين الله تعالى الذي جاءت به رسالة الإسلام، وبلغه رسول البشرية محمد ﷺ، ويعتبر في الإعراض عن دين الله تعالى نكرانه بالقلب، واعتقاد أنه غير صالح للحضارة المعاصرة - كما يدعى به الحداثيون، والشيوعيون، والقوميون، واللادينيون - كما أنه يشترط في

العقيدة خاص [١]

المصادر المطبوع عشر

الإعراض عن دين الله تعالى أن يكون كلياً، أي: عن الدين كله، أو عمّا لا يصح الإسلام إلا به، بحيث لا يتعلم المرء، ولا يعمل به، ونجد أن الإعراض عن دين الله تعالى يتمثل في الصد عنه تمثلاً تاماً، كما هو شأن صناديد الكفار من قريش الذي بعث فيهم خاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ ونزلوا الوحي بين ظهارنيهم، ورأوا الآيات والذر فلم يؤمنوا بالرسالة، ولم يصدقوا خاتم النبيين؛ بل أعرضوا عن الدين إعراضًا كلياً ووقفوا في وجه الدعوة صادين معرضين ومعاندين أمثال أبي جهل، وأبي لهب، وأمية بن خلف، وأمثالهم.

ثانياً: المعرضون عن دين الله أنواع:

اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن المعرضين عن دين الله تعالى وعن تعلمه صنفان:

أ- عالم معرض.

ب- وجاهل معرض.

يقول الدكتور حسن العواجي: "فأما العالم فيكون إعراضه نتيجة للكبر والأففة عن الاستجابة للحق، فهذا يحكم عليه بالكفر متى تحققت الشروط، وانتفت الموانع؛ إلا أن المعرض إن كان من يظهر الإسلام؛ فإن النصوص الواردة في الإعراض عن ذكر الله يمكن أن تحمل في حقه على الوعيد، فإن علم الله أنه يضمر الكفر، ويظهر الإسلام فإن كان كافر عند الله تعالى، وإن حكم له الناس بالإسلام في الظاهر، وإن كان عنده أصل الإيمان مع الإعراض عصياناً وتقديماً لشهواته، ورغباته على آخرته، فإنه يعامل على قدر ما عنده من شعب الإسلام والإيمان وما عنده من شعب الكفر والعصيان، وأما الجاهل فإن كان جاهلاً بأصل

العقيدة خاص [١]

الدين لم تبلغه الدعوة، فإنه غير مكلف حتى تبلغه الدعوة، وحكمه حكم أهل الفترة عند كثير من أهل العلم، وإن كان جاهلاً متابعاً لقومه على الكفر يعمل ما يعملون، ويترك ما يتربون لا ينظر ولا يجتهد في المعرفة، فهذا لا عذر له، فمتى تحققت فيه شروط التكفير، وانتفت موانعه حكم بکفره، وإن كان مع جهله مسلماً؛ لكنه معرض عن الكتاب السنة لجهله بما فيهما، متابعاً لهواه، عاجز عن السؤال والعلم المرشد، فإنه لا يخرج عن الملة ما دام كذلك، ولكنه مخوّف بالنصوص الواردة في معرض عن ذكر الله "انتهى كلامه.

وقال الشيخ عطيه محمد سالم # مبيناً الحذر من المعرضين والصادفين عن دين الله تعالى: "وهنا وقفة في نهاية هذا العرض لنخرج بأمرین هامین :

الأول: الحذر واليقظة من هؤلاء الذين باعوا دينهم بدنياهم، وهدايتهم بضلالهم، واقتحموا أبواب النار على بصيرة أن يفتونا عن ديننا كما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الْضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضْلُّوا السَّيِّلَ﴾ [النساء: ٤٤ - ٤٥] فهم يريدون لل المسلمين أن يضلوا السبيل، ونظيره ما تقدم من قوله تعالى: ﴿مَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُم﴾ [البقرة: ١٠٥].

ومع اختصاص الله سبحانه برحمته من يشاء يحاولون لو يرون المسلمين كفار إلا لشيء إلا الحسد كما قال تعالى: ﴿وَدَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُرِدُونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَ لَهُمْ﴾

العقيدة خاص [١]

الصراط المألهي عشر

الحق ﴿البقرة: ١٠٩﴾، وكما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَاحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُم﴾ [المائدة: ٤٩]. هذا من جانب المحاذرة من أهل الكتاب.

والأمر الثاني: تحذير بعض من يستهويهم الشيطان فيقع منهم بعض ما وقع من أولئك فيكون فيه شبه منهم، ويتجه إليه الوعيد الذي توجه إليهم "انتهى كلامه".

ثالثاً: أنواع الإعراض عن دين الله تعالى:

إذا نظرنا في أحوال المعرضين عن دين الله تعالى، وما يقول إليه الأمر عند الإعراض عن دين الله تعالى نجد أن الإعراض عن دين الله تعالى يرجع في الأصل إلى نوعين:

النوع الأول: إعراض مخرج من الملة، كمن يعرض عن دين الله تعالى قصدًا، لا يعلمه ولا يتعلمه ولا يعمل به.

النوع الثاني: إعراض غير مخرج من الملة، كالمعرض لعجزه عن السؤال والعلم مع محبته للهدي والحق، وهذا النوع من الإعراض، وإن كان غير مخرج من الملة إلا أن صاحبه مذموم، ومتوعّد بكثير من العقاب في كثير من النصوص.

يقول الدكتور حسن العواجي وهو يتحدث عن أنواع الإعراض: "وعلى هذا فالإعراض نوعان:

أحدهما: يخرج من الملة وهو الإعراض عن دين الله لا يعلمه، ولا يتعلم، ولا يعمل به، وهذا المعرض هو الذي لا إرادة له في تعلم الدين، ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه؛ بل هو راضٍ بما هو عليه من الكفر بالله، والإشراك به.

العقيدة خاص [١]

والثاني : الذي لا يخرج من الملة : وهو المعرض لعجزه عن السؤال ، والعلم الذين يتمكن به من العلم والمعرفة مع إرادته ، وإيشاره له ، ومحبته له ، لكنه غير قادر عليه ، ولا على طلبه لعدم المرشد ، وليس المقصود بتعلم الدين الذي يكفر بتركه هو معرفة تفاصيل الإيمان بالله ورسوله ، وتفاصيل ما شرعه الله ورسوله من الأحكام ، بل المقصود تعلم الإيمان العام الجمل " انتهى كلامه .

فإذاً يكفي مجرد معرفة ما يصح الإيمان به إجمالاً ، كما كان الرجل يدخل في الإسلام ، ولم تنزل بعض الشرائع بعد ، فيكون مأموراً بالذي نزل وأمر به ، غير مأمور بباقي الأوامر الشرعية ، فكذلك المسلم لا يطلب منه أن يكون ملماً بتفاصيل مسائل الإيمان وأركانه ، وإن كان العلم بذلك من تعلم الدين وهو أمر مطلوب ، وقد رغب الشاعر فيه ، إلا أن تركه والاكتفاء بما يصح به إيمان المرء لا يخرج المرء من الإسلام ولا يقبح في عقيدته ، ولا يعتبر ناقضاً من نواقض الإيمان ، بعكس المعرض عن التعلم ، والصدر عن ذلك ، وعدم المبالغة بمعرفة الدين ، وتعلم ما يصح الإيمان به ، وهذا الأمر الذي نتحدث عنه وأن المسلمين ينبغي أن لا يجهله من مسائل الإيمان حتى لا يكون من المعرضين عن الله تعالى ، هو الذي يعبر عنه العلماء بالمعلوم من الدين بالضرورة .

العقيدة خاص [١]

الصراط المألهى عليه عشر

تحذير القرآن الكريم والسنّة النبوية من هذا الناقض

لقد اهتم القرآن الكريم ببيان حال المعرضين عن دين الله تعالى أتمّ بيان، وركزت الآيات القرآنية على التحذير من الإعراض عن دين الله تعالى، والتتجافي عنه، وأن ذلك الإعراض قد يخرج بصاحبـه من الملة الإسلامية -والعياذ بالله تعالى-، ومن الآيات المحدّدة من الإعراض عن دين الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه: ١٢٤].

فالمعيشة الضنك وهي الضيقـة سببـها الإعراض عن دين الله تعالى، يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي # مبيناً معنى الآية : "معنى ذلك أن الله عَزَّوجَلَّ جعل مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله ، والرضا بقسمـته فصاحبـه ينفقـ ما رزقه الله بسماح وسهولة ، فيعيش عيشـاً هنيـاً ، وما يدلـ على هذا المعنى من القرآن قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧] الآية ، وقولـه تعالى : ﴿ وَأَنَّ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْتَعِنُكُمْ مَنْعًا حَسَنًا إِلَّا أَجَلٌ مُسْمَى ﴾ [هود: ٣]. كما تقدـمـ إيضاحـ ذلك كله ، وأما المعرضـ عن الدين فإنه يستولي عليه الحرصـ الذي لا يزالـ يطمحـ به إلى الازديادـ من الدنيا مسلطـ عليه الشـحـ الذي يقـبـضـ يدهـ عن الإنفاقـ فـعيـشـتهـ ضـنكـ ، وحالـهـ مـظـلـمةـ ، وـمنـ الـكـفـرـ منـ ضـربـ اللهـ عـلـيـهـ الذـلـلـ وـالـمـسـكـنـةـ وـبـاءـهـ وـيـغـضـبـ مـنـ اللهـ ذـلـكـ بـأنـهـمـ كـانـوـا يـكـفـرـونـ يـغـایـتـ اللهـ ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ اللَّهُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ يَغْایَتِ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٦١] الآياتـ وـذـلـكـ منـ العـيـشـ الضـنكـ بـسبـبـ الإـعراضـ عنـ ذـكـرـ اللهـ ، وـبـينـ فيـ مواـضـعـ أـخـرـ أـنـهـمـ لـوـ تـرـكـواـ الإـعراضـ عنـ ذـكـرـ اللهـ فـأـطـاعـوهـ تـعـالـيـ أـنـ عـيـشـهـمـ يـصـيرـ وـاسـعـاـ رـغـدـاـ لـاـ ضـنكـاـ ، كـقولـهـ تـعـالـيـ : ﴿ وَلَوْ

العقيدة خاص [١]

أَنَّهُمْ أَفَأَمُوا الْتَّوْرَةَ وَالِّإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَا كَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ
 أَرْجُلِهِمْ ﴿٦٦﴾ [المائدة: ٦٦] الآية، قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْآنَ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
 لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦] الآية، وكقوله تعالى عن
 نوح: «فَقُلْتُ أَسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ عَفَارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا
 وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَمِنْ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا» [نوح: ١٠ - ١٢]، قوله تعالى عن هود:
 «وَيَقُولُ أَسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ شَدَّ ثُوبًا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا
 وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴿٥٢﴾ [هود: ٥٢] الآية، قوله تعالى: «وَالَّذِي أَسْتَقْمُوا عَلَى
 الظَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدْقًا ﴿١٧﴾ لَتَفَنَّهُمْ فِيهِ ﴿١٨﴾ [الجن: ١٦ - ١٧] إلى غير ذلك من
 الآيات" انتهى.

٢ - قول الله تعالى: «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذِرْتُكُمْ صَيْقَةً مِثْلَ صَيْقَةِ عَادٍ وَثَمُودٍ ﴿٤٣﴾

[فصلت: ٤٣] يقول الإمام ابن كثير # في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتم به من الحق إن أعرضتم عما جئتم به من عند الله تعالى فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم كما حلّت بالأمم الماضين من المكذبين بالمرسلين" انتهى كلامه.

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي #: "أي: فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعد ما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الإله العظيم ﴿فَقُلْ أَنْذِرْتُكُمْ صَيْقَةً﴾ [فصلت: ٤٣] أي: عذاباً يستأصلكم ويحيطكم ﴿مِثْلَ صَيْقَةِ عَادٍ وَثَمُودٍ﴾ القبيلتين المعروفتين؛ حيث اجتاحهم العذاب وحلّ عليهم وبيل العقاب، وذلك بظلمهم وكفرهم" انتهى.

٣ - قول الله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذِكْرِ بِشَيْدَتِ رَبِّهِ، فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ [السجدة: ٢٢] يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي # في

العقيدة خاص [١]

الصراط المألهي عشر

تفسير هذه الآية: "أي: لا أحد أظلم وأزيد تعدياً من ذكر بآيات ربه التي أوصلها إليه ربه، الذي يريد تربيته وتمكينه نعمته عليه على يد رسالته تأمر، وتذكره مصالحه الدينية والدنيوية، وتنهيه عن مضاره الدينية والدنيوية التي تقتضي أن يقابلها بالإيمان والتسليم، والانقياد والشكير ف مقابلتها هذا الظالم بضد ما ينبغي، فلم يؤمن بها، ولا اتبعها، بل أعرض عنها، وتركها وراء ظهره، فهذا من أكبر الجرائم الذين يستحقون شديد النعمة" انتهى كلامه.

٤ - قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بِيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا فَدَمَتْ يَاهُ ﴾ [الكهف: ٥٧] يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي # في تفسيره لهذه الآية: "يخبر تعالى أنه لا أعظم ظلماً، ولا أكبر جرمًا من عبد ذكر بآيات الله، وبين له الحق من الباطل والمهدى من الصلال، وخوف ورهب فأعرض عنها فلم يتذكر بما ذكر به، ولم يرجع عما كان عليه، ونسى ما قدمت يداه من الذنوب، ولم يراقب علام الغيوب، فهذا أعظم ظلماً من المعرض الذي لم تأت به آيات الله، ولم يذكر بها، وإن كان ظالماً فإنه أخف ظلماً من هذا؛ لكون العاصي على بصيرة وعلم أعظم من ليس كذلك، ولكن الله تعالى عاقبه بسبب إعراضه عن آياته، ونسائه لذنبه، ورضاه لنفسه حالة الشر مع علمه بها" انتهى.

وقد بين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي # أشياء عددها من النتائج السيئة، والعواقب الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن دين الله تعالى؛ حيث يقول: "وما ذكره في هذه الآية الكريمة من أن الإعراض عن التذكرة بآيات الله من أعظم الظلم قد زاد عليه في مواضع آخر بيان أشياء من النتائج السيئة، والعواقب الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن التذكرة، فمن نتائجه السيئة ما ذكره هنا من أن صاحبه من أعظم الناس ظلماً، ومن نتائجه السيئة جعل الأكنة على القلوب

العقيدة خاص [١]

حتى لا تفقه الحق، وعدم الاهتداء أبداً كما قال هنا مبيناً بعض ما ينشأ عنه من العواقب السيئة ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْيَنَةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي أَذْنِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدَا﴾ [الكهف: ٥٧]، ومنها: انتقام الله - جل وعلا - من المعرض عن التذكرة كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بِيَادِتِ رَبِّهِ لَهُ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، ومنها: كون المعرض كالحمار كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ٦٩ كَانُوكُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٤٩ - ٥٠] الآية ، ومنها: الإنذار بصاعقة مثل صاعقة عاد وثود ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذِرْنِي كُوكُوكْ صَعْقَةً مِّثْلَ صَعْقَةِ عَادٍ وَثُودٍ﴾ [فصلت: ١٣] الآية ، ومنها: المعيشة الضنك والعمى كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ دَمَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

ومنها: سلوكه العذاب الصعد، كما قال تعالى ﴿وَمَنْ يُعْرِضَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَدَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧]، ومنها: تقييض القراء عن الشياطين كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِيبٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] إلى غير ذلك من النتائج السيئة، والعواقب الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن التذكرة بآيات الله "انتهى كلامه.

٥ - قول الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ٦٩ كَانُوكُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾ [٥١-٤٩].

يقول الإمام ابن كثير: # في تفسيرها: أي: مما لهؤلاء الكفرا الذين قبلك ما تدعوههم إليك وتذكريهم به معرضين ﴿كَانُوكُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾ أي: كأنهم في نفارهم عن الحق، وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فررت من يريد صيدها منأسد، أو رام" انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

الصراط المألهي عشر

٦ - قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ فَقَبِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾

[الزخرف: ٣٦].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي # في تفسير هذه الآية: "يخبر تعالى عن عقوبته البليغة لمن أعرض عن ذكره فقال: ﴿ وَمَن يَعْشُ ﴾ أي: يعرض ويصدّ ﴿ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾ الذي هو القرآن العظيم الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها فقد قبل خير المawahب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومن أعرض عنها وردها فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبداً، وقىض له الرحمن شيطاناً مريداً يقارنه ويصاحبه، ويعده ويئنه، ويؤرثه إلى العاصي أزاً" انتهى كلامه.

ثم طرح الشيخ السعدي سؤالاً وهو: من صدّه الشيطان عن السبيل، وهو يعتقد أنه على الجادة هل له عذر في ذلك؟

ثم أجاب الشيخ بقوله: "قيل لا عذر لهذا أمثاله الذي مصدر جهلهم بالإعراض عن ذكر الله، مع تكّنهم على الاهتداء، فزهدوا في الهدى مع القدرة عليه، ورغبو في الباطل؛ فالذنب ذنبهم، والجرم جرمهم، فهذه حالة المعرض عن ذكر الله في الدنيا مع قرينه، وهو الضلال والغي، وانقلاب الحقائق" انتهى كلامه.

وقد حذر الله من أولئك المعرضين فأمر بالإعراض عن المعرض عن ذكره، القاصر في نظره على الحياة يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي #: "وقد أمر تعالى في موضع آخر بالإعراض عن المتولي عن ذكره القاصر نظره على الحياة الدنيا، وبين أن ذلك هو مبلغه من العلم، فلا علم عنده بما ينفعه في معاده، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَا تُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [٢٩] .

ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ [النجم: ٢٩ - ٣٠].

العقيدة خاص [١]

وقد نهى جل وعلا عن طاعة مثل ذلك المتولى عن الذكر الغافل عنه في قوله :
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلَنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَانَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨] كما
تقدّم إيضاحه "انتهى".

تحذير النبي ﷺ من الإعراض عن دين الله :

أما التحذير فقد ورد في السنة المطهرة فقد جاء الوعيد لأولئك المعرضين في حديث أبي واقد الليثي < أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه ؛ إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد قال : فوقفا على رسول الله ﷺ ؛ فأما أحدهما فرأى فرحة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ الرسول الله ﷺ قال : ((ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله ، وأما الآخر فاستحيا من الله فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض عن الله ، فأعرض الله عنه)) متفق عليه.

فبسبب هذا الإعراض الذي حصل من هذا الرجل عن مجلس رسول الله ﷺ فقد استحق سخط الله عليه ، وعدم رحمته ، وذكر الحافظ ابن حجر # أن هذا ممолов بالنسبة للمسلم على من ذهب معرضاً لا لعذر ، وأنه يحمل على أن هذا الرجل منافق قد أخبر النبي ﷺ بحاله وسخط الله عليه ، وأن هذا وعيد يخاف منه ويُخشى على صاحبه.

العقيدة خاص [١]

المقرر الثالث عشر

إمكان وقوع نواقض التوحيد من المعينين، وتکفیرهم بذلك

عناصر الدرس

- | | |
|-----|--|
| ٣٧٣ | العنصر الأول : أنواع التکفیر، وشروطه |
| ٣٧٧ | العنصر الثاني : خطورة التکفیر، وإمكان الحكم بالکفر على
المعينين |

العقيدة خاص [١]

أنواع التكفير وشروطه

أولاً: أنواع التكفير:

قسم العلماء الكفر إلى قسمين :

أ- كفر مخرج من الملة : وينقل صاحبه من ديانة الإسلام ، وحظيرة الشريعة إلى دائرة الكفر ودوامة الردة.

ب- وكفر غير مخرج من الملة : وهو دون الأول.

ويكن أن نقول : إن الكفر نوعان :

١ - كفر اعتقادى : وهو المخرج من الملة.

٢ - وكفر عملى : غير مخرج من الملة ، وهو الذي عبر عنه بعض العلماء بقوله : "كفر دون كفر" ، وهذا التقسيم للكفر تبع لتقسيم أهل العلم للشريك ؛ فإنهم قسموه إلى قسمين :

أ- شرك أكبر : وهو المخرج من الملة.

ب- شرك أصغر : كيسير الرياء ، وهو غير مخرج من الملة.

إذا طبقنا هذا التقسيم على الناقض التالي : وهو من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ؛ يقول الدكتور حسن العواجي : "إن كان تحكيمه لغير الرسول ﷺ مع الاعتقاد أنه أفضل من حكم الرسول أو يساويه ؛ فهذا كفر اعتقادى مخرج من الملة. وإن كان تحكيمه لغير حكم الرسول لهوى في نفسه أو لغرض دنيوي مع الإيمان بأن حكم الرسول حق ، وأنه

العقيدة خاص [١]

أفضل من غيره من القوانين، فهذا كفر عملي تقام الحجة على صاحبه، ويبين له الحق، فإن أصر حكم على صاحبه بالكفر الاعتقادي، وكل الأنواع متوعدة بالعذاب؛ لأنه إقدام على كفر سواء اعتقد كذب الرسول الذي جاء بهذا الهدي أو لم يعتقد، ولكن استكبر عن الإيمان به، أو أنه أغرض عنه اتباعاً لهواه، أو ارتاب فيما جاء؛ فكل مكذب ما جاء به فهو كافر، ويدل على ذلك فهم السلف لقول تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفَّارُ﴾ [المائدة: ٤٤] حيث قال ابن عباس { ليس بكفر ينقل عن الملة }، بل إذا فعله فهو به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر، وقال طاوس مثله، وقال عطاء: "كفر دون كفر" ، ونقل ابن عبد البر إجماع العلماء على أن من دفع شيئاً أنزله الله مع الاعتراف بما أنزل الله أنه كافر، ومعلوم أن المراد بالكافر هنا: إما أن يكون الكفر الاعتقادي، أو العملي، فإن كان معترفاً بما أنزله الله، وأنه حق، ثم كابر، ودفع عن علم ومعرفة؛ فإنه يحكم عليه بالكفر الاعتقادي، وإن كان معترضاً بما أنزله الله، وأنه حق إلا أنه يحكم بغيره لشهوة أو هوى أو نحو ذلك؛ فإنه كفر كفراً عملياً يبين له وتقام عليه الحجة، فإن أصر؛ حكم بكافره اعتقادياً. انتهى كلامه.

إذا؛ فالعلماء يبيّنوا أنواع الكفر التي يحكم بها على من تلبس بشيء من التواضع؛ لئلا يشتبه الأمر على الناس فيقعون في بدعة التكفير: وهي التسرع في إصدار أحكام الكفر على الآخرين، وادعاء وقوعهم في الردة، وخروجهم من دائرة الإسلام لأتفه سبب، فقد يكون المرء صدر منه أمر منهي عنه وقبيل في الشرع إلا أنه لا يصل درجة الكفر المخرج من الملة، فيكون من الظلم والتجزؤ الحكم على أنه خرج من دائرة الإسلام، وهدم إيمانه ونقض توحيده، ونفض يديه من اتباع الرسول محمد ﷺ.

العقيدة خاص [١]

المصادر: الثالث عشر

ثانياً: شروط التكفير وموانعه:

لما كان الحكم على الشخص بأنه كافر، مما يعني: أنه قد خرج من دائرة الإسلام، ودخل في دائرة الردة والكفر -والعياذ بالله- وهذا أمر في غاية الخطورة، أقول: لما كان الأمر كذلك؛ فإن أهل العلم استنبتوا من نصوص الكتاب والسنة شروطاً لا بد من توفرها للحكم على الشخص المعين بالكافر، وقد صرخ بذلكشيخ الإسلام ابن تيمية وكثير من أهل العلم -رحمهم الله.

يقولشيخ الإسلام ابن تيمية -في كلامه عن تكفير من يترك شيئاً من الأركان الخمسة- : "ولهذا تنازع العلماء في تكفير من يترك شيئاً من هذه الفرائض الأربع بعد الإقرار بوجوبها، فأما الشهادتان: إذا لم يتكلم بهما مع القدرة؛ فهو كافر باتفاق المسلمين، وهو كافر باطنًا وظاهرًا عند سلف الأمة وأئمتها، وجماعتها علمائها، وذهب طائفة من المرجئة -وهم جهمية المرجئة: كجهنم، والصالحي، وأتباعهما- إلى أنه إذا كان مصدقاً بقلبه؛ كان كافراً في الظاهر دون الباطن، وقد تقدم التنبيه على أصل هذا القول، وهو قول مبتدع في الإسلام لم يقله أحد من الأئمة، وقد تقدم أن الإيمان الباطن يستلزم الإقرار الظاهر وغيره؛ بل وإن وجود الإيمان الباطن تصديقاً وحباً وانقياداً بدون الإقرار الظاهر ممتنع، وأما الفرائض الأربع، فإذا جحد وجوب شيء منها بعد بلوغ الحجة فهو كافر، وكذلك من جحد تحريم شيء من المحرمات الظاهرة المتواتر تحريمه؛ كالفواحش، والظلم، والكذب، والخمر، ونحو ذلك، وأما من لم تقم عليه الحجة مثل: أن يكون حديث عهد بالإسلام، أو نسأ ببادية بعيدة لم تبلغه فيها شرائع الإسلام المتواتر تحريمه؛ كالفواحش، والظلم، والكذب، أو نسأ ببادية بعيدة لم تبلغه فيها شرائع الإسلام، ونحو ذلك، أو غلط فظن أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛

العقيدة خاص [١]

فإنهم يستتبون وتقام الحجة عليهم، فإن أصرروا كفروا حينئذٍ ولا يحكم بکفرهم قبل ذلك، كما لم يحكم الصحابة بکفر قدامة بن مظعون وأصحابه لما غلطوا فيما غلطوا فيه من التأويل، وأما مع الإقرار بالوجوب إذا ترك شيئاً من هذه الأركان الأربع؛ ففي التكفير أقوال للعلماء هي روایات عن أحمد.

أحداها: أنه يکفر بترك واحد من الأربعه حتى الحج، وإن كان في جواز تأخيره نزاع بين العلماء؛ فمتى عزم على تركه بالكلية کفر، وهذا قول طائفة من السلف وهي إحدى الروایات عن أحمد اختارها أبو بكر.

الثاني: أنه لا يکفر بترك شيء من ذلك مع الإقرار بالوجوب، وهذا هو المشهور عند كثير من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وهو إحدى الروایات عن أحمد، واختارها ابن بطة.

الثالث: أنه لا يکفر إلا بترك الصلاة، وهي الروایة الثالثة عن أحمد، وقول كثير من السلف وطائفة من أصحاب مالك والشافعي، وطائفة من أصحاب أحمد.

الرابع: أنه يکفر بترك الصلاة ، وترك الزکاة فقط.

الخامس: أنه يکفر بترك الصلاة وترك الزکاة إذا قاتل الإمام عليها دون ترك الصيام والحج ، وهذه المسألة لها طرفاً :

أ- في إثبات الکفر الظاهر.

ب- في إثبات الکفر الباطن". انتهى كلامه.

وقال في موضع آخر وهو ينهى عن التسرع في التکفير: "هذا مع أنني دائمًا - ومن جالستني يعلم ذلك مني - أني من أعظم الناس نهياً عن أن يُنسب معين إلى تکفير أو تفسيق ومعصية، إلا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها

العقيدة خاص [١]

المصادر المأذون لها عشر

كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإنني أقرر أن الله قد غفر له هذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية العلمية". انتهى كلامه.

وإذا نحن أمعنا النظر في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية # نجد أنه يشترط للحكم بالكفر على المخالف بأن يبين له الحق ويوضح له الدليل، وتزال عنه الشبهة وتقام عليه الحجة، فإن أصر بعد ذلك حُكم عليه بالكفر؛ لأنه -والحالة هذه- أصبح في عداد المعاندين للحق والمتكبرين عن الهدى، والصادرين والمعرضين عن ذكر الله تعالى، فإن وجد مانع من التكفير؛ بأن وُضِّح الحق لشخص وأربيلت عنه الشبهة ورجعاً؛ فلا نحكم حيثُلِ بکفره، أو كان من لم تبلغه الدعوة، وبالجملة فإن وجدنا مانع من التكفير؛ لم يحکم على الشخص بالكفر، حتى تتوافر الشروط وتنتفي المانع.

خطورة التكفير، وإمكان الحكم بالكفر على المعينين

أولاً: خطورة التكفير:

لا شك أن التكفير والحكم على الشخص بأنه قد خرج من دائرة الإسلام من حق الله تعالى، وحق رسوله ﷺ فلا يجوز أن نحکم على شخص بأنه قد خرج من الدين، ودخل في الردة ونکفره إلا إذا كان الله -جل جلاله- قد کفره، أو کفره رسول الله ﷺ لأن القلوب لا يعلم أسرارها إلا علام الغيوب، وقد حذر النبي ﷺ من التسريع في التكفير؛ فقال في الحديث الصحيح: ((من قال لأخيه يا کافر؛ باء بها أحدهما)) وقال ﷺ: ((سباب المسلم فسوق وقتله کفر)) وفي (صحيح مسلم) من حديث جندب بن عبد الله > قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال

العقيدة خاص [١]

رجل : والله لا يغفر الله لغلان. فقال الله عَزَّلَهُ : من ذا الذي يتَّلَى عَلَيْهِ أَن لا أَغْفِر لغلان؟ إني قد غفرت له ، وأحببت عملك)) فيجب ترك الناس ، والحكم عليهم حسب الظاهر وأن يحسن المرء الظن بإخوانه المسلمين ، ولا يتجرأ في إصدار الأحكام عليهم بالكفر بمجرد الظن والوسوسة ، أو مخالفة الرأي وكما قال بعض العلماء : "من دخل في الإسلام بيقين لا يخرج منه إلا بيقين" ، وبسبب التساهل في التكفير ؛ فقد ظهرت فرقـة في المسلمين يسمون جماعة التكفير ، ومنهجها : تكـفير الحـكام والـحاكمـين ، وادعـاء أن النـاس كلـهم كـفار ، وأن العـالم الإـسلامـي يعيش جـاهـليـة معاـصرـة تـشـبـه حـالـة الجـاهـليـة الأولى ، كل ذلك بسبب ترك العـلم الشرعي ، وعـدم التـقيـيد بالـكتـاب والـسنـة في إـصدـار الأـحكـام ، ومن ذلك مـسـأـلة التـكـفـير.

ثانياً: إمكان الحكم بالكفر على المعينين :

لما كانت هذه النواقض تقع في الواقع المشاهد ، وأن المرء قد يتلبـس بها ، وأنه يصبح كافـراً ، فيـمـكن حينـئـذـ أنـ حـكـمـ علىـ معـيـنـ بالـكـفـرـ لـوقـوعـهـ فيـ نـاقـضـ معـيـنـ ، فـمـنـ ذـبـحـ لـغـيرـ اللهـ ؛ فـقـدـ كـفـرـ بـذـلـكـ الفـعلـ ، لـوقـوعـهـ فيـ نـاقـضـ معـيـنـ وـهـوـ الشـركـ ، وـمـنـ اـسـتـهـزاـ بـالـهـ تـعـالـىـ أوـ جـعـلـ يـسـخـرـ مـنـ رـسـلـ اللهـ ، أوـ مـنـ دـيـنـ اللهـ تـعـالـىـ ، فـنـقـولـ : إنـ هـذـاـ الإـنـسـانـ مـعـيـنـ وـقـعـ فيـ نـاقـضـ مـعـيـنـ وـهـوـ الـاستـهـزاـ بـدـيـنـ اللهـ تـعـالـىـ أوـ كـتـابـهـ ، أوـ رـسـوـلـهـ ، وـهـكـذـاـ بـقـيـةـ النـوـاقـضـ ، وـمـاـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ مـسـلـمـ يـكـنـ أـنـ يـصـبـحـ كـافـراـ بـعـدـ إـسـلـامـهـ : ماـ قـرـرـهـ عـلـمـاءـ الـفـقـهـ فيـ جـمـيعـ الـمـذاـهـبـ فيـ بـابـ حـكـمـ الـمرـتـدـ ، يـقـولـ اـبـنـ الـنـجـارـ الـفـتوـحـيـ الـحـنـبـلـيـ # فيـ (ـمـتـهـىـ الـإـرـادـاتـ)ـ : "ـبـابـ حـكـمـ الـمـرـتـدـ : وـهـوـ مـنـ كـفـرـ ، وـلـوـ مـيـزـاـ طـوـعـاـ ، وـلـوـ هـازـلـاـ بـعـدـ إـسـلـامـهـ وـلـوـ كـرـهـاـ بـحـقـ ، فـمـنـ اـدـعـىـ النـبـوـةـ أوـ أـشـرـكـ بـالـهـ تـعـالـىـ أوـ سـبـهـ أوـ رـسـوـلـاـ أوـ مـلـكـاـ لـهـ أوـ جـحدـ

العقيدة خاص [١]

المصادر: الثالث عشر

ربوبيته أو وحدانيته، أو صفة، أو كتاباً أو رسولاً، أو وجوب عبادة من الخمس، ومنها: الطهارة أو حكمًا ظاهراً مجمعاً عليه إجماعاً قطعياً؛ كتحرير زنا، أو لحم خنزير، أو حلّ خبز ونحوه، ومثله لا يجهله، أو يجهله وعُرِفَ وأصرّ أو سجد لكوكب أو نخلة، أو أتى بقول صريح في الاستهزاء بالدين، أو امتهن القرآن، أو ادعى اختلافه، أو القدرة على مثله، أو أسقط حرمته؛ كفر، لا من حكى كفراً سمعه ولا يعتقد". انتهى كلامه.

يقول الدكتور صالح العبود في بيانه لعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب #:

"وهذه النواقض التي ذكرها الشيخ هي مسألة التكفير لخصها الشيخ من كلام العلماء قال الشيخ: وذكر -أي: الشيخ أبو النجا مؤلف (الإقناع في الإقناع): إجماع المذاهب كلها على ذلك، ثم قال: "كان عند أحد كلمة تخالف ما ذكروه في مذهب من المذاهب فيذكرها وجزاه الله خيراً، والغالب أنه ليس عند أحد علم يخالف ما ذكروه وإنما العناد، يقول الشيخ: "إإن كان يبغى يعاند كلام الله وكلام رسوله ﷺ وكلام العلماء ولا يصغي لهذا أبداً؛ فاعرفوا أن هذا الرجل معاند ما هو بطالب حق، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَنَحِّذُوا الْمُلْكِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَّامَكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران: ٨٠".

ثم بين الشيخ أن هؤلاء الذين يعتذرون بالتكفير ليس لأنه مشكل عليهم تكفيير الناس بأعيانهم؛ فقد اشتبه أمرهم، بل إذا تأمل المتأمل أحوالهم يجد أن هؤلاء أعداء للموحدين يبغضونهم ويستقلونهم، والمركون والمنافقون هم ربهم الذي يستأنسون إليهم كما جرى من رجال في الدرعية وفي العينية الذين ارتدوا وأبغضوا الدين، ثم يقول الشيخ بعد أن أورد النواقض العشرة: ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكن وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها

العقيدة خاص [١]

على نفسه، ويُقرّر الشيخ أنها تقع من المعينين، ومحتمل أن يرتد المسلم ويُكفر بعد إسلامه - والعياذ بالله - ومن ذلك فقد عُرِفَ المرتد في باب حكم المرتد بأنه: المسلم الذي يُكفر بعد إسلامه، فهذا يفيد الحذر والخوف والاستعاذه بالله، وقد بيّن الشيخ لرجل من أهل الْأَحْسَاءِ استشكّل تكفيـرـ المعـيـنـ ؛ لأنـهـ يـقـولـ "لا إـلـهـ إـلـاـ اللهـ" ، وإنـ عـبـدـ الـأـوـثـانـ معـ هـذـهـ عـبـادـةـ أـكـبـرـ مـنـ عـبـادـةـ الـلـاـلـةـ وـالـعـزـىـ وـسـبـ دـيـنـ الرـسـوـلـ ﷺـ بـعـدـ ماـ شـهـدـ بـهـ مـثـلـ سـبـ أـبـيـ جـهـلـ ، فالـشـيـخـ يـبـيـنـ بـهـ أـحـكـامـ هـذـهـ الـمـسـأـلـةـ مـنـ كـلـامـ أـهـلـ الـعـلـمـ الـمـقـدـمـيـنـ ، وـالـمـتأـخـرـيـنـ فـيـقـولـ " مـخـاطـبـاـ هـذـاـ الـمـسـتـشـكـلـ " فأـوـلـ مـاـ أـنـصـحـكـ بـهـ : أـنـكـ تـفـكـرـ هـلـ الشـرـكـ الـذـيـ عـنـدـكـ هـوـ الشـرـكـ الـذـيـ ظـهـرـ نـبـيـكـ ﷺـ يـنـهـىـ عـنـهـ أـهـلـ مـكـةـ ، أـوـ شـرـكـ أـهـلـ مـكـةـ نـوـعـ آـخـرـ أـغـلـظـ مـنـهـ أـمـ هـذـاـ أـغـلـظـ ؟ـ !ـ .ـ

فإذا أحکمت المسألة، وعرفت أن غالباً من عندكم سمع الآيات وسمع كلام أهل المقدمين والمتأخرین وأقربیه، وقال: أشهد أن هذا هو الحق ونعرفه قبل ابن عبد الوهاب، ثم بعد ذلك يصرح بحسب ما شهد أن الحق ويصرح بحسن الشرك واتباعه، وعدم البراءة من أهله فتفكر هل هذه المسألة إلا مسألة الردة الصریحة التي ذكرها أهل العلم في الردة؟ ولكن العجب من دلائلك التي ذكرت بأنها أتت من لا يسمع ولا يبصر، أما استدلالك بتترك النبي ﷺ ومن بعده تكفيـرـ المنافقين وقتلهم، فقد عرفه الخاص والعام بديـهـةـ العـقـلـ أـنـهـمـ لـوـيـظـهـرـوـنـ كـلـمـةـ وـاـحـدـةـ ، أوـ فـعـلـاـ وـاحـدـاـ مـنـ عـبـادـةـ الـأـوـثـانـ أوـ مـسـبـةـ التـوـحـيدـ الـذـيـ جـاءـ بـهـ الرـسـوـلـ ﷺـ أـنـهـمـ يـقـتـلـوـنـ شـرـ قـتـلـةـ ، فـإـنـ كـنـتـ تـزـعـمـ أـنـ الـذـيـ عـنـدـكـ أـظـهـرـوـاـ اـتـبـاعـ الـدـيـنـ الـذـيـ نـشـهـدـ أـنـهـ دـيـنـ الرـسـوـلـ ﷺـ وـتـبـرـءـوـاـ مـنـ الشـرـكـ بـالـقـوـلـ وـالـفـعـلـ ، وـلـمـ يـبـقـ إـلـاـ أـشـيـاءـ خـفـيـةـ تـظـهـرـ عـلـىـ صـفـحـاتـ الـوـجـهـ ، أـوـ فـلـتـةـ لـسـانـ فـيـ السـرـ ، وـقـدـ تـابـوـاـ مـنـ دـيـنـهـمـ الـأـوـلـ ، وـقـتـلـوـاـ طـوـاغـيـتـ وـهـدـمـوـاـ بـيـوتـ الـمـعـبـودـ ؛ـ فـقـلـ لـيـ ؟ـ !ـ

وـإـنـ كـنـتـ تـزـعـمـ أـنـ الشـرـكـ الـذـيـ خـرـجـ عـلـيـهـ الرـسـوـلـ ﷺـ أـكـبـرـ مـنـ هـذـاـ فـقـلـ لـيـ !ـ

العقيدة خاص [١]

وإن كنت تزعم أن الإنسان لا يكفر إذا أظهر عبادة الأوثان، وزعم أنها الدين وأظهر سب دين الأنبياء وسماه دين أهل الأرض، وأفتي بقتل من أخلص الله الدين، وجل ماله؛ فهذه مسألتك وقد قررتها، وذكر أن من زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا لم يقتلوا أحداً ولم يكفروه من أهل الملة، أما ذكرت قول الله تعالى:

﴿ لَئِنْ لَّرَبِّ يَنْهَا الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَغَرِيبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاهُوْرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ٦٠ ٦١ مَلَعُونِينَ أَيْنَمَا نَفَقُوا أَخْذُوا وَقَاتَلُوا تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٠، ٦١]، واذكر قوله في الاعتقاد في الأنبياء:

﴿ أَيُّ أُمَّةٍ كُمْ بِالْكُفَّارِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠].

واذكر قتال الصديق وأصحابه مانعي الزكاة ونبي ذريتهم، وغنية أمواهم، واذكر إجماع الصحابة على قتل أهل مسجد الكوفة، وكفرهم وردهم لما قالوا كلمة في تقرير نبوة مسلمة، ولكن الصحابة اختلفوا في قبول توبيتهم لما تابوا، والمسألة في (الصحيح البخاري وشرحه) في الكفالة، واذكر إجماع الصحابة لما استفتاهم عمر على من زعم أن الخمر تحل للخواص مستدلاً بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا ﴾ [المائدة: ٩٣] مع كونه من أهل بدرا، وأجمع الصحابة على كفر من اعتقد في علي مثل اعتقاد هؤلاء في عبد القادر، وردهم وقتلهم، فأحرقهم علي بن أبي طالب < لهم أحباء، مع كونهم من أهل القرن الأول أخذوا العلم عن الصحابة.

ولو ذهبنا نعدد من كفري العلماء مع ادعائه الإسلام، وأفتوا بردته وقتله؛ لطال الكلام، لكن من آخر ما جرى قصةبني عبيد ملوك مصر وطائفتهم وهم يدعون أنهم من أهل البيت ويصلون الجمعة والجماعة، ونصبوا القضاة، أجمع العلماء على كفرهم وردهم وقتلهم، وأن بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم". انتهى كلامه.

العقيدة خاص [١]

قارئه المراجع العالم

قارئه المراجع العالم

العقيدة خاص [١]

قائمة المراجع العالمية

١. (باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السفي - تقدمة لمسالك المتكلمين وال فلاسفة في الإلهيات)

محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٥ م.

٢. (الاستذكار، الجامع لما ذهب إليه أهل المصار وعلماء الأقطار)

أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠ م.

٣. (الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة)

عمر الأشقر، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع ، ١٩٩٣ م.

٤. (أصوات البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)

محمد الأمين بن محمد الشنقيطي ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٥ م.

٥. (تذكرة الموضوعات)

محمد بن طاهر الهندي ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٩٥ م.

٦. (التمييد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)

أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٩ م.

٧. (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنية الموضوعة)

أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨١ م.

٨. (التوحيد وإثبات صفات رب عزوجل)

محمد بن إسحاق بن خزيمة ، الرياض ، مكتبة الرشد ، ١٤٠٨ هـ.

٩. (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)

شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية ، القاهرة ، مكتبة مصر ، ٢٠٠١ م.

العقيدة خاص [ا]

١٠. (الرد على الجهمية)

عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد الدارمي ، الكويت ، دار ابن الأثير ، م. ١٩٩٥

١١. (شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية)

خالد بن عبد الله المصلح ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، د.ت.

١٢. (شرح العقيدة الواسطية)

محمد الصالح بن عثيمين ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، م. ٢٠٠١

١٣. (شرح العقيدة الواسطية)

محمد خليل هراس ، . الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، م. ١٩٩٢

١٤. (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري)

عبد الله بن محمد الغنيمان ، المدينة المنورة ، مكتبة الدار ، ١٤٠٥ هـ.

١٥. (فتح الباري شرح صحيح البخاري)

أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، بيروت ، دار المعرفة ، هـ. ١٣٧٩

١٦. (عقيدة الإمام ابن عبد البر في التوحيد والإيمان)

سليمان الغصن ، (رسالة ماجستير) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، دار العاصمة

١٧. (عقيدة السلف أصحاب الحديث)

أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني ، الرياض ، دار طيبة ، ١٩٩٤ م.

العقيدة خاص [١]

فأئمَّةُ الْمُرْلَجِعِ الْعَالِمَةِ

١٨. العلو للعلي الغفار

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، الرياض ، مكتبة أضواء
السلف ، ١٩٩٥ م

١٩. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه

عبد الرحمن بن صالح المحمود ، الرياض ، دار الوطن ، ١٤١٨ هـ.

٢٠. كتاب العرش ويليه (تشبه الخسيس بأهل الخميس في رد التشبه بالشركين)

شمس الدين محمد الذهبي ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣

٢١. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة

شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٣ م.

٢٢. (مختصر العلو للعلي الغفار)

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، بيروت ، المكتب
الإسلامي ، ١٤١٢ هـ.

٢٣. (النحو والوافي)

عباس حسن ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٠ م.

٢٤. (هذه هي الصوفية)

عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣ م.

